

الاحْتِسَابُ

عَلَى السَّحَرَةِ وَالْكَهَّانِ وَالْمُنَجِّمِينَ

لِدُنَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالصَّحَابَةِ
وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ

كتاب يشتمل على عرض مفصل للاحتساب الأنبياء والمرسلين
(إبراهيم - موسى - سليمان - محمد (صلى الله عليهم وسلم))
ولذا الصحابة والتابعين وتابعي التابعين

إعداد

أبِى طَمَّة عَادِل بن طَاهِر المَقْبِلُ الدُّكْتُور مُحَمَّد بن نور الدين

الاحتساب

عَلَى السَّحَرَةِ وَالْكَهَّانِ وَالْمُنَجِّمِينَ

لِدُنَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالصَّحَابَةِ
وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى.

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م.

الاحتساب

عَلَى السَّحْرَةِ وَالْكَهَّانِ وَالْمُنَجِّمِينَ

لِدَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالصَّحَابَةِ
وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ

كتاب يشتمل على عرض مفصل لاحتساب الأنبياء والمرسلين
(إبراهيم - موسى - سليمان - محمد (صلى الله عليهم وسلم))
وكذا الصحابة والتابعين وتابعي التابعين

إعداد

أبِى فاطمة عادل بن طاهر المقبل الدكتور محمد نور الدين



مقدمة المجموعة

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاَّ إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

وبعد: فإنَّ أصدق الحديث كلامُ الله، وخير الهدي هديُّ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعلى ذريته وآل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

إن السحر داء عظيم، ومعصية موبقة، وهو من أكبر الكبائر، إذ أنه باب للشرك عظيم لا تكاد تجد باباً هو أكبر منه في الإشرak بالله تعالى، والكفر به، وقد ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الشرك حين قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». وهو شرك كبير قديم موغل في القدم، يتنزه عنه ويبعد عنه كثير من الكفار والمشركين، إذ كانوا يصمون ويتهمون رسلهم بهذا الأمر الذئى هو منكر مذموم عند المؤمنين وعند الكافرين، فهو أمر تأباه الطباع السليمة وتنفر منه الفطر المستقيمة، إنه معصية لله تعالى كبيرة بل من أكبر الكبائر، وهو كذلك شيء يهلك الحرث

والنسل، وسبيل لنشر الفساد العريض في الأرض، ففيه مع الشرك بالله: كل موبقة ومعصية فيه القتل وسفك الدماء، وتعطيل الجوارح، وإفساد ذات البين، وتفريق بين المرء وزوجه وبين الأب وأبنه، والأبْن وأمه وأبيه، وتفريق بين كل حبيب وحبيبه، وقلب للأمور بتحبيب البغض، وأكل لأموال الناس بالباطل ونشر للفواحش والرذائل، وحدث كيفما شئت عن المفساد، وما تحدث مهما أكثر ث فلن يعدو أقل مضار السحر وبلاياه، من أجل ذلك تتابع أنبياء الله ورسله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، والمخلصون من عباده من الصديقين والصالحين والعلماء العاملين على الاحتساب عليه ومحاربته ومكافحته، وكذلك احتسبت الدول والممالك الإسلامية عليه؛ حماية لدين الأمة، وكذلك حماية للدولة وأمنها واستقرارها، بل أن ممالك غير إسلامية قاومت السحر وأحرقت السحرة لما رأت خطورتهم وما يحدثونه من أنواع المفساد، وقد احتسب العلماء على السحرة والكهان، وإن أول من احتسب على السحرة والكهان خيار عباد الله وأقومهم بأمره ونعنى الأنبياء والمرسلين، فإنهم تتابعوا على ذلك حتى ختموا بسيدهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثم نسج على منوالهم، ودرج على طريقتهم أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وحواريوه وكذلك مضى من جاء بعدهم بإحسان حتى يوم الناس هذا.

وفى هذا الكتاب وهذه المجموعة حديث عن هذا التاريخ العظيم من الاحتساب على السحر والسحرة والكهان والمشعوذين والدجالين، فبدأ

بعون الله وتوفيقه بالحديث عن معرفة الناس بالسحر منذ أقدم عصور البشرية، ونذكر مقدمات مهمة فيها بيان أول من ذكر القرآن اتهام قومه له صراحة بالسحر وهو صالح عليه السلام، ثم شعيب، ثم تتابع الأمم على ذلك، ثم بيان قدم هذه المعصية النكراء، ثم حديث عن أول من بين القرآن احتسابه ومقاومته للسحر ومناظرته لأهله وهو إبراهيم عليه السلام، وإن كنا نعتقد أن الأنبياء جميعاً نهوا عن هذا المنكر العظيم، الذي هو شرك به تعالى، فتحدث عن إبراهيم أول المحتسبين على السحرة، والمنجمين عبدة الكواكب، ثم عن موسى ثم عن سليمان عليه السلام ثم عن سيد المحتسبين صلى الله عليه وسلم، ثم في البحث حديث عن احتساب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ثم هناك حديث عن احتساب العلماء العاملين على السحرة والكهان عبر تاريخ الأمة، ثم حديث عن احتساب الممالك والدول: الاحتساب على السحرة في عهد الدولة الأموية، ثم العباسية ثم دولة الإسلام في الأندلس، ثم الدولة النورية الأيوبية، ثم الدولة المملوكي، ثم ممالك الأعاجم كالهند والسند، ثم الاحتساب عليهم ثم الدولة العثمانية، ثم في التاريخ المعاصر، ثم حديث عن الاحتساب في الممالك الآسيوية، والأفريقية، ثم الاحتساب في ظل الدولة السعودية الأولى والثانية، ثم الختام بالدولة السعودية الثالثة، وأنت واجد في هذا البحث حديثاً مفصلاً عن السحر والسحرة والكهان وأساليبهم ووسائل سحرهم، فستجد فيها بحثاً مفصلاً عن العقد وإعدادها واستعمالاتها، وكيفية حلها وفكها، وبحثاً

آخر عن الطلاسم وأنواعها وإبطالها، وبحثاً عن استخدام السحرة لحروف أبي جاد واستعمالاتها، ووجد أيضاً حديثاً عن علاقة السحرة بالنجوم والكواكب فهذه المجموعة تحذير من هذا البلاء الذي عم وطم فلم بدع مكاناً ولا زماناً، وهو في المجتمعات المتحضرة، كما أنه في أكثر المجتمعات بعداً عن ذلك في الادغال وفي أطراف الأرض، فهذا البحث مفصل متخصص للتحذير من هذا الشرك وهذا الفساد، وإننا لندعو أن يكون ضياء ونورا وزادا لكل محتسب على هؤلاء المارقين.

وإننا لنسأل الله الإخلاص والتوفيق والقبول، والحمد لله رب العالمين.

الخطّة العامّة للكتاب

يتكون الكتاب من مدخل وأربعة بحوث وهي على التفصيل التالي:

المدخل وفيه:

التعريف بالحسبة وأهميتها مع بيان أهمية الاحتساب على السحرة وإخوانهم.

أما البحوث الأربعة فهي:

البحث الأول: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

البحث الثاني: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند أصحاب النبي العدنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

البحث الثالث: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند خيار التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

البحث الرابع: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند أئمة أتباع التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

المدخل

ويشتمل على:

أولاً: الحسبة: تعريفها، وأهميتها.

ثانياً: أهمية الاحتساب في أمر السحر والكهانة والدجل.

أولاً: الحسبة: تعريفها، وأهميتها

للحسبة في دين الإسلام منزلة عالية رفيعة، ولها آثارها الحسنة في الدنيا والآخرة، وبها صلاح الدين والدنيا، وبها وبالإيمان بالله تنال الأمة الخيرية وتعلو على كل الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

والحسبة هي أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وبها يقوم أمر الدين عقيدة وشرعية، وتصلح أمور الناس ومعايشهم، وتذهب المنكرات والفواحش والموبقات، وللحسبة شغل بأمر السحر والسحرة، والكهانة والدجل والشعوذة والتنجيم، وما يتبعها ويشبهها من أمور تقدح في عقائد الناس، فهذه الأمور دعوة للشرك بالله في العلم الذي تفرد به سبحانه إذ يوحون إلى أوليائهم قدرتهم على الاطلاع على الغيب والإخبار به، كما يشركون بادعائهم مشاركة الله تعالى في جلب النفع وكشف الضر، كما أن هذه الأمور تجر أضراراً بالغة على الناس في دنياهم - بإذن الله - وهي بعد اكل لأموال الناس بالباطل؛ فتقوم الحسبة بكف أذى هؤلاء، ويقي الله بالمحتسبين الخلق شرهم ويحفظ بهم دينه. وسنذكر في هذا المدخل نبذة يسيرة عن الحسبة؛ تتناول تعريفها لغة، وشرعاً، وبيان أهميتها إجمالاً، وربط ذلك بموضوع الاحتساب على السحرة وإخوانهم.

(١) الآية ١١٠ سورة آل عمران.

الحسبة: لغة

جاء في تاج العروس: احْتَسَبَ فَلَانٌ عَلَيْهِ: أَنْكَرَ عَلَيْهِ قَبِيحَ عَمَلِهِ وَمِنْهُ الْمُحْتَسِبُ^(١).

وفي لسان العرب: الْحِسْبَةُ مصدر احْتِسَابِكَ الْأَجْرُ عَلَى اللَّهِ تَقُولُ فَعَلْتَهُ حِسْبَةً وَاحْتَسَبَ فِيهِ احْتِسَابًا وَالْاِحْتِسَابُ طَلَبُ الْأَجْرِ وَالْاسْمُ الْحِسْبَةُ بِالْكَسْرِ وَهُوَ الْأَجْرُ. وَالْاِحْتِسَابُ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَعِنْدَ الْمَكْرُوهَاتِ هُوَ الْبِدَارُ إِلَى طَلَبِ الْأَجْرِ وَتَحْصِيلِهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ أَوْ بِاسْتِعْمَالِ أَنْوَاعِ الْبِرِّ وَالْقِيَامِ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَرْسُومِ فِيهَا طَلَبًا لِلثَّوَابِ الْمَرْجُوعِ مِنْهَا^(٢).

وقد علق الشيخ مصطفى المراغي على ذلك في كتاب الحسبة فقال: فظاهر عبارة اللسان تدل على أن المحتسب مأخوذ من احتسب أجراً عند الله إذا اعتده وادخره، وصريح عبارة «القاموس» ترشد إلى أنه من احتسب عليه الأمر إذا أنكره عليه، ومن البين أن المناسبة جلية في أخذه من المعنى الأول كما أشار

(١) تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: مادة حسب (ج ١ / ص ٤١٤) تحقيق عبد الستار أحمد فراج، سلسلة التراث العربي وزارة الإرشاد الكويتية، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.، القاموس المحيط (ج ١ / ص ٤٨) تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.، المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ج ١ / ص ٤٨٥) تحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

(٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور: (ج ١ / ص ٣١٤)، دار صادر - بيروت الطبعة الأولى.

إليه صاحب «اللسان» إذ طلب الأجر أسبق في الفكر لدى المحتسب من إنكار عمل غيره ومنعه من فعله، وإن كان هذا يحصل تبعاً وعرضاً لا قصداً أولاً من العمل^(١).

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: الْحِسْبَةُ لُغَةً: اسْمٌ مِنَ الْإِحْتِسَابِ، وَمِنْ مَعَانِيهَا الْأَجْرُ وَحُسْنُ التَّدْبِيرِ وَالنَّظَرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فَلَانَ حَسَنُ الْحِسْبَةِ فِي الْأَمْرِ إِذَا كَانَ حَسَنَ التَّدْبِيرِ لَهُ. وَمِنْ مَعَانِي الْإِحْتِسَابِ الْبِدَارُ إِلَى طَلَبِ الْأَجْرِ وَتَحْصِيلِهِ. وَاسْمُ الْفَاعِلِ الْمُحْتَسِبُ أَيْ طَالِبُ الْأَجْرِ. وَمِنْ مَعَانِيهَا الْإِنْكَارُ يُقَالُ: احْتَسَبَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ إِذَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ^(٢).

إذن للحسبة معنى عام هو طلب الأجر في العمل، وهو يشمل كل ما يفعله مسلم من معروف، وما يتركه من منكر، وللحسبة معنى خاصاً، وهي تكليف ولي الأمر شخصاً للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعطى سلطة تخوله من فعل ذلك. ومما جاء في السنة بالمعنى العام حديث: راشد بن حبيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعود في مرضه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتعلمون من الشهيد من أمتي فأرم القوم

(١) الحسبة: أحمد مصطفى المراغي ص ١١ تصحيح: محمد عبد الرحمن الشاغل، الجزيرة للنشر والتوزيع: ٢٠٠٥ م.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ١٧ ص ٢٢٢ باختصار: وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣.. ومصادر المادة: الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٤٠، ولأبي يعلى ص ٢٦٦، ومعالم القربة ص ٧، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٦.

فقال عبادة ساندوني فأسندوه فقال يا رسول الله الصابر المحتسب فقال رسول الله ﷺ إن شهداء أمتي إذا لقليل القتل في سبيل الله عزَّجَلَّ شهادة والطاعون شهادة والغرق شهادة والبطن شهادة والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة قال (وزاد أبو العوام سادن بيت المقدس) والحرق والسل^(١).

وقال ﷺ: «لا أجر إلا عن حسبة ولا عمل إلا بنية»^(٢).

الحسبة: شرعا:

عَرَفَ جُمهُورُ الْفُقَهَاءِ الْحُسْبَةَ: بِأَنَّهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا ظَهَرَ تَرْكُهُ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ إِذَا ظَهَرَ فِعْلُهُ^(٣).

وعرفها المراغي تعريفا شاملا هو أليق بموضوع بحثنا، فقال: مفهوم الحسبة شرعا: ولاية دينية يقوم ولي الأمر -الحاكم- بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقا لمصالح الناس الدينية والدينية وفقا لشرع الله تعالى^(٤).

أما المحتسب فهو: مَنْ نَصَبَهُ الْإِمَامُ، أَوْ نَائِبُهُ لِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ،

(١) رواه أحمد ج ٣٢ ص ٢٠٤ حديث ١٥٤٢٦، وهو في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ١٣٩٦ - (ج ٢ / ص ٧٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن: ج ١ ص ٤١، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة ج ٥ ص ٢٠٦.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ١٧ ص ٢٢٣.

(٤) الحسبة: الشيخ المراغي ص ١.

وَالْكَشْفِ عَنْ أُمُورِهِمْ، وَمَصَالِحِهِمْ^(١).

وذكر العلماء ما يختص به المحتسب عن غيره من المسلمين الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فقالوا: الْمُحْتَسِبُ هُوَ: مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا ظَهَرَ تَرْكُهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إِذَا ظَهَرَ فِعْلُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَهَذَا وَإِنْ صَحَّ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ لَكِنَّ الْمُحْتَسِبَ مُتَعَيَّنٌ عَلَيْهِ بِحُكْمٍ وَلَايَتِهِ، لَكِنَّ غَيْرُهُ فَرَضٌ عَلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الْكِفَايَةِ، كَمَا أَنَّ لِلْمُحْتَسِبِ اسْتِتَابَةَ الْمُخَالَفِينَ، وَتَحْذِيرَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَتَعْزِيرَهُمْ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ مِنَ التَّعْزِيرِ عَلَى قَدْرِ الْجِنَايَةِ، وَإِذَا لَمْ تَظْهَرْ الْمَحْظُورَاتِ فَلَيْسَ لِلْمُحْتَسِبِ أَنْ يَتَجَسَّسَ عَلَيْهَا وَلَا أَنْ يَهْتِكَ الْأُسْتَارَ حَذَرًا مِنَ الْإِسْتِتَارِ بِهَا، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَادُورَةَ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَ فَلَيْسَتْ رِ بَسْتَرِ اللَّهِ»^(٢).

أَرْكَانُ الْحِسْبَةِ

للحسبة أربعة أركان هي: الْمُحْتَسِبُ، وَالْمُحْتَسَبُ عَلَيْهِ، وَالْمُحْتَسَبُ فِيهِ، وَنَفْسُ الْإِحْتِسَابِ^(٣).

(١) معالم القربة في طلب الحسبة: محمد بن محمد القرشي ص ٢ تحقيق محمد محمود شعبان،

صديق أحمد المطيعي، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م..

(٢) رواه البيهقي في السنن ج ٨ ص ٣٢٦ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث

رقم ٢٣٩٥ وراجع الموسوعة الكويتية: ج ١٠ ص ١٦٨.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ١٧ ص ٢٣٥.

من شروط المحتسب:

يقوم المحتسب بمهمة جليلة، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحتسب داع إلى الله تعالى، ودعوته لا بد أن تكون على علم صحيح، ودراية بما يحتسب عليه وفيه، فهو داع إلى الله وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ **أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ^(١)، قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: إِنَّمَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى مَنْ كَانَ عَالِمًا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ^(٢).

وعليه فالمحتسب في أمر السحر لابد وأن يكون بصيرا بأمر السحر والكهانة، وأفعال السحرة والكهان والمنجمين، وأن يعرف أن السحر علم ولكنه علم يضر ولا ينفع، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلْطَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِبْلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ^(٣). فقد بين ربنا كون السحر علما في

(١) الآية ١٠٨ سورة يوسف.

(٢) شرح النووي على مسلم: للنووي (ج ١ / ص ١٣١) المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ=١٩٩٦:

(٣) الآية ١٠٢ سورة البقرة.

قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾. وقال ربنا سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾^(١).

فلا بد أن يعرف أن السحر علم له أصوله وفروعه، وله حروفه وأرقامه وعقده وطلاسمه، كما ينبغي على المحتسب على السحرة والكهان والمشعوذين أن يكون حريصا على طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذا رأي وقوة، محافظا على أذكاره وأوراده، مكثرا من ذكر الله، فإنه يكون محفوظا من الشياطين كما بين ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيَ وَكُفِيََتْ وَوُكِّيتَ فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرٍ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُكِّيَ»^(٢).

ويكون كذلك متصباحا بسبع تمرات، سالكا سبيل المحتسبين من الأنبياء والصالحين من عباد الله، وذلك أن المحتسب في باب السحر والكهانة يواجه شياطين الإنس والجن، وهو محارب لهم مبطل لعملهم وسعيهم، فينبغي أن يكون متحصنا متسلحا، وهذه أعظم أسلحته.

(١) سورة يونس الآية ٧٩.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته حديث رقم ٤٤٣١ وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

ومعرفته بذلك تجعله عالما بحيل السحرة، وضلالاتهم، وشبههم، بصيرا بما يجعل أمرهم مكشوفاً، وحجتهم داحضة. لا يفتتن بشبه السحرة، وتليسات الكهان، ومخاريق المنجمين، ولا تنطلي عليه حيلهم وحيل المشعوذين^(١).

مراتب الحسبة في أمر السحر والكهانة والتنجيم:

إن باب الاحتساب على السحرة وإخوانهم من أعظم أبواب الاحتساب قاطبة، إذ هو نهى عن أعظم الذنوب وهو الشرك بالله تعالى، وهو قيام بأعظم الحقوق وهو التوحيد، أن يعبد الله وحده ولا يستغاث إلا به، ولا يستعان إلا به، ولا يطلب النفع وصرف الضر إلا من قبله تعالى، وعليه فإن مراتب الحسبة في هذا الباب هي:

١. إنكار باليد وقد ثبت ذلك في قوله: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢).

٢. مرتبة الانكار والاحتساب والبيان باللسان، وذلك بتعريف الناس خطورة

(١) يوجد ملحظ على المحتسبين يجب التنبه له، وهو ضرورة تفريقهم وفهمهم ومعرفتهم بالفرق بين السحر وبين خفة اليد وينبغي عدم الخلط بينهما، ويحضرني هنا قصة رجل كان قد درس خفة اليد في أمريكا وذكروا عنه أنه ساحر، وكان يأكل الجمر وحينما جلست معه بصحبة الشيخ صلاح غيدان وقلت له أن هذا ليس بساحر وإن هذا الذي يأكله جمر أمريكي مخصوص ما إن يتعرض للهواء أو ينفخ فيه إلا انطفأ ولكن أنا أتيه بجمر من عندي وليرني كيف يأكله، فقام الرجل وسجد سجدة شكر وقال هل رأيتم، وتبين أن خصومة قامت بينه وبين زوجته تقدمت بسببها بدعوى تتهمة بأنه ساحر.

(٢) رواه رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ حديث رقم

أمر السحر، وخطورة إتيان السحرة، وبيان حال السحرة. وكذلك بالوعظ والردع لمن يتعاطى ذلك، وقد أمر الله به كما في الحديث السابق: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبَلْسَانِهِ»، وقد أمر الله بالقوة في القيام بأمره قولاً وعملاً فقال سبحانه: عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاكِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ بِأَخْذِهَا بِحَسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١)، وقال تعالى ليحيى: ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآيَنَّاكَ الْحُكْمَ صَبِيًا﴾^(٢) وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغضب إذا مس جناب التوحيد، من ذلك ما جاء عن أبي واقد الليثي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(٣) فقد تعجب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الكلمة ويبين خطورتها، وكذلك لما قال له رجل: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: جَعَلْتُ لِلَّهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ

(١) الآية ١٤٥ سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٢ سورة مريم.

(٣) رواه الترمذي في كِتَابِ الْفِتَنِ، بَابُ مَا جَاءَ «لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، حديث ٢١٠٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٦٠١. وذات أنواط هي شجرة كانت للمشركين يعلقون عليها أسلحتهم يزعمون أنها تمنح سيوفهم القوة. راجع تحفة الأخوذي بتصرف وراجع شرح الحديث مبسوطاً في: حديث اجعل لنا ذات أنواط دراسة حديثة عقدية د عبد الله بن عيسى الأحمدى بدون بيانات.

اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١). وفي رواية: «أجعلتني لله ندا»، فلم يقبل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاتين الكلمتين وأنكرهما غاية الإنكار، مع أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد يتلطف في الإنكار في أمور أخرى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزِرُّمُوهُ ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّ عَلَيْهِ»^(٢) ولم يصنع في ذلك ما صنعه في أمر التوحيد.

والاحتساب على السحرة احتساب على أعظم منكر، وفيه منكرات أخرى لا حصر لها. ومع ذلك فإن المحتسب يراعي أحوال الناس في ذلك ويرحمهم، فمن ضبط قاصدا ساحرا ليعطيه حجابا ويعقد له عقدا للاستشفاء أو الحفظ يبين لهذا الجاهل المغرور ذلك ويطلق سراحه تغليا للمصلحة وطمعا في هدايته سواء السبيل بعد البيان له.

٣. مرتبة الإنكار بالقلب وهذه لكل مسلم عند العجز عن الإنكار باليد واللسان، وهي لكل مسلم لا تسقط بحال، فالإنكار بالقلب لا يقدر أحد على منعه إذ لا سلطان لأحد على القلب إلا الذي فطره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مجالات الحسبة في أمر السحر والكهانة والدجل والتنجيم:

إن مجالات الحسبة على السحرة والكهان والدجالين والمشعوذين كثيرة،

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم ٨، ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٥٤، وصححه الألباني وذكر الألباني أن أحمد ذكره بلفظ أ جعلتني لله ندا وصححه.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الرِّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، حديث رقم ٥٥٦٦، ورواه مسلم في كتاب الطهارة، باب النَّهْيِ عَنِ الْإِغْتِسَالِ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ حديث رقم ٤٣٧.

ويمكن ردها إلى أصلين عظيمين:

الأول ما يتعلق بحق الله تعالى، والثاني ما يتعلق بحقوق العباد.

فأما الحسبة على السحرة وإخوانهم فيما يتعلق بحق الله:

فإن المحتسب ينهى عن الشرك بالله، وينهى عن تعليق هؤلاء قلوب العباد بغير الله، وينهاهم عن منازعتهم الله سلطانه في العطاء والمنع والنفع والضرر، كما ينهاهم عن تكذيب كلام الله وذلك حينما يوحون إلى أوليائهم أنهم يهبون للعقيم ولدا، والله قال: ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(١)، إلى غير ذلك من الأمور التي فيها الشرك والكفر ومنازعة الله فيما يختص به تعالى، وما يتبع ذلك مما يفعله السحرة كامتهان كتاب الله وأسمائه، وأسماء أنبيائه إلى غير ذلك مما هو حق لله تعالى.

أما ما يتعلق بحقوق العباد:

فالمحتسب يحتسب على السحرة والكهان والمنجمين والمشعوذين لكونهم يعتدون على خلق الله فيعمل الساحر أفعالا فيها اعتداء على النفس بالقتل وتلف الأعضاء، ويعتدي السحرة والمنجمون والكهان والمشعوذون على أموال الناس فيأكلونها بالباطل، كما يعتدون على الأعراض حينما يصرفون الزوجة عن أحله الله لها، ويعطفونها على ما حرم، كما يعتدون على عقول الناس، وهم يعتدون على أديان العباد، وبالجملة فالسحرة وإخوانهم يعتدون

(١) من الآية ٥٠ سورة الشورى..

على الكليات الخمس الضرورية التي لا قوام للناس إلا بها، فالمحتسب يحتسب عليهم ويمنعهم بإذن الله من الاعتداء على حقوق الله وعلى حقوق عباده.

والمحتسب في أمر السحر والتنجيم والكهانة عليه عبء أكبر من غيره من المسلمين والمحتسبين، ذلك أن أمر السحرة وإخوانهم يقوم على السرية والكتمان، كما يقوم على التلبيس على خلق الله، فيظهر الواحد من هؤلاء. في ثوب الشيخ العابد الزاهد الساعي في نفع المسلمين، وعنده الحيل التي يروج بها باطله على الناس، وهذا غير المنكرات الظاهرة المعلومة، التي يفعلها ويأمر بها، وأحيانا يظهر للناس بظاهر الصلاح والاستقامة والولاية والكرامة، ويوهم الناس أن عنده علم لدني، أو سر من الأسرار، أو أن الله خصه بمعرفة اسمه الأعظم.

ثانيا: أهمية الاحتساب في أمر السحر والكهانة والدجل

والشعوذة

إن للحسبة أهميتها الكبرى فيها قوام دين الله تعالى، ودفع الناس إلى لزومه رغبا ورهبا، وهي ولاية من الولايات الشرعية التي، أقامها الإسلام لصلاح الدين والدنيا، قال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (فهذه: «قاعدة في الحسبة». أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب، وبه أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣)، وقد أخبر عن جميع المرسلين أن كلا منهم يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٤). وعبادته تعالى تكون بطاعته وطاعة رسوله، وذلك هو الخير والبر والتقوى والحسنات، والقربات والباقيات الصالحات والعمل الصالح، وإن كانت هذه الأسماء بينها فروق لطيفة ليس هذا موضعها. وهذا الذي يقاتل

(١) الآية ٥٦ سورة الذاريات.

(٢) الآية ٢٥ سورة الأنبياء.

(٣) الآية ٣٦ سورة النحل..

(٤) الآية ٥٩ سورة الأعراف..

عليه الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾^(١) وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأَيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(٢).

قال المراغي في كتاب الحسبة: الحسبة شرعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامة من دعائم الدين، وبه بعث الله النبيين أجمعين، ولولاه لنشطت الضلالة، وعمت الجهالة، وانتشر الفساد، وخربت البلاد، وهلك العباد^(٣). والنهي عن السحر والكهانة مرتبط بحماية جناب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

أهمية الاحتساب في أمر السحر والكهانة والتنجيم والدجل والشعوذة. علمنا مما سبق منزلة الحسبة في دين الله عموماً، وضرورتها لقيام دين الناس ومعاشرهم، وإن للاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين والمشعوذين أهمية كبرى، تتجلى هذه الأهمية من خلال أمور كثيرة، منها:

١. أن السحر من أكبر الكبائر، وأعظم الموبقات، وذم الله سبحانه متعاطيه،

(١) الآية ١٩٣ سورة البقرة.

(٢) رواه البخاري في كتاب التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْفَرَسَلِينَ﴾ حديث رقم ٦٩٠٤، ومسلم في كتاب الإِمَارَةِ بَابُ «مَنْ قَاتَلَ لِيَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، حديث رقم ٣٥٢٥.

(٣) الحسبة في الإسلام: أحمد مصطفى المراغي ٣٣.

وأخبر أن الخسران قرينه، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾^(١) وقال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(٢)، وذمه النبي ﷺ، وقرنه بالشرك ففي حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا الْمُؤَبَقَاتِ الشَّرِّكَ بِاللَّهِ وَالسَّحْرُ»^(٣).

٢. أن الاحتساب على السحر قيام بأعظم الحقوق، وهو أن يوحد الرب تعالى توحيدا خالصا، وأن يزال الشرك والكفر به تعالى، فالمحتسب على السحرة وإخوانهم، ناه عن أعظم منكر، وهو الإشراف بالله؛ فإن السحرة وإخوانهم يدعون علم الغيب، ويلقون في قلوب الناس أنهم مطلعون على الغيب، وأنه قادرون على معرفة ما ضاع منهم، خبيرون بمكان من ضل من أهلهم، الساحر وإخوانه ينازعون في الربوبية إذ يدعي أنه قادر على هبة الولد، وعلى حمل العاقر، وعلى شفاء الأسقام والأمراض، فقيام المحتسب في هذا الباب قيام بأعظم الحقوق ونهي عن أعظم المنكرات.

٣. ثم إن المحتسب على السحرة وإخوانهم ناه عن الفساد في الأرض، ومانع من أذى عباد الله، لقد عم شرهم وضررهم وخطرهم، فكم من بيوت هدموها، وكم من عزيز أذلوه، وكم من امرأة فرقوا بينها وبين زوجها، وكم من حبيب فرقوا بينه وبين محبوبه، وكم انتهك السحرة من أعراض، كل ذلك بإذن

(١) الآية ٧٧ سورة يونس.

(٢) الآية ٦٩ سورة البقرة.

(٣) رواه البخاري في كتاب الطب، باب الشُّرْكُ وَالسَّحْرُ مِنْ الْمُؤَبَقَاتِ حديث ٥٣٢٢.

الله، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

٤. كذلك تبدو أهمية الاحتساب على السحرة وإخوانهم وضرورته من الانتشار المرعب لهذه الأعمال، فقد عم الأمر به وطم حتى غزا كل المجتمعات، ونال كل الطبقات، وتعلقت به قلوب مختلف الناس من مسلم وغير مسلم، ومتعلم وجاهل، وغني وفقير، وصاحب جاه وسلطان ومن لا جاه له، والرجال والنساء، كما أن السحرة كذلك أصبحوا من كل الأجناس والطبقات والأديان، والعجيب تعلق بعض المسلمين بالسحرة حتى من لم يكن مسلماً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) من الآية ١٠٢ سورة البقرة.



البحث الأول

الاحتساب

على السحرة والكهان والمنجمين

عند الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

مقدمة

الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم السفراء بين الله وبين عباده، أرسلهم ربهم سبحانه، لدعوة الناس إلى عبادته وحده لا شريك له، ولدلالتهم على كل خير، أرسلهم ربنا لدعوة الناس إلى التوحيد الخالص، ونهيههم عن الشرك كله صغيره وكبيره، ظاهره وخفيه، فقاموا بذلك الأمر محتسبين يطلبون الأجر من الملك الجليل الذي أرسلهم، لا ييغون من أحد جزاءً ولا شكوراً، فقاموا يدعون القريب والبعيد والحر والرقيق، والغنى والفقير، والشريف وغيره، فالأنبياء أول من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأول من احتسب وأعظم من احتسب وأحكم وأعلم من احتسب، وفي بحثنا هذا إشارة إلى شيء من احتساب ثلة مباركة من هؤلاء المصطفين الأخيار في جانب من جوانب الاحتساب العديدة، وأبوابه المتنوعة، ألا وهو احتسابهم على السحرة والكهان والمنجمين، لتكون قصصهم في ذلك عبرة، كما تكون زاداً للمحتسبين على السحرة والكهان، كما نرجو من الله الكريم ونلتمس أن تكون هذه المجموعة ضياءً للمحتسبين يسيرون على هداه في مقاومة هؤلاء الفجار والكفار الأشرار.

هذا وإن عرضنا لاحتساب هذه الثلة المباركة، ومعرفة هذا التاريخ المشرق في هذا الجانب تطلع المحتسب على سنن الله تعالى في كونه، وتطلعه على

سنة التدافع بين الحق والباطل، فيرى المحتسب التدافع بين الدعاة إلى توحيد الله تعالى وبين الدعاة إلى الباطل من السحرة والكهان وإخوانهم، وترى المجموعة المحتسب على هؤلاء السحرة كيف ارتبط السحر بالضلال، وكيف أنه كان منبوذاً، وأنه لم يشغل به نبي ولا صالح من عباد الله تعالى، بل هو منذ أقدم العصور إلى يوم الناس هذا مرتبط بأهل الشر والفساد، ومقرون بالمفاسد والموبقات، ولذلك نراه ظاهراً في الملل الباطلة والنحل الفاسدة، كما تراه عند فرق الضلال المنتسبة إلى الإسلام، فتراه في الرفضية، وتراه عند الصوفية، بل حتى تراه عند بعض الخوارج.

وبما أن دعوة الأنبياء متفقة على الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك، وبما أن السحر باب للشرك عظيم، كما أن الكهانة كذلك، فإننا سنعرض لاحتساب الأنبياء والمرسلين عليهم على نبينا صلوات الله وسلامه عليهم.

ويشتمل هذا البحث على: مقدمات وأربعة مباحث:

المقدمات: وفيها مقدمات مهمة تتعلق باحتساب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الأول: احتساب أبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام.

على السحرة والمنجمين.

المبحث الثاني: احتساب موسى الكليم عليه السلام على السحرة والكافرين.

المبحث الثالث معالم الاحتساب في قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الرابع: احتساب نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السحرة والكهان والمنجمين.

والله نسأل التوفيق والقبول والإخلاص.

المقدمات

مقدمات مهمة تتعلق باحتساب^(١) الأنبياء والمرسلين «عليهم الصلاة والسلام» على السحرة والكهان.

نعرض هنا مقدمات مهمة قبل البدء في الحديث عن احتساب الأنبياء:

المقدمة الأولى:

دعا الأنبياء جميعاً إلى التوحيد ونبذ الشرك، قالى تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا

(١) يرد سؤال هنا مفاده: هل يقال عن النبي ﷺ، وإخوانه عليهم السلام أنهم محتسبون، والمعلوم والمشهور أن المحتسب له: «الأمر بالعروف والنهي عن المنكر مما ليس من خصائص الولاية والقضاة وأهل الدين ونوهم، وأنه يعاقب بالضرب والحبس إما القتل فإلى غيره» كما جاء في الحسبة لابن تيمية ص ١٠ ورود نحوه في كتب الحسبة. والجواب من وجوه:

١. الأول: أنه سبق في المدخل أن الاحتساب له معنيان الأول عام ويعنى احتساب الأجر وطلب الثواب من الله، والثاني بهذا المعنى المذكور آنفاً، وعليه فالأنبياء داخلون في المعنى العام فهم خيار المحتسبين الطالبين الأجر من الله تعالى. وخير من عمل محتسباً وطالباً الأجر من الله تعالى.

٢. الثاني: ان حدود الحسبة وحدود عمل المحتسب لاحتساب له في الشرع وأن هذه الحدود تتلقى من الألفاظ والأحوال والعرف وليس لذلك حد في الشرع كما جاء في الحسبة لابن تيمية ص ١٠.

٣. الثالث: أن صاحب الولاية الأعلى يقوم بأعمال من هو أدنى منه، فالخليفة والسلطان الأعظم يقوم بما يقوم به الأمير والقاضى فمن دونهما، حتى أن نبينا ﷺ كان يقوم بالحسبة في السوق ﷺ ويحتسب على التجار، وهكذا شأن الأنبياء لاسيما خاتمهم وسيدهم ﷺ وآله وسلم. راجع الحسبة أيضاً ص ٤٧.

٤. الرابع: الحسبة من ولايات الامام ولكنه هو يفوض غيره في ذلك.

مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾، وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢)، وذكر

الله عن نوح وجملة من الأنبياء بعده في سورة الأعراف أنهم قالوا لأقوامهم:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٣)، وقال تعالى لنييه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَسَأَلَ مَنْ

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ (٤). ويوم يقول

ربنا لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ ابْنُ مَرْيَمَ هَآأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي

وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ

قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ

فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ (٥).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كما في البخاري وغيره: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» (٦). «قال ابن حجر ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع» (٧).

(١) الآية ٣٥ سورة الأنبياء.

(٢) الآية ٣٦ سورة النحل.

(٣) الآية ٥٩ سورة الأعراف.

(٤) الآية ٤٥ سورة الزخرف.

(٥) الأيتان ١١٦-١١٧ سورة المائدة.

(٦) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ

أَهْلِهَا﴾ حديث رقم ٣١٨٧.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ١٠ ص ٢٤٤ تحقيق محب الدين الخطيب،

وبما أن السحر شرك بالله تعالى فلا ريب في أن الأنبياء تتابعوا في النهي عنه، والاحتساب على أهله.

المقدمة الثانية: للسحر تاريخ قديم

إن السحر جريمة مוגلة في القدم، صحبته البشرية منذ زمن سحيق لا يعمله إلا الله تعالى، وكما هو معلوم فإن بين آدم ونوح عشرة قرون كانت كلها على التوحيد، فهذه القرون لم يكن فيها شرك وبالتالي لم يكن فيها سحر.

ولقد أشار القرآن إلى وجود السحر في تلك الأزمان السحيقة إشارات منها:

ما ذكره القرآن عن اتهام الكفار لرسلمهم بأنهم سحرة، ووصم آياتهم بأنها سحر، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾^(١)، فأخبر الله عن طريقة الكفار مع أقوامهم وهو وصف الأنبياء بالسحر وهو دليل على معرفتهم به، بل واعتباره من النقائص والعيوب، وفي هذه الآية إشارة أن الأمم المكذبة قاطبة قالت هذا لرسلمها من نوح عَلَيْهِ السَّلَام حتى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره للآية: يقول تعالى ذكره: كما كذبت قريش نبيا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت: هو شاعر أو مجنون، كذلك فعلت الأمم المكذبة رسلمها، الذين أحل الله بهم نعمته، كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه، ما أتى هؤلاء القوم الذين ذكرناهم من قبلهم من رسول إلا

مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

(١) الآية ٥٣ سورة الذاريات.

قالوا ساحر أو مجنون كما قالت قريش محمد ﷺ^(١).

وقال الألوسي: «وكذلك أي الأمر مثل ذلك، ما أتى الذين من قبل قريش من رسول من رسل الله إلا قالوا في حقه ساحر أو مجنون، وأو قيل للحكاية أي قالوا ساحر أو قالوا مجنون، وهى لمنع الخلو... وفى المحيط هي للتفصيل أي قال بعض ساحر وقال بعض مجنون وقال بعض ساحر ومجنون، فجمع القائلون في الضمير، ودلت أو على التفصيل^(٢)».

وفيه: أن الآية إنما تدل على أن الرسل الذين أتوا من قبلهم كلهم قد قيل في حقهم ما قيل^(٣).

وقال الطاهر بن عاشور: قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ راجع إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْ لَنَا قَوْلٌ مُخْتَلِفٌ﴾^(٤)، أي مثل قولهم المختلف في النبي محمد ﷺ قال الذين من قبلهم لما جاءتهم رسلهم، والمعنى أن حال هؤلاء كحال الذين سبقوه ممن كانوا مشركين أن يصفوا الرسول بأنه ساحر أو مجنون فكذلك سيجيب هؤلاء عن قولهم: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٥) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ^(٥).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري ج ٢٢ ص ٤٤١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الألوسي ج ١٩ ص ٤٠٦، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٣) السابق.

(٤) الآية ٨ سورة الذاريات.

(٥) الآيتان ٥١-٥٣ سورة الذاريات.

بمثل جواب من قبلهم، وزيادة من في قوله ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ للتنقيص على إرادة العموم، أي أن كل رسول قال فيه فريق من قومه هو ساحر، أو مجنون أي قال بعضهم ساحر وقال بعضهم مجنون، وقد يجمعون القولين... وهذا العموم يفيد بأنه لم يخل قوم من الأقسام المذكورين إلا قالوا لرسولهم أحد القولين... والاستثناء في: ﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ استثناء من أحوال محذوفة... والقصد المستفاد من الاستثناء قصر إدعائي؛ لأن للأمم أقوال أخرى غير ذلك، وأحوالاً أخرى، وإنما قصرُوا (بضم الواو) على هذا اهتماماً بذكر هذه الحالة العجيبة من البهتان؛ إذ يرمون أعقل الناس بالجنون وأقومهم بالسحر^(١).

ولما تكلم الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عن هاروت وماروت وناقش أموراً تتعلق بهم قال: (وفى وجود السحر في كل زمان ووقت أبين الدلالة على فساد هذا القول) لقول ذكره قوم ورده هو رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢) فقد ذكر الطبري وجود السحر في كل زمان ومكان.

المقدمة الثالثة: أول من اتهمه قومه صراحة بالسحر من الأنبياء

عرفنا أن السحر كان معلوماً ومعروفاً منذ القدم، وأن القرآن ذكر على وجه العموم كلام الكفار وصفهم لرسولهم بأنهم سحرة، ولكن أول رسول صرح القرآن باتهام قومه له بالسحر هو صالح عَلَيْهِ السَّلَام، فقد ذكر الله أن ثمود قالوا له:

(١) التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور ج ١٤ ص ١١٨ الدار التونسية، الطبعة الأولى.

(٢) تفسير الطبري ج ٢ ص ٤٢٦.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^(١)، ومعناه إنما أنت من المسحورين ، كما ذكر ذلك مجاهد وقتادة^(٢) ثم تبعهم أصحاب الأيكة في وصف شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك أيضاً.

وكذلك وصف كفار بنى إسرائيل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٣).

قال الطبري: ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يقول: إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة على نبوتك وحقيقة ما أرسلتك به إليهم: فقال الذين كفروا منهم وجحدوا نبوتك وكذبوك من بنى إسرائيل إن هذا إلا سحر مبين، وقرأ عامة قراء الكوفة: إن هذا إلا ساحر بمعنى ما هذا إلا ساحر مبين، أي يبين بأفعاله وما يأتي به من الأشياء العجيبة عن نفسه أنه ساحر لا نبى صادق قال أبو جعفر والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان المعنى متفقتان غير مختلفتين، وذلك أن كل من كان موصفاً بفعل السحر فهو موصوف بأنه ساحر، ومن كان موصوفاً بأنه ساحر فإنه موصوف بفعل السحر^(٤).

وفى تفسير القرطبي: قالوا إنما أنت من المسحورين: أي أصبت بالسحر فبطل

(١) الآيتان ١٥٣-١٨٥ سورة الشعراء.

(٢) تفسير الطبري ج ١٩ ص ٣٨٤.

(٣) الآية ١١٠ سورة المائدة.

(٤) تفسير الطبري: ج ١١ ص ٢١٦ بتصرف.

عقلك لأنك بشر مثلنا فلم تدع الرسالة دوننا^(١).

المقدمة الرابعة: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والسحر

لقد جاء عيسى عليه بآيات بينات، عظيمة، كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يرى الأكمة والأبرص، وكان يحيى الموتى ويخبر الناس بما يدخرون في بيوتهم، وكان الطب في زمانه عَلَيْهِ السَّلَامُ غالباً، فأتاه الله ما يعجز عنه الطب والأطباء. ولما رأى قومه هذه الآيات العظيمة اتهموه بالسحر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المقدمة الخامسة: معجزات الأنبياء

لقد أيد الله تعالى رسله بآيات ومعجزات شاهدة أنهم رسل من عنده تعالى، وقد جاء ذكر هذه الآيات والمعجزات في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..

أما معجزة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: فكانت تلك السفينة التي بناها على اليبس عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم الطوفان الذي عم وطم ولم ينج منه إلا نوح ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۝٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَعَلْنَاكِ مَوَسَّى وَهَارُونَ ۝٤١﴾ وَهِيَ تَجْرَى

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ج ١٣ ص ١٣٠ تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ= ١٩٦٤ م.

بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَاَرْضُ أَبْلَغِي مَاءَكَ وَيَسْمَأَهُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴿١﴾.

أما معجزات إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فأبرزها وأشهرها نجاته من النار وجعلها عليه برداً وسلاماً قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٢﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴿٢﴾.

ومنها فداؤه لابنه إسماعيل بذبح عظيم: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنُهُ أَنْ يَتَابَرَهِيْمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَتُوا الْمُئِينَ ﴿١٠٦﴾ وَتَدَيَّنُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴿٣﴾.

أما معجزة صالح فكانت الناقة: قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤﴾.

(١) الآيات من ٣٨ إلى ٤٤ سورة هود.

(٢) الآيتان ٦٨-٦٩ سورة الأنبياء.

(٣) الآيات من ١٠٣ إلى ١٠٧ سورة الصافات.

(٤) الآية ٧٣ سورة الأعراف.

وقد أيد الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بآيات ومعجزات كثيرة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَّخَّرَ بِنِجْمِ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ (١). منها اليد والعصا، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ (٢) ومنها ما أرسل على قوم فرعون لما عصوه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (٣)، كما كان منها نزول المن والسلوى.

وكان لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ معجزات منها أن الجبال تسبح معه، والطير كذلك، وآلان الله له الحديد يشكله كيف يشاء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوَّيَ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١) ﴿١٢﴾ (٤).

وأيد ولده سليمان بملك عظيم اشتمل على بدائع الآيات وعجيب المعجزات، فقد آتاه ملكاً عظيماً، سخر له الأنس والجن والطير والوحش، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ ابْنُ رِيٍّ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ

(١) الآية ١٠١ سورة الإسراء.

(٢) الآيتان ١٠٥-١٠٦ سورة الشعراء.

(٣) الآية ١٣٣ من سورة الأعراف.

(٤) الآيتان ١٠-١١ سورة سبأ.

﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ، مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ
 أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقِيلَ لِمَنْ عِبَادِي الشُّكْرُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ
 عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
 الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴿١﴾. وعلمه تعالى منطق الطير قال تعالى:
 ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ
 هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
 يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿٢﴾، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
 وَالشَّيْطَانِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ ﴿٣﴾.

وأيد ربنا عيسى بمعجزات كثيرة: أولها ميلاده المعجز قال تعالى: ﴿قَالَ
 إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ
 يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ
 آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ ﴿٤﴾ ومنها كلامه الناس في
 المهد ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٥﴾.

ومنها أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً، قال

(١) الآيات ١٢-١٤ سورة سبأ.

(٢) الآيتان ١٦-١٧ سورة النمل.

(٣) الآيات ٣٦-٣٨ سورة ص.

(٤) الآيات ١٩-٢١ سورة مريم.

(٥) الآية ٤٦ سورة آل عمران.

تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١).

أما معجزات نبينا ﷺ فكثيرة جداً أعظمها القرآن الكريم، وإخباره بالمغيبات ﷺ وانشقاق القمر والإسراء والمعراج سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وسلام الحجر والشجر عليه ﷺ ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام والشراب له ﷺ، وحنين الجذع إليه ﷺ.

هذه الآيات من أدلة نبوتهم ﷺ وتكون آية كل نبي ومعجزته قاهرة لما برع فيه القوم عادة، فموسىٰ برع قومه في السحر فجاء موسىٰ بما أعجزهم وبهرهم، وبرع قوم عيسىٰ في الطب فجاءهم بما لا يقدر أي طبيب علىٰ فعله كإحياء الموتىٰ. وإبراء الأكمة وهو الذي ولد أعمىٰ فقد كان الطب قادراً علىٰ إصلاح العين المعطوبة لسبب عارض أما الذي ولد ولا استعداد عنده للإبصار فقد كان هذا مستحيلاً في زمانه فأعطاه الله إياه، ثم معجزته الباقية علىٰ مر التاريخ إحياء الموتىٰ مع ولادته من غير أب، أما نبينا ﷺ فقد برع قومه في اللغة والبيان فكان البيان آتينهم، وكان بالنسبة لهم كالسحر في زمان موسىٰ

والطب في زمن عيسى فكان القرآن أعظم من عصا موسى مع السحرة، وقد جلى هذا المعنى الرافعى في إعجاز القرآن، ومالك بن نبي في الظاهرة القرآنية، ومحمود شاكر في تقديمه الظاهرة القرآنية وفي كتابه مداخل في إعجاز القرآن.

هذه المعجزات تختلف عن ضلالات السحرة، فيها يؤيد الله تعالى خيار خلقه، واصدقهم لهجة واعظمهم استقامة واطهرهم خلقاً، أما ما يأتي به السحرة فهو مما تعينهم به الشياطين، والشياطين تعين شرار الخلق وأكذبهم حديثاً على الله وعلى عباده، وهم أسوأ خلق الله خلقاً وأفسدهم عقيدة وسلوكاً، وقد قال ربنا تعالى: ﴿هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٣١) نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٢﴾ يُلقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهم كَذِبُونَ ﴿٣٣﴾ (١). فالله تعالى يرسل جبريل إلى أنبيائه فينزل عليهم مؤيداً لهم بالوحي كما تنزل الشياطين على أفاك كذاب، كثير فعل الإثم، فالله يوحى إلى أنبيائه وهذا من المعجزات، وأن الشياطين توحى إلى أوليائها: قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُواكُمْ وَإِنَّ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٢). فالشياطين توحى إلى أوليائها وهو تنزل الشياطين عليهم فمعجزات الأنبياء يقررون بها الحق وينصرونه بها بخلاف السحرة وأعوانهم الذين ينصرون الباطل وأهله بأعمالهم.

(١) الآيات ٢٢١-٢٢٣ سورة الشعراء.

(٢) الآية ١٢١ سورة الأنعام.

ومن المعلوم أن الله تعالى حين يرسل رسله يؤيدهم بمعجزات إذا رآها
الناس أيقنوا أن هذا غير ممكن لمخلوق، ولا مقدور لأحد غير ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** :
فآمنوا بالله وبرسل الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : «مَا مِنْ
الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ
اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعثت بجوامع
القلم حديث ٦٧٣٢، ومسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
حديث ٢١٧.

المبحث الأول: احتساب أبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم

عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة والمنجمين

إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو إمام الحنفاء، أقبل على ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأعرض عن كل ملة باطلة، ونحلة فاسدة، وقد أثنى عليه ربنا بذلك حين قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، وأمر نبيه وخليله محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يذكر نعمة الله عليه في اتباع ملته عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، وأمره أن يذكر للناس نعمة الله تعالى عليه في ذلك حين قال له تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)، كان إبراهيم إماماً باختيار الله وتوفيقه إلى ذلك: إذ قال الله تعالى له: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٤). لقد كان عَلَيْهِ السَّلَامُ أمة وحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥)، لقد كان داعية إلى التوحيد الخالص، ناهياً عن الشرك مجانباً له، وقد واجه وجادل الكفار في زمانه من أبيه وقومه الذين يعبدون الأصنام، إلى غير هؤلاء ممن كان يعبد الكواكب، وهؤلاء كانوا

(١) الآية ١٢٠ سورة النحل.

(٢) الآية ١٢٣ سورة النحل.

(٣) الآية ١٦١ سورة الأنعام.

(٤) الآية ١٢١ سورة الأنعام.

(٥) الآية ١٢٠ سورة النحل.

سحرة احتسب عليهم إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** احتساباً عملياً، جادلهم وناظرهم. وفي هذا المبحث بيان لاحتسابه على عبدة الكواكب المنجمين السحرة عليه وعلى نبينا صلوات الله وسلامه. وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: إثبات تعاطي قوم إبراهيم السحر مع عبادة الكواكب.

المطلب الثاني: احتساب خليل الله إبراهيم على السحرة وعبدة الكواكب.

المطلب الأول: إثبات تعاظم قوم إبراهيم السحر مع عبادة الكواكب

ذكر ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن قوم إبراهيم الصابئة كانوا يعبدون الكواكب، وذكر مناظرة إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَام** لهم، وقد ذكر أهل العلم أنهم كانوا يتعاطون السحر، قال شيخ الإسلام: فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعو لها بأنواع الأدعية والتسيحات، ويلبس لها من اللباس والخواتم ما يظن مناسبتها لها، ويتحرى الأوقات والأمكنة والأبخرة المناسبة لها في زعمه. وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين؛ حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وصنف فيه بعض المشهورين كتاباً سماه: «السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم» على مذهب المشركين من الهند والصابئة^(١).

وقال عن الاتحادية: وَأَصْلُ قَوْلِهِمْ هَذَا مَأْخُودٌ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَالصَّابِئَةِ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ وَالْمُتَفَلِّسَةِ وَمُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الرَّبَّ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ ثُبُوتِيَّةٌ أَصْلًا وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَعْدَاءُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ **عَلَيْهِ السَّلَام** وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَنْتُونُ الْهَيَاكِلَ لِلْعُقُولِ وَالنُّجُومِ وَغَيْرِهَا^(٢).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ج ٢ / ص ٢٨٦) تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار إشبيلية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م..

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٢ / ص ٣٥١) خرج أحاديثه أحمد محمد شعبان، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُوَالِيًا لِلْكَفَّارِ: مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَبْغُضُ أَنْوَاعَ الْمُوَالَاةِ وَنَحْوَهَا: مِثْلَ إِيْتَانِهِ أَهْلَ الْبَاطِلِ وَاتِّبَاعِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ مَقَالِهِمْ وَفِعَالِهِمْ الْبَاطِلَ: كَانَ لَهُ مِنَ الدِّمِّ وَالْعِقَابِ وَالنَّفَاقِ بِحَسَبِ ذَلِكَ؛ وَذَلِكَ مِثْلَ مُتَابَعَتِهِمْ فِي آرَائِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ؛ كَنَحْوِ أَقْوَالِ الصَّابِئَةِ وَأَفْعَالِهِمْ مِنَ الْفَلَاسِيفَةِ وَنَحْوِهِمْ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَنَحْوِ أَقْوَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَفْعَالِهِمْ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَنَحْوِ أَقْوَالِ الْمَجُوسِ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَفْعَالِهِمْ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَمَنْ تَوَلَّى أَمْوَاتَهُمْ أَوْ أَحْيَاءَهُمْ بِالْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْمُوَافَقَةِ فَهُوَ مِنْهُمْ؛ كَالَّذِينَ وَافَقُوا أَعْدَاءَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ: مِنَ الْكَلْدَانِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عُبَادِ الْكَوَاكِبِ أَهْلِ السَّحْرِ^(١)).

قال ابن كثير: ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية:

الأول: سحر الكلدانيين والكُشدانيين، الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهي السيارة، وكانوا يعتقدون أنها مُدبِّرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مبطلا لمقاتلتهم ورادا لمذهبهم وقد استقصى في «كتاب السر المكتوم»، في مخاطبة الشمس والنجوم» المنسوب إليه فيما ذكره القاضي ابن خلكان وغيره ويقال: إنه تاب منه. وقيل إنه صنفه على وجه إظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد. وهذا هو

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي ج ٣ / ص ٢٤٢ تخريج وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

المظنون به، إلا أنه ذكر فيه طرائقهم في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة، وكيفية ما يفعلون وما يلبسونه، وما يتنسكون به^(١).

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية: وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ مَا كَانَ مِنْ جِنْسِ دَعْوَةِ الْكَوَائِبِ السَّبْعَةِ، أَوْ غَيْرَهَا، أَوْ خِطَابِهَا، أَوْ السُّجُودِ لَهَا، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ اللَّبَاسِ وَالْخَوَاتِمِ وَالْبُخُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ كُفِّرَ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الشَّرْكِ، فَيَجِبُ غَلْقُهُ، بَلْ سَدُّهُ. وَهُوَ مِنْ جِنْسِ فِعْلِ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۚ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝ ٨٨﴾^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۚ ۞ الْآيَاتِ، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝ ۞﴾^(٣).

كانت الأصنام طلاسماً لهذه الكواكب وصوراً لها:

بين شيخ الإسلام ذلك حين قال: (هؤلاء يجمعون بين الجبت الذي هو السحر والشرك الذي هو عبادة الطاغوت، كما يجمعون بين السحر ودعوة الكواكب، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام - بل ودين جميع الرسل - أنه شرك محرم، بل هذا من أعظم أنواع الشرك الذي بعثت الرسل بالنهي عنه، ومخاطبة إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم لقومه كانت في نحو هذا الشرك. قال الله

(١) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ج ١ / ص ٣٦٧ تحقيق: سامي بن

محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) الآيتان ٨٨-٨٩ سورة الصافات.

(٣) شرح الطحاوية: ابن أبي العز ج ٣ / ص ٢٤٢.

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ٧٦ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٧٩ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٨١ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ٨٢ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣﴾ (١)، فإن إبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتخذون الكواكب أربابا، يدعونها ويسألونها، ولم يكونوا هم ولا أحد من العقلاء يعتقد أن كوكبا من الكواكب خلق السماوات والأرض، وإنما كانوا يدعونها من دون الله على مذهب هؤلاء المشركين، ولهذا قال الخليل عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥﴾ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي

إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾^(١)، وقال الخليل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾^(٢) والخليل صلوات الله عليه، أنكر شركهم بالكواكب العلوية، وشركهم بالأوثان، التي هي تماثيل وطلاسم لتلك، أو هي أمثال لمن مات من الأنبياء والصالحين وغيرهم.^(٣)

قال الجصاص: فَمِنْهَا سِحْرُ أَهْلِ بَابِلَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾^(٤) وَكَانُوا قَوْمًا صَابِئِينَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ وَيُسَمُّونَهَا آلِهَةً وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ حَوَادِثَ الْعَالَمِ كُلِّهَا مِنْ أَفْعَالِهَا.^(٥)

وفصل ابن تيمية في شأن الصابئة فقال:

(وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(٦) أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَلَا اعْتَقَدَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنَّ كَوْكَبًا مِنَ الْكَوَاكِبِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَلَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ؛ بَلْ كَانُوا مُشْرِكِينَ بِاللَّهِ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَدْعُونَهَا وَيَبْنُونَ لَهَا الْهَيْكَلِ وَيَعْبُدُونَ فِيهَا أَصْنَامَهُمْ وَهُوَ دِينُ الْكَلْدَانِيِّينَ وَالْكَشْدَانِيِّينَ وَالصَّابِئِينَ الْمُشْرِكِينَ؛ لَا الصَّابِئِينَ الْحُنَفَاءَ وَهُمْ

(١) الآيات ٧٥-٧٧ سورة الشعراء.

(٢) الآيتان ٦٢-٢٧ سورة الزخرف.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ج ٢ / ص ٢٨٧ وما بعدها.

(٤) أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الجصاص تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء

التراث العربي بيروت، ١٤٠٥ هـ.

الَّذِينَ صَنَّفَ صَاحِبُ «السِّرِّ الْمَكْتُومِ فِي السَّحْرِ وَمُخَاطَبَةِ النُّجُومِ» كِتَابَهُ عَلَى دِينِهِمْ. وَهَذَا دِينٌ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَيْهِ بِالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَكَانُوا قَبْلَ ظُهُورِ دِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ جَامِعُ دِمَشْقَ وَجَامِعُ حَرَّانَ وَغَيْرُهُمَا مَوْضِعُ بَعْضِ هَيَاكِلِهِمْ: هَذَا هَيْكَلُ الْمُشْتَرِيِّ وَهَذَا هَيْكَلُ الزُّهْرَةِ. وَكَانُوا يَصْلُونَ إِلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ؛ وَبِدِمَشْقَ مَحَارِيبُ قَدِيمَةٌ إِلَى الشَّمَالِ. وَالْفَلَاسِفَةُ الْيُونَانِيُّونَ كَانُوا مِنْ جِنْسٍ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْأَصْنَامَ وَيَصْنَعُونَ السَّحَرَ وَكَذَلِكَ أَهْلُ مِصْرَ وَغَيْرُهُمْ. وَجُمْهُورُ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا مُقَرِّينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْمُنْكَرُ لَهُ قَلِيلٌ مِثْلَ فِرْعَوْنَ وَنَحْوِهِ.

وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا مُقَرِّينَ بِالصَّانِعِ وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ (١) فَعَادَى كُلُّ مَا يَعْبُدُونَهُ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢).

(١) الآيات ٧٥-٧٧ سورة الشعراء.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ج ١ / ص ٤٨٨.

لقد احتسب إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ على هؤلاء السحرة المنجمين عبدة الكواكب، وواجههم وحده عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس معه إلا خليله جَلَّ وَعَلَا: قال تعالى:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ^(١).

و كذلك المحتسب الموحد لا يخاف من السحرة مهما كان عددهم،
ومهما أشاعوا عن قوتهم وخوفو العباد منهم، فإنما هم أولياء الشيطان وأتباعه
وعباده، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢)، وبين ربنا سبحانه وتعالى أن تأثيره انما هو في أتباعه وسلطانة عليهم لا
على عباد الله الموحدين، فكيف الظن بالمحتسبين المحاربين لشرك السحرة
القائمين بأعظم أمر الناهين عن أعظم منكر قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(١) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ
وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾^(٣).

إن المحتسب لا يخاف إنما الذي يخاف هم أولئك السحرة ومن كان مثلهم كالكهان والمنجمين والدجالين. أما الموحد أو المحتسب فهو متسلح بسلاح

(١) الآية ١٢٠ سورة النحل.

(۲) الآية ۱۷۵ سورة آل عمران.

(٣) الآيتان ٩٩-١٠٠ سورة النحل.

العلم والإيمان، وسلاح التقوى متحصن بأذكاره، معتمداً على ربه، وما ينبغي له بعد أن يخاف وكيف يخاف ومعه القوي المتين.

سد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبواب السحر وعبادة الكواكب:

إن من احتساب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سد الباب المؤدي إلى السحر ودعوة الكواكب وعبادتها:

جاء في شرح العقيدة الطحاوية: وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ مَا كَانَ مِنْ جِنْسِ دَعْوَةِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ، أَوْ غَيْرِهَا، أَوْ خَطَابِهَا، أَوْ السُّجُودِ لَهَا، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ اللَّبَاسِ وَالْخَوَاتِمِ وَالْبُخُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ كُفِّرَ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الشِّرْكِ، فَيَجِبُ غَلْقُهُ، بَلْ سَدُّهُ. وَهُوَ مِنْ جِنْسِ فِعْلِ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

البراءة من آلهة السحرة والمنجمين:

ومن احتساب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة والمنجمين عباد الكواكب، إعلانه البراءة من معبوداتهم الباطلة تلك التي يتقربون لها ويتعاطون عندها وبها السحر:

قال شيخ الإسلام: (وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَلَا اعْتَقَدَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنَّ كَوَكَبًا مِنْ الْكَوَاكِبِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَلَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ يَعْتَقِدُونَ

(١) شرح الطحاوية: ج ٣ ص ٢٤٢.

ذَلِكَ؛ بَلْ كَانُوا مُشْرِكِينَ بِاللَّهِ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَدْعُونَهَا وَيَتَّبِعُونَ لَهَا الْهَيَاكِلَ وَيَعْبُدُونَ فِيهَا أَصْنَامَهُمْ وَهُوَ دِينُ الْكَلْدَانِيِّينَ وَالْكَشْدَانِيِّينَ وَالصَّابِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ؛ لَا الصَّابِيِّينَ الْحُنَفَاءَ وَهُمْ الَّذِينَ صَنَّفَ صَاحِبُ « السِّرِّ الْمَكْتُومِ فِي السَّحْرِ وَمُخَاطَبَةِ النُّجُومِ » كِتَابَهُ عَلَى دِينِهِمْ. وَهَذَا دِينٌ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَيْهِ بِالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَكَانُوا قَبْلَ ظُهُورِ دِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ جَامِعُ دِمَشْقَ وَجَامِعُ حَرَّانَ وَغَيْرُهُمَا مَوْضِعُ بَعْضِ هَيَاكِلِهِمْ: هَذَا هَيْكَلُ الْمُشْتَرِيِّ وَهَذَا هَيْكَلُ الزُّهْرَةِ. وَكَانُوا يَصِلُونَ إِلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ؛ وَبِدِمَشْقَ مَحَارِيبُ قَدِيمَةٌ إِلَى الشَّمَالِ. وَالْفَلَّاسِفَةُ الْيُونَانِيُّونَ كَانُوا مِنْ جِنْسٍ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْأَصْنَامَ وَيَصْنَعُونَ السَّحَرَ وَكَذَلِكَ أَهْلُ مِصْرَ وَغَيْرُهُمْ. وَجُمْهُورُ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا مُقَرِّينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْمُنْكَرَ لَهُ قَلِيلٌ مِثْلَ فِرْعَوْنَ وَنَحْوِهِ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا مُقَرِّينَ بِالصَّانِعِ وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾^(١) فَعَادَى كُلَّ مَا يَعْبُدُونَهُ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

قوة إبراهيم عليه السلام في احتسابه وشجاعته:

من احتساب إبراهيم قوته وشجاعته وعدم خوفه من السحرة ولا من معبوداتهم من الكواكب التي يرون أنها تملك النفع والضرر، وبيان أن هؤلاء السحرة وعبداء الكواكب هم الذين يقذف في قلوبهم الرعب بما أشركوا بالله:

قال ابن تيمية في سياق حديثه عن أهل البدع: (فَيَخْشَوْنَ الْمَوْتِ وَلَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ؛ إِذْ عَبْدُوهُ عِبَادَةً لَمْ يُنْزَلْ بِهَا سُلْطَانًا وَلَا جَاءَ بِهَا كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُنَازَرَتِهِ لِلْمُشْرِكِينَ لَمَّا حَاجُّوهُ وَخَوَّفُوهُ إِلَهَتَهُمْ:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ

عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ

يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) (٣)، وَلَا يَخَافُونَ مَنْ

سَبَّ الْخَالِقَ وَشَتَمَهُ وَالشِّرْكَ بِهِ مَا يَخَافُونَهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ كَمَا

قَالَ الْخَلِيلُ لَهُمْ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم

بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

(١) الآيتان ٩٥ - ٩٦ سورة الصافات.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١ ص ٤٨٨.

(٣) الآيتان ٨١ - ٨٢ سورة الأنعام.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٢٣١.

(٨١) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَلَامُنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ (١)
 وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُخَوِّفُونَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قَالَ
 تَعَالَى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَبْتُ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ
 إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢)(٣).

هكذا كان شأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في احتسابه على أولئك السحرة
 والمنجمين، وهو ما ينبغي على كل محتسب ذكر من الله عَزَّجَلَّ أن يحتسب
 على هؤلاء السحرة والكهان الذين هم أعداء التوحيد وأعدوان الشيطان، أنهم لا
 يخافون الرحمن جل وعلا ولا يرجون له وقارا ولا يقدرونه حق قدره تعالى،
 ولا يريدون أن يكون التوحيد خالصاً للواحد الديان، لا تخافوا من هؤلاء إنهم
 ليسوا بشيء، وليعلم علم اليقين أنهم كما قال تعالى: وما هم بضارين به من أحد
 إلا بإذن الله وأنهم لا يفلحون ولا يأتون بخير كما قال ربنا: ولا يفلح الساحر
 حيث أتى، إنه لا يخاف من هؤلاء وكيف يخاف المحتسب الموحد وهم
 لا يخافون إذ أشركوا بالله تعالى القوي الجبار القهار الذي لا يقوم لغضبه شيء
 سبحانه وهم يعصونه في غير خوف، إن هؤلاء لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة
 همهم الأكبر إرضاء الههم الشيطان لأجل أن يعبد غير الله، أيها المحتسبون،
 إن الله تعالى حين اختصكم بمقارعة هؤلاء ومنازلتهم، أنزلكم منزلة عظيمة

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٦ / ص ٣٥٠).

(٢) الآية ٨٠ سورة الأنعام.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ١ / ص ٨٥).

واصطفاكم وشرفكم، إذ تسيرون على خطاهؤلاء الأنبياء والرسل الذين سلكوا سبيل التوحيد ليعبد الحميد المجيد، فالمحتسبون الموحدون همهم الأكبر أن يعبدوا الخلق لله وأن يكون التوحيد خالصاً للحميد المجيد، فكيف يخافهم وهم المحتسب أن يصرف الخوف لله، وأن يكون الخوف منه وحده والرجاء فيه وحده ولا رجاء إلا فيه ولا يدعى إلا هو ولا يستغاث إلا به فنسأل الله أن يسلك بنا سبيل الموحدين ويعيننا وإياكم على محاربة أولياء الشياطين من السحرة والكهان والمنجمين.

الافتداء بإبراهيم في قوة مجادلة أهل السحر والبدع والشجاعة في إظهار الحق (ابن تيمية أنموذجا):

قال ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: فَاسْتَحَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَاسْتَعْنَتَهُ وَاسْتَصَرَّتْهُ وَاسْتَهْدَيْتُهُ وَسَلَكْتُ سَبِيلَ عِبَادِ اللَّهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ حَتَّى أَلْقَيْ فِي قَلْبِي أَنْ أَدْخُلَ النَّارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ وَأَنَّهَا تَكُونُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى مَنْ اتَّبَعَ مِلَّةَ الْخَلِيلِ وَأَنَّهَا تُحْرِقُ أَشْبَاهَ الصَّابِئَةِ أَهْلَ الْخُرُوجِ عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ. وَقَدْ كَانَ بَقَايَا الصَّابِئَةِ أَعْدَاءَ إِبْرَاهِيمَ إِمَامِ الْحُنَفَاءِ بَنَوَاحِي الْبَطَائِحِ مُنْضَمِّينَ إِلَى مَنْ يُضَاهِيهِمْ مِنْ نَصَارَى الدَّهْمَاءِ. وَبَيْنَ الصَّابِئَةِ وَمَنْ ضَلَّ مِنَ الْعِبَادِ الْمُتَسَيِّينَ إِلَى هَذَا الدِّينِ نَسَبٌ يَعْرِفُهُ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ الْمُبِينَ فَالْغَالِيَةُ مِنَ الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ كَالنَّصِيرِيَّةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ. يَخْرُجُونَ إِلَى مُشَابَهَةِ الصَّابِئَةِ الْفَلَاسِفَةِ ثُمَّ إِلَى الْإِشْرَاكِ ثُمَّ إِلَى جُحُودِ الْحَقِّ تَعَالَى. وَمِنْ شُرُكِهِمُ الْغُلُوفُ فِي الْبَشَرِ وَالْإِبْتِدَاعُ فِي الْعِبَادَاتِ

وَالْخُرُوجَ عَنِ الشَّرِيعَةِ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا هُوَ بِهِ لَاقٍ كَالْمُلْحِدِينَ مِّنْ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ وَالْغَالِيَةِ مِّنْ أَصْنَافِ الْعِبَادِ. ^(١)

لقد احتسب إبراهيم عليه السلام على السحرة وعلى عبدة الكواكب، ومن يتدبر قصة إبراهيم يعلم أن طريق التوحيد واحد وأن دعائه وحملته لوائه هم الأنبياء والمرسلون، وأن من سار عليه ضمنت له النجاة في الدنيا والآخرة، لقد سار موسى على هذا المنهج أيضاً، لقد ناظر السحرة بحضور الفرعون وهو ملك القوم يومئذ، فقال لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ^(٢)، وقرره لهم ونصحهم، وابن تيمية ناظر بحضرة الأمير وقال: والمحروق مغلوب، في قصة موسى خروا ساجدين، قال فرعون إنه لكبيركم الذي علمكم السحر.

أما هؤلاء فلما بين لهم ابن تيمية قالوا يا أحمد، نتوب إلى الله اكتب لنا كتاباً. فكان الاقتداء من ابن تيمية بالأنبياء بلسان المقال وبلسان الحال، فاما بلسان المقال فواضح من سوق حجج الأنبياء وأدلتهم في المناظرة، وأما لسان الحال فقال رَحِمَهُ اللَّهُ إن الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، سوف يجعلها برداً وسلاماً على أحمد بن عبد الحليم -وليتأمل المحتسب في حديث الاستخارة وفي قوله: فإنك تقدر ولا أقدر- وتعلم ولا أعلم فنسب العلم المطلق لربه، والجهل المطلق لنفسه، ونسب الضعف لنفسه وهذا تمام التوحيد في قضية

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٢٤).

(٢) الآية ٦١ سورة طه.

الاستخارة.

ثم جاء من بعده محمد بن عبد الوهاب وقال ما قال لابن سحيم.
فالله ينصر المحتسبين الذين تمسكوا بالهدى، ويخذل السحرة الذين
يخالفون الهدى ودين الحق. فالرسل نصروا لكونهم تمسكوا بالهدى وكذلك
من سار على طريقهم.

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإفراده الله بالنفع والضر:

من معالم احتساب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إعلان توحيده، وتوجه قلبه لله الذي
فطره بالعبادة، إذ هو الذي فطره، ومنه يطلب النفع والضر لا من الكواكب، وله
العبادة لا إلى الكواكب كما يفعل السحرة والمنجمين:

جاء في مجموع الفتاوى: قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَافِعًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١). بَيَّنَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ إِنَّمَا
يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَهُ يُوجَّهُ وَجْهُهُ إِذَا تَوَجَّهَ قَصْدُهُ إِلَيْهِ: يَتَّبِعُ قَصْدَهُ وَجْهَهُ فَالْوَجْهُ
تَوَجَّهَ حَيْثُ تَوَجَّهَ الْقَلْبُ فَصَارَ قَلْبُهُ وَقَصْدُهُ وَوَجْهُهُ مُتَوَجَّهًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلِهَذَا
قَالَ: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ أَقَرَّ بِوُجُودِ الصَّانِعِ فَإِنْ هَذَا كَانَ
مَعْلُومًا عِنْدَ قَوْمِهِ لَمْ يَكُونُوا يُنَازِعُونَهُ فِي وُجُودِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنَّمَا
كَانَ التَّزَاوُعُ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَاتِّخَاذِهِ رَبًّا؛ فَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّمَاوِيَّةَ
وَيَتَّخِذُونَ لَهَا أَصْنَامًا أَرْضِيَّةً. وَهَذَا «النَّوعُ الثَّانِي مِنَ الشِّرْكِ» فَإِنَّ الشِّرْكَ فِي

قَوْمِ نُوحٍ كَانَ أَصْلُهُ مِنْ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ - أَهْلِ الْقُبُورِ - ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ فَكَانَ شِرْكُهُمْ بِأَهْلِ الْأَرْضِ؛ إِذْ كَانَ الشَّيْطَانُ إِنَّمَا يُضِلُّ النَّاسَ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ فَكَانَ تَرْتِيبُهُ «أَوَّلًا» الشِّرْكَ بِالصَّالِحِينَ أَيْسَرُ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ انْتَقَلُوا إِلَى الشِّرْكَ بِالسَّمَاوِيَّاتِ: بِالْكَوَكِبِ وَصَنَعُوا لَهَا «الْأَصْنَامَ» بِحَسَبِ مَا رَأَوْهُ مِنْ طَبَائِعِهَا يَصْنَعُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ طَعَامًا وَخَاتَمًا وَبَخُورًا وَأَمْوَالًا تَنَاسِبُهُ وَهَذَا كَانَ قَدْ أُشْتَهَرَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ إِمَامِ الْحَنَفَاءِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْخَلِيلُ: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥) أَيْفَكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) وَقَالَ لَهُمْ: ﴿قَالَ أَنْعَبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ (٢) وَقِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ قَدْ ذُكِرَتْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ مَعَ قَوْمِهِ: إِنَّمَا فِيهَا نَهْيُهُمْ عَنِ الشِّرْكَ (٣).

إعلان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ توحيده لله وإفراده بالعبادة والخوف والرجاء:

إنه لا خوف إلا من الله والله قد تكفل بإبعاد الخوف عن أوليائه الذين خافوه وحده: ﴿إِلَّا إِلَهَ إِلَهَاتٍ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤)، وقال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥). إن على

(١) الآيات ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ سورة الصافات.

(٢) الآيتان ٩٥ - ٩٦ سورة الصافات.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ١٧٣).

(٤) الآية - ٦٣ سورة يونس.

(٥) الآية ١٧٥ سورة آل عمران.

المؤمن ثم على المحتسب على هؤلاء الذين هم اعداء الشيطان ومراكز الدعوة إلى الشرك بالرحمن عليه ألا يخاف منهم، وعليه أن يقتدى بنبي الله شعيب حين قال قومه له: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَكَ بَعْضُ الْهَتَنِاسِمْ﴾ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴿١﴾.

فإلى كل من أكرمه الله بالاحتساب وأنعم عليه بمحاربة هؤلاء. ليكن نهجك ودينك: إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، وعلى المحتسبين أن يكون منهجهم البراءة من الشرك وأهله - كما قال إبراهيم: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ ﴿٢﴾، وسيحقق له بإذن الله النصر في الدنيا والآخرة والسعادة الأبدية فإن سنة الله أن ينصر من دعا إلى توحيده، وأنه يتولاه وينصره ويؤيده ويرفعه ولا يخذله في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣﴾.

وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ

(١) الآيات ٥٤-٥٦ سورة هود.

(٢) الآية ٤٨ سورة آل مريم.

(٣) الآية ٢٥٧ سورة البقرة.

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿١﴾. وقال تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ﴿٢﴾.

هذا حال الموحد فما بالك بذلك المحتسب الداعي إلى توحيده المحارب لأعداءه، أولئك الأشرار الذين قال عنهم النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من علق تيممة فقد أشرك»^(٣)، فهذا حال من علق حجابا أو تيممة أو خرزة أو ورقة،

(١) الآية ٤٩ سورة مريم.

(٢) الآية ١٢٢ سورة الأنعام.

(٣) أخرجه الإمام أحمد: ٤ / ١٥٦. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٤٩٣ وعلق بتعليق طيب يحسن إيراده هنا قال رحمه الله: (فائدة) التيممة: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام كما في «النهاية» لابن الأثير. قلت: ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة يعلقونها على.

المرأة! وبعضهم يعلق نعلا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها! وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان! كل ذلك لدفع العين زعموا، وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد، وما ينافيه من الشراكيات والوثنيات التي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها، فإلى الله المشتكى من جهل المسلمين اليوم، وبعدهم عن الدين. ولم يقف الأمر ببعضهم عند مجرد المخالفة، بل تعداه إلى التقرب بها إلى الله تعالى! فهذا الشيخ الجزولي صاحب «دلائل الخيرات» يقول في الحزب السابع في يوم الأحد (ص ١١١ طبع بولاق): «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ما سجت الحمايم، وحمى الحوائم و سرحت البهائم، ونفعت التمايم»! وتأويل الشارح لـ «الدلائل» بأن «التمائم جمع تيممة وهي الورقة التي يكتب فيها شيء من الأسماء أو الآيات وتعلق على الرأس مثلا للتبرك». فما لا يصح لأن التمايم عند الإطلاق إنما هي الخرزات كما سبق عن ابن الأثير، على أنه لو سلم بهذا التأويل فلا دليل في الشرع على أن التيممة بهذا المعنى تنفع، ولذلك جاء عن بعض السلف كراهة ذلك كما بينته في تعليقي على «الكلم الطيب» (ص ٤٤ - ٤٥ طبع المكتب الإسلامي). راجع سلسلة

أو عقدة نفث فيها واستغيث فيها بالشیطان وكفر بالرحمن، فكيف بالعاقد والكاتب والنافث لاشك أنه أشد كفراً، ولا شك أن المحتسب على هذا له عند الله عظيم.

وقال شيخ الإسلام **رحمه الله**: (وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَأْتِي إِلَى قَبْرِ الشَّيْخِ الَّذِي يُشْرِكُ بِهِ وَيَسْتَغِيثُ بِهِ فَيَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْهَوَاءِ طَعَامٌ أَوْ نَفَقَةٌ أَوْ سِلَاحٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطْلُبُهُ فَيَظُنُّ ذَلِكَ كَرَامَةً لِّشَيْخِهِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ. وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي عُبدَتْ بِهَا الْأَوْثَانُ. وَقَدْ قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا ۖ مِّنَ النَّاسِ﴾^(١) كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَجَرَ لَا يُضِلُّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِسَبَبِ اقْتَضَى ضَلَالَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ عِبَادِ الْأَصْنَامِ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا خَلَقَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ إِنَّمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَهَا شُفَعَاءَ وَوَسَائِطَ لِأَسْبَابِ مِنْهُمْ مَنْ صَوَّرَهَا عَلَى صُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ جَعَلَهَا تَمَاثِيلَ وَطَلَاسِمَ لِلْكَوَائِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا لِأَجْلِ الْجِنِّ. وَمِنْهُمْ: مَنْ جَعَلَهَا لِأَجْلِ الْمَلَائِكَةِ. فَالْمَعْبُودُ لَهُمْ فِي قَصْدِهِمْ إِنَّمَا هُوَ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ أَوْ الشَّمْسُ أَوْ الْقَمَرُ. وَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ: فَهِيَ

الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للألباني ج ١ ص ٤٩١ مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

(١) الآيتان ٣٥-٣٦ سورة إبراهيم.

الَّتِي تَقْصِدُ مِنَ الْإِنْسِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَتُظْهِرَ لَهُمْ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ^(١).

تسلح المحتسب بالعلم النافع والحجة الدامغة:

من معالم الاحتساب في قصة إبراهيم عليه السلام ومناظرته السحرة والمنجمين عبدة الكواكب التسلح بالعلم النافع والحجة القوية؛ وذلك لدفع الضرر عن دين الله، والسحرة شر عباد الله وأعظمهم ضررا على الدين فلا بد أن يتزود المحتسب بما يدحض حججهم وينسف باطلهم نسفا:

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ: ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ يَشَاءُ فِي قِصَّةِ مُنَاطَرَةِ إِبْرَاهِيمَ وَفِي قِصَّةِ اخْتِيَالِ يُوسُفَ وَلِهَذَا قَالَ السَّلَفُ: بِالْعِلْمِ؛ فَإِنَّ سِيَاقَ الْآيَاتِ يَدُلُّ عَلَيْهِ فَقِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعِلْمِ بِالْحُجَّةِ وَالْمُنَاطَرَةِ لِدَفْعِ ضَرَرِ الْخَصْمِ عَنِ الدِّينِ وَقِصَّةُ يُوسُفَ فِي الْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ لِتَحْصُلِ مَنَفَعَةِ الْمَطْلُوبِ فَلِأَوَّلِ عِلْمٍ بِمَا يَدْفَعُ الْمَضَارَّ فِي الدِّينِ وَالثَّانِي عِلْمٍ بِمَا يَجْلِبُ الْمَنَافِعَ أَوْ يُقَالُ: الْأَوَّلُ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَدْفَعُ الْمَضَرَّةَ عَنِ الدِّينِ وَيَجْلِبُ مَنَفَعَتَهُ وَالثَّانِي عِلْمٌ بِمَا يَدْفَعُ الْمَضَرَّةَ عَنِ الدُّنْيَا وَيَجْلِبُ مَنَفَعَتَهَا أَوْ يُقَالُ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ فِي عِلْمِ الْأَقْوَالِ النَّافِعَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَقِصَّةُ يُوسُفَ فِي عِلْمِ الْأَفْعَالِ النَّافِعَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فَالْحَاجَةُ فِي جَلْبِ الْمَنَفَعَةِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ قَدْ تَكُونُ إِلَى الْقَوْلِ وَقَدْ تَكُونُ إِلَى الْفِعْلِ^(٢).

السحرة والمنجمون عباد شياطين:

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١ / ص ١١٣.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ / ص ٣٠٧.

من معالم الاحتساب في قصته **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، سؤاله الله السلامة من عبادة الأصنام وبيانه أنها أضلت كثيرا من الناس وذلك لأنها تعبد للشياطين وطلاسم للكواكب لا أنها أحجار فقط، وهذا سبب ضلال من ضل ممن عبدها كالسحرة والمنجمين: قال ابن تيمية: قَالَ الْخَلِيلُ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا ۖ مِّنَ النَّاسِ ۖ﴾ (١) كَمَا قَالَ نُوحٌ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ﴾ (٢)، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَجَرَ لَا يُضِلُّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِسَبَبٍ اقْتَضَى ضَلَالَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِ الْأَصْنَامِ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا خَلَقَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ إِنَّمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَهَا شُفَعَاءَ وَوَسَائِطَ لِأَسْبَابٍ: مِنْهُمْ مَنْ صَوَّرَهَا عَلَى صُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ جَعَلَهَا تَمَازِيلَ وَطَلَاسِمَ لِلْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا لِأَجْلِ الْجِنِّ. وَمِنْهُمْ: مَنْ جَعَلَهَا لِأَجْلِ الْمَلَائِكَةِ. فَالْمَعْبُودُ لَهُمْ فِي قَصْدِهِمْ إِنَّمَا هُوَ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ أَوْ الشَّمْسُ أَوْ الْقَمَرُ. وَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ: فَهِيَ الَّتِي تَقْصِدُ مِنَ الْإِنْسِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَتُظْهِرُ لَهُمْ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ. (٣).

دعوة السحرة والمنجمين إلى عبادة الخالق الذي يعرفونه.

يذكر إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في احتسابه عبدة الكواكب من السحرة والمنجمين

(١) الآيتان ٣٥-٣٦ سورة إبراهيم.

(٢) الآية ٢٤ سورة نوح.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١ / ص ١١٣.

بأصل يتفقون معه عليه وهو اعترافهم بالملك الجليل الخالق المدبر، فإذا كانوا يقرّون بذلك كيف يعبدون تلك الكواكب ويتقربون بما يتقربون به إليها غند سحرهم:

قال ابن تيمية: ثُمَّ مَنْ عَبْدَ الْمَلَائِكَةِ وَالْكَوَائِبَ وَأَرْوَاحَ الْبَشَرِ وَأَجْسَادَهُمْ: اتَّخَذَ الْأَصْنَامَ عَلَى صُورِهِمْ وَطَبَائِعِهِمْ؛ فَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ أَسْبَابِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. وَلِهَذَا كَانَ الْخَلِيلُ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ: مُخَاطِبًا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَبْدُوا الْكَوَائِبَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالَّذِينَ عَبْدُوا الْأَصْنَامَ مَعَ إِشْرَاكِهِمْ وَاعْتِرَافِهِمْ بِأَصْلِ الْجَمِيعِ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّابِئُونَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ مَلَكَهُمْ نَمْرُودُ. وَعُلَمَاؤُهُمُ الْفَلَاسِفَةُ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ الَّذِينَ كَانُوا بِأَرْضِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا وَجَزَائِرِ الْبَحْرِ قَبْلَ النَّصَارَى وَكَانُوا بِهَذِهِ الْبِلَادِ فِي أَيَّامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا يُقَاتِلُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَغْلِبُونَ تَارَةً وَيُغْلَبُونَ تَارَةً وَسِنْحَارِيبَ وَبِخْتَنْصَرَ وَنَحْوَهُمَا: هُمْ مُلُوكُ الصَّابَةِ بَعْدَ الْخَلِيلِ. وَالنَمْرُودُ الَّذِي كَانَ فِي زَمَانِهِ. فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الرَّدِّ لِمَقَالَاتِ الْمُتَقَدِّمِينَ قَبْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَالْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِيهَا: مِنْ إِبْثَاتِ الْوِلَادَةِ لِلَّهِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَفْهَمُ دَلَالََةَ الْقُرْآنِ عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَاتِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْئَيْنِ: إِلَى تَصَوُّرِ مَقَالَتِهِمْ بِالْمَعْنَى لَا بِمَجَرَّدِ اللَّفْظِ وَإِلَى تَصَوُّرِ مَعْنَى الْقُرْآنِ وَالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا. فَتَجِدُ الْمَعْنَى الَّذِي عَنَاهُ قَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى ذِكْرِهِ وَإِبْطَالِهِ ^(١).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١ / ص ١٩٠.

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتقرير أصول الإيمان:

ومن احتساب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضا على السحرة والمنجمين عبدة الكواكب: قيامه بأصل الدين الذي هو الإقرار بالله وعبادته وحده لا شريك له ومُخَاصِمَةُ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

وقد ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ إِرَادَةَ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِأَخْذِ أَرْبَعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ. فَقَرَّرَ أَمْرَ الْخَلْقِ وَالْبَعْثِ الْمَبْدَأَ وَالْمَعَادِ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَهُمَا اللَّذَانِ يَكْفُرُ بِهِمَا أَوْ بِأَحَدِهِمَا كُفَّارُ الصَّابِئَةِ وَالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَنَحْوِهِمُ الَّذِينَ بُعِثَ الْخَلِيلُ إِلَى نَوْعِهِمْ. فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ وُجُودَ الصَّانِعِ؛ وَفِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ صِفَاتِهِ؛ وَفِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ خَلْقَهُ وَيَقُولُ: إِنَّهُ عِلَّةٌ؛ وَأَكْثَرُهُمْ يُنْكِرُونَ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى. وَهُمْ مُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ الْعُلُويَّةَ وَالْأَصْنَامَ السُّفْلِيَّةَ. وَالْخَلِيلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَدَّ هَذَا جَمِيعَهُ:

١. فَقَرَّرَ رُبُوبِيَّةَ رَبِّهِ كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ.
٢. وَقَرَّرَ الْإِخْلَاصَ لَهُ وَنَفَى الشُّرْكَ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا.
٣. وَقَرَّرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَاسْتَقَرَّ فِي مِلَّتِهِ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَمَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ بِاتِّخَاذِ

اللَّهُ لَهُ خَلِيلًا.

٤. ثُمَّ إِنَّهُ نَازَلَ الْمُشْرِكِينَ بِعِبَادَةِ مَنْ لَا يُوصَفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ. فَقَالَ لِأَبِيهِ:
﴿يَتَأْتٍ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾^(١).

فَإِبْرَاهِيمُ دَعَا إِلَى الْفِطْرَةِ: وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَهُوَ الْإِسْلَامُ
الْعَامُّ وَالْإِقْرَارُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ عَبَدَ مِنْ سَلْبَهَا. فَلَمَّا عَابَهُمْ
بِعِبَادَةِ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ قَالَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ
وَمَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي
عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ^(٣٩) ﴿٣٩﴾ وَلَمَّا عَابَهُمْ بِعِبَادَةِ
مَنْ لَا يُغْنِي شَيْئًا فَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ قَالَ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾^(٧٨) وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ^(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ^(٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ^(٨١)
وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ^(٨٢) ﴿٨٢﴾ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَى
جَلْبِ الْمَنْفَعَةِ لِقَلْبِهِ وَجِسْمِهِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ عَنْ ذَلِكَ. وَهُوَ أَمْرُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.
فَمَنْفَعَةُ الدِّينِ الْهُدَى؛ وَمَضَرَّتُهُ الذُّنُوبُ وَدَفْعُ الْمَضَرَّةِ الْمَغْفِرَةُ. وَلِهَذَا جَمَعَ
بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِسْتِغْفَارِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ. وَمَنْفَعَةُ الْجَسَدِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ؛
وَمَضَرَّتُهُ الْمَرَضُ وَدَفْعُ الْمَضَرَّةِ الشِّفَاءُ. وَأَخْبَرَ أَنَّ رَبَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَأَنَّهُ
فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَإِحْيَاؤُهُ فَوْقَ كَمَالِهِ بِأَنَّهُ حَيٌّ. وَأَنَّهُ فَطَرَ السَّمَوَاتِ

(١) الآية-٤٣ سورة مريم.

(٢) الآيتان ٣٨-٣٩ سورة إبراهيم.

(٣) الآيات ٧٨-٨٣ سورة الشعراء.

وَالْأَرْضُ يَتَّقِي إِمْسَاكَهَا وَقِيَامَهَا الَّذِي هُوَ فَوْقَ كَمَالِهِ بِأَنَّهُ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ حَيْثُ قَالَ عَنِ النُّجُومِ: ﴿لَا أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ فَإِنَّ الْأَفَلَ هُوَ الَّذِي يَغِيبُ تَارَةً وَيُظْهِرُ تَارَةً فَلَيْسَ هُوَ قَائِمًا عَلَى عَبْدِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ. وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَا سِوَى اللَّهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَنَحْوِهَا وَيَتَّخِذُونَهَا أَوْثَانًا يَكُونُونَ فِي وَقْتِ الْبُزُوعِ طَالِبِينَ سَائِلِينَ وَفِي وَقْتِ الْأُفُولِ لَا يَحْصُلُ مَقْصُودُهُمْ وَلَا مُرَادُهُمْ. فَلَا يَجْتَلِبُونَ مَنَفْعَةً وَلَا يَدْفَعُونَ مَضَرَّةً وَلَا يَنْتَفِعُونَ إِذْ ذَاكَ بِعِبَادَةٍ. فَبَيَّنَ مَا فِي الْإِلَهَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ النِّقْصِ وَبَيَّنَ مَا لِرَبِّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْكَمَالِ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ الْفَاطِرُ الْعَلِيمُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْهَادِي الرَّازِقُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ. وَسَمَّى رَبَّهُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الدَّالَّةِ عَلَى نُعُوتِ كَمَالِهِ فَقَالَ: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ^(١) وَقَالَ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٢) فَوَصَفَ رَبَّهُ بِالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ الْمُنَاسِبِ لِمَعْنَى الْخَلْقَةِ. ^(٣)

(١) الآية ١٢٩ سورة البقرة.

(٢) الآية ٣٦ سورة إبراهيم.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٤٢٦).

المبحث الثاني: احتساب موسى الكليم عليه السلام على السحرة والكافرين

لقد ذكر الله قصة موسى في القرآن كثيرا، بل إن قصة موسى هي أكثر قصص القرآن ذكرا في القرآن الكريم، لما فيها من العجائب والبصائر، ولما فيها من الآيات والتذكرة لعباد الله الموحدين أتباع النبي المصطفى الهادي عليه الصلاة والسلام، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عنه وعن قومه كثيرا ويسلي نفسه بذكره صلى الله عليه وسلم لما آذاه ذلك الخارجي قال صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى أوزي بأكثر من هذا فصبر.

قال شيخ الإسلام: إن موسى وأخاه عليهما السلام وفرعون وملأته وسحرته يمثلون الصراع بين الحق والباطل: إن ربنا تعالى ثنى قصة موسى مع فرعون؛ لأنَّهُما في طرفي نقيض في الحق والباطل فإن فرعون في غاية الكفر والباطل حيث كفر بالربوبية وبالرسالة وموسى في غاية الحق والإيمان من جهة أن الله كلمه تكليما لم يجعل الله بينه وبينه واسطة من خلقه فهو مثبت لكمال الرسالة وكمال التكلم ومثبت لرب العالمين بما استحقه من الثبوت وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار فإن الكفار أكثرهم لا يجحدون وجود الله ولم يكن أيضا للرسل من التكليم ما لموسى؛ فصارت قصة موسى وفرعون أعظم القصص وأعظمها اعتبارا لأهل الإيمان ولأهل الكفر؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقص على أمته عامة كليله عن بني إسرائيل وكان يتأسى بموسى في أمور كثيرة

وَلَمَّا بُشِّرَ بِقَتْلِ أَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ هَذَا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَكَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنَ الصَّابِئَةِ الْمُشْرِكِينَ الْكُفَّارِ؛ وَلِهَذَا كَانَ يَعْبُدُ إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَذَرِكْ وَعَالِهَتِكَ﴾^(١) وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى مُسْتَيْقِنًا لَهُ لَكِنَّهُ كَانَ جَاحِدًا مُثْبُورًا كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٢) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿الْآيَةُ (٣)﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾^(٣) ﴿الْآيَةُ (٤)﴾.

ومما ذكر وكرر وبسط في القرآن احتسابه على السحرة والكافرين، فقد احتسب على فرعون الذي كفر بالله، بل وأنكر وجوده مع أن قلبه مستيقن به تعالى، عارف حق المعرفة أن تلك الآيات التي مع موسى لا يقدر عليها إلا القوي القادر المالك القاهر سبحانه، واجه موسى فرعون أولاً في اتهامه **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بالسحر واحتسب عليه في ذلك، ثم احتسب ثانياً على سحرته الذين حشرهم من أطراف مملكته، فوعظهم وزجرهم ثم ناظرهم، وأبطل سحرهم وهزمهم فغلبوا وخروا سجداً مؤمنين به وبأخيه هارون **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**، وفي هذا المبحث عرض لمعالم احتسابه **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من خلال مطلبين:

(١) الآية ١٢٧ سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٣-١٤ سورة النمل..

(٣) الآيتان ١٠١-١٠٢ سورة الإسراء.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٧١).

المطلب الأول: احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على فرعون وملائه.

المطلب الثاني: احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة.

المطلب الأول: احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على فرعون وملائه

إن فرعون علا في الأرض وعم فسادَه وشره؛ ظلم العباد وجعل الناس شيعة يستضعف طائفة يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ثم كان مع هذا كافرا صادًا عن سبيل الله بل نازع الله في ربوبيته وادعاها، وهو الأمر الذي ما تحدث به عاقل، وهو يعلم أنه كاذب في ذلك، غير أنه استخف قومه فأطاعوه، وراح يتباهي ويستدل على ربوبيته العليا بنعم الله التي أغدقها عليه، فذهب يقول:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ الْإِنسَ إِلَىٰ مَلِكٍ مِّصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١) وراح يعتدي بلسانه على نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويزعم أنه لا يكاد يبين، مع أن هذه المحاورَة التي في سورة الشعراء من أول قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نَرْبِكْ فِينَا وَلِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢) تثبت أن العبي الجاهل هو فرعون، وتثب لكل عاقل بيان موسى المبين، وحججه الدامغة، وإجاباته الموجزة القاصمة والتي لم يستطع أن يرد عليها فرعون إلا بقوله لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين وليس المقام مقام بسط القصة، إذ أن مرادنا في هذه المجموعة إبراز جانب الاحتساب على السحرة.

وسيعرض هذا المطلب احتساب موسى على فرعون وملائه، الذين اتهموا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه ساحر، ووصفوا آياته بالسحر، وذلك ليقوى عزم

(١) الآية ٥١ سورة الزخرف..

(٢) الآيات ١٨-٢٨ سورة الشعراء.

المحتسبين على هؤلاء السحرة وهم يرون ذلك النبي الكريم، يواجه فرعون بأوتاده وجنوده وعتاده، وكبره وعتوه وفرعون لا يقدر أن يفعل معه شيئاً، ولا أن يمسّه بسوء، وأنت أيها المحتسب على هؤلاء على درب موسى وإخوانه تسير، وما يبلغ الساحر اليوم معشار ما كان عند فرعون، بل إن الساحر ذليل مطارد، يطارده الناس جميعاً، ولا يمارس أعماله في خفاء، وإذا عرف أخذ سواء في دولة مسلمة أو غيرها، لفساده العقيدة، أو لضرره الخلق فالساحر الآن بفضل الله ضعيف واهن القوى إنه اضعف من بيت عنكبوت.

ويتجلى احتساب موسى على فرعون وملائه من خلال ما يلي:

يروج السحر عند تناسخ العلم وانعدام المنكر المحتسب:

قال ابن كثير: وقد كان السحر في زمانهم غالباً كثيراً ظاهراً. واعتقد من اعتقد منهم، وأوهم من أوهم منهم، أن ما جاء موسى، **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، من قبيل ما تشعبه سحرتهم؛ فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البيئات، كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ ۚ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ۚ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾^(١).

إن السحر يروج عند عدم القائم بأمر الله الداعي إلى توحيده، فيستخف بهم أهل الباطل، ويموهون عليهم، وعند الجهل بتوحيد الله والجهل بالشرك ينتشر

(١) الآيات ٥٨-٦٠ سورة طه.

السحرة، فعند غياب الاحتساب على هؤلاء ينتشرون وينخدع الناس بهم، كما استخف فرعون قومه.

فرعون يتهم موسى بالسحر ويَعده بأن يصنع مثل ما صنع عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال ابن كثير قال تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي: من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَصَءٍ لِلنَّظِيرِينَ﴾^(١) أي: تتلأأ كقطعة من القمر. فبادر فرعون -بشقائه- إلى التكذيب والعناد، فقال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فاضل بارع في السحر. فَرَوَّجَ عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرصهم على مخالفته، والكفر به. فقال ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^(٢)؟ أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا عليّ فيه ماذا أصنع به؟ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾^(٣) ﴿يَا نُؤُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾^(٤) أي: أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحَّار عليم [يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصره والتأييد. فأجابهم إلى ذلك. وكان هذا من تسخير الله تعالى^(٤) قال تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ

(١) الآية ٣٣ سورة الشعراء.

(٢) الآية ٣٥ سورة الشعراء.

(٣) الآيتان ٣٦-٣٧ سورة الشعراء.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٦ / ص ١٣٩.

يَمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ سِحْرٌ مِّثْلَهُ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾^(١).

يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال: هذا سحر، جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس، فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا معك، فإن عندنا سحراً مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: يوماً نجتمع نحن وأنت فيه، فنعارض ما جئت به بما عندك من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ مُوسَى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ وهو يوم عيدهم ونوروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ أي: جميعهم ﴿ضُحًى﴾ أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجل وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بين، ليس فيه خفاء ولا ترويح؛ ولهذا لم يقل «ليلاً» ولكن نهراً ضحى. قال ابن عباس: وكان يوم الزينة يوم عاشوراء. وقال السدي، وقتادة، وابن زيد: كان يوم عيدهم. وقال سعيد بن جبیر: يوم سوقهم. ولا منافاة. قلت: وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده، كما ثبت في الصحيح.

وقال مجاهد، وقتادة: ﴿مَكَانًا سُوءًا﴾ مَنَصَّفًا. وقال السدي: عدلا. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿مَكَانًا سُوءًا﴾ [مستوى] يتبين الناس ما فيه، لا يكون صَوَّب ولا شيء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستوٍ حتى يُرى^(١).

فالسحرة والمتعاونون معهم والقاصدون بابهم قوم بهت لا يتورعون عن الكذب، فالمحتسب يتأمل هنا وينظر إلى إمام من أئمتهم فرعون الذي استخدم السحر لمحاربة الله ورسوله موسى عَلَيْهِ السَّلَام، كيف افترى على النبي الكريم الموحد الداعي إلى التوحيد الذي يحذر من الشرك بأنه ساحر، فعلى المحتسب أن يأخذ لهذا الأمر عدته، بالصبر والاستعانة بالله تعالى وإعداد عدته لمنازلة هؤلاء فإنهم مخذولون بإذن الله مهما كثر عددهم، وأكاذيبهم سيظهرها الله عَزَّجَلَّ، وينصر المحتسب الموحد. إنهم قوم بهت..

لقد قال الله في فرعون وقومه: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٢) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَّخَّلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَزَلَّ هَؤُلَاءُ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾^(٣). فَمُوسَىٰ

(١) تفسير ابن كثير (ج ٥ / ص ٢٩٩) قال وهب بن منبه: قال فرعون: يا موسى، اجعل بيننا وبينك أجلا نظرك فيه. قال موسى: لم أؤمر بهذا، إنما أمرت بمناجزتك، إن أنت لم تخرج دخلت إليك. فأوحى الله إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل هو. قال فرعون: اجعله إلى أربعين يومًا. ففعل.

(٢) الآية ١٤ سورة النمل.

(٣) الآيتان ١٠١-١٠٢ سورة الإسراء.

وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ يَقُولُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ﴾. فَذَلَّ عَلَى أَنْ فِرْعَوْنَ كَانَ عَالِمًا بِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْآيَاتِ وَهُوَ مِنْ
أَكْبَرَ خَلْقِ اللَّهِ عِنَادًا وَبَغْيًا لِفَسَادِ إِرَادَتِهِ وَقَصْدِهِ لَا لِعَدَمِ عِلْمِهِ. ^(١)

قال ابن كثير: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا
لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ^(١٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ^(٢٠) أي: قال
الملأ - وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون - موافقين لقول فرعون فيه،
بعد ما رجع إليه رَوْعُهُ، واستقر على سرير مملكته بعد ذلك، قال للملأ حوله:
﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ فوافقوه وقالوا كمثلته، وتشاوروا في أمره، وماذا
يصنعون في أمره، وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وظهور
كذبه وافتراءهم، وتخوفوا من معرفته أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون
فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم، وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه
وقعوا فيه، كما قال تعالى: ﴿وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَمَمْنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
يَحْذَرُونَ﴾ ^(٣) فلما تشاوروا في شأنه، واثمروا فيه، اتفق رأيهم على ما حكاه
الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ ^(٤). قال ابن عباس: ﴿أَرْجِهْ﴾ أخره. وقال

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٢ / ص ١١١).

(٢) الآيتان ١٠٩-١١٠ سورة الأعراف.

(٣) الآية ٦ سورة القصص.

(٤) الآيتان ١١١-١١٢ سورة الأعراف.

قتادة: احبسه. ﴿وَأَرْسِلْ﴾ أي: ابعث ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ أي: في الأقاليم ومعاملة ملكك، ﴿حَشَرِينَ﴾ أي: من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم^(١).
لقد اتهم الملأ من قوم فرعون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالسحر اتباعا لفرعون، وتقليدا له واتباعا لهواه ومزيذا في اضلاله، وهذه من أشد الأمور على المؤمن أن يوصف بهذا الباطل ولقد أراد هؤلاء أن يسووا بين نبي الله الذي يأمر بالتوحيد والإيمان، وعبادة الله ومحاسن الأخلاق، وبين السحرة الذين يدعون إلى الشرك والضلال وعبادة العباد، ومساويء الأخلاق، ولذلك أخبر موسى أن الفلاح قرينه عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكيف يكون ساحر والساحر لا يفلح لذلك استنكر وصفهم له بالسحر فقال اسحر هذا ولا يفلح الساحرون، هذه الآيات التي قهرتكم قهرا، وأذهبت عقولكم وهزمتكم ونصرتني كيف تكون سحرا ولو كانت كذلك ما أفلحت أبدا كحالكم أنتم.

السحرة وطالبي السحر وقلب الأمور:

لقد قلب فرعون المستنصر بالسحر وأهله وقومه الذين غوت عقولهم وضلت الأمر وأرادوا إلbas الحق ثوب الباطل وأرادوا أن ينشروا بين الناس إن ذلك المصلح الجليل جاء ليفسد، وأرادوا الانتقام من أهله لينفروهم أيضا ويصرفوهم عنه، ويظنوا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو سبب القتل والبلاء، ولكن باليقين في الله والصبر نصر الله موسى وقومه وخذل أهل الباطل المستعنيين بالسحر.

(١) تفسير ابن كثير - (ج ٣ / ص ٤٥٦).

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) ﴿١﴾.

يخبر تعالى عما تمالأ عليه فرعون وملؤه، وما أظهره لموسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقومه من الأذى والبغضة: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ أي: أتدعهم ليفسدوا في الأرض، أي: يفسدوا أهل رعيته ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك، يالله للعجب! صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون، ولكن لا يشعرون؛ ولهذا قالوا: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ قال بعضهم: «الواو» هنا حالية، أي: أتذره وقومه يفسدون وقد ترك عبادتك؟ (٢).

(١) الآيات ١٢٧-١٢٩ سورة الأعراف.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٤٢٦).

المطلب الثاني: احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة

كما احتسب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على فرعون ودعاه إلى ربه، ونهاه عن الشرك، ورد على اتهمه إياه بالسحر، وعلى وصف آياته أنها سحر، بأن الساحر لا يفلح وإنكاره عليه ذلك، وبيانه لفرعون أن هذه الآيات ليست سحرا وأنت موقن في قرارة نفسك أنها من عند الله، احتسب كذلك على السحرة فوعظهم وحذرهم وخوفهم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم تواعدوا على يوم يلتقي فيه الحق والباطل ليفصل الرب الجليل الأكبر بينهما، فجاء موسى بآيته الكبرى، وجاء السحرة بسحرهم العظيم، وفي هذا المطلب عرض موجز لهذا الأمر. هذا وقد ذكر تعالى قصة السحرة مع موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، في سورة الأعراف وفي سورة (يونس)، وفي سورة طه، وفي سورة الشعراء.

السحرة طلاب دنيا فهم عبيدها الأذلاء:

إن السحرة طلاب دنيا وقد طلبوها من غير الطريق الذي شرعه الله تعالى لنيلها وإن الذي يؤثر الدنيا على ربه والدار الآخرة مخذول في الدنيا وخاسر في الآخرة، أما المحتسب فهو يرجو الله والدار الآخرة فهو فائز في الآخرة رابح، ثم إن الدنيا تأتيه وهي راغمة فيعيشها متمتعا بما فيها قد نال فوق ما يتمني ونال فيها وبها رضا ربه، وقد ظهر طلب السحرة للدنيا من اشتراطهم الأجر من فرعون لمحاربتهم رسول رب العالمين مالك الملك من عنده خزائن كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ
الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾^(١) يخبر تعالى عما تشارط
عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى، عَلَيْهِ السَّلَام: إن غلبوا
موسى ليثيبنهم وليعطينهم عطاء جزيلا. فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا،
ويجعلنهم من جلسائه والمقربين عنده.

السحرة طلبوا الأجر فزادهم الجاه والمنزلة عندهم ومناهم بذلك^(٢).

ثقة موسى عَلَيْهِ السَّلَام بربه وغرور السحرة:

إن السحرة قد غرتهم أنفسهم الأمانة بالسوء وغرهم بالله الغرور، غرهم
الشیطان الذي يعينهم على الضلال وغرتهم الحياة الدنيا التي طلبوها من شر
الطرق وأوعرها، ومن شر المكاسب وأخبثها. فكان ربنا الجليل العظيم القدير
الكبير القاهر هو مولی موسى وكان الشیطان مولی هؤلاء فلما التقى الفريقان
اعتمد موسى على مولاه فنصره وترك الشیطان أوليائه لقد ترك السحرة وترك
فرعون وملائته بلا معين ولا نصير: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا
مَوْلَى لَهُمْ﴾^(٣).

قال ابن كثير: فلما توثقوا من فرعون لعنه الله: ﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِمَّا أَنْ تُلْقَى

(١) الآيتان ١١٣-١١٤ سورة الأعراف.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢١١.

(٣) الآية ١١ سورة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْكَيْنِ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ
وَأَسْتَرَهُبُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴿١﴾ (٢).

نظرا لتمكنهم في السحر قالوا لموسى هذا القول فإنهم رأوا انهم غالبون
ألقوا أولا أم أخرا وهذه ثقتهم بالشياطين، أما موسى فقد رد في ثقة في ربه
بأن القوا والموحد المحتسب ينبغي ألا يهتز من ثقة السحرة في شياطينهم،
بل يكون أعظم منهم ثقة، اذ لا نسبة أصلا بين قوة من يعتمد عليه الموحد
المحتسب ومن يعتمد عليه الساحر، فالله يغيث عبده في الشدائد أما الشيطان
فإنه يترك وليه وهو أحوج ما يكون إليه ويخذه في أشد الساعات طلبا لنصرته،
أن الله لا يترك وليه، أما الشيطان فلا ينصر وليه إذا احتاج إليه، وخاصة في تلك
المواقف الجليلة التي يكون فيها اللقاء بين الحق والباطل حاسما، وهذا درس
عظيم ينبغي أن يعيه الموحد المحتسب. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ
مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٣)؛ وإنما قال لهم ذلك لأنهم اصطفوا وقد وعدوا
من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ
مَنْ أَلْقَى﴾ (٤) ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ (٤).

فأراد موسى أن تكون البدأة منهم، ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق

(١) الآيتان ١١٥-١١٦ سورة الأعراف.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢١١.

(٣) الآية ٨٠ سورة يونس.

(٤) الآيتان ٦٥-٦٦ سورة طه.

بعده فيدمغ باطلهم ^(١).

لقد سعى فرعون يجمع السحرة من مملكة مصر ومن هم تحت ولايته، واشترط فرعون أن يكون السحرة من السحرة العارفين العالمين بالسحر المتقنين له المتميزين فيه؛ ولهذا لما ﴿الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ ^(٢).

قال ابن كثير: هذه مبارزة من السحرة لموسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، في قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقَى وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ أي: قبلك. كما قال في الآية الأخرى: ﴿وإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ^(٣) فقال لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿الْقَوَا﴾ أي: أنتم أولاً قبلي. والحكمة في هذا -والله أعلم- ليري الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغ من بهرجتهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس. وكذا كان. ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، كما قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقَوُا إِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ ^(٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ^(٦٧) فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ^(٦٨) وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ / ص ٢٨٦.

(٢) الآية ١١٦ سورة الأعراف.

(٣) الآية ٦٥ سورة طه.

صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ ﴿١﴾ (٢).

قال ابن كثير: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴿٣﴾ يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، في ذلك الموقف العظيم، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ أي: تأكل ﴿مَا يَأْكُونُ﴾ أي: ما يلقونه ويوهمون أنه حق، وهو باطل. قال ابن عباس: فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء، وليس هذا بسحر، فخرّوا سجدا وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴿٤﴾.

وقال محمد بن إسحاق: جعلت تبتلع تلك الحبال والعصى واحدة، واحدة حتى ما يرى في الوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت، ووقع السحرة سجدا ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴿٥﴾ لو كان هذا ساحرا ما غلبنا. وقال القاسم بن أبي بزة: أوحى

(١) الآيات ٦٦-٦٩ سورة طه.

(٢) إن الساحر لا يفلح لافى الدنيا ولا فى الآخرة ويتضمن هذا أنه لم يهنأ ويفوز بمطلوبه وينجو من مهروبه لا فى الآخرة ولا فى الدنيا، فهو لم يهنأ بتلك الأموال التي جمعها، إن الشياطين أخذته مطية فأفسدت عليه بيته وزوجه وولده وأخلاقه، هذا فى الدنيا. وفى الآخرة بأنه لا خلاق له ولا نصيب فى الآخرة وذلك لفساد معتقده وفساد أخلاقه، لأنه باع نفسه للشيطان، وسيأتى الحديث عن الساحر مفصلاً بعد سنرى كيف يعيشون كيف ينامون وما هي صفة بيوتهم وأماكن إقامتهم التي تنتشر بها القاذورات.

(٣) الآيتان ١٢١-١٢٢ سورة الأعراف.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٤٢٦).

الله إليه أن ألق عصاك، فألقى عصاه، فإذا هي ثعبان فاغر فاه، يتلع حبالهم وعصيتهم. فألقى السحرة عند ذلك سجدا، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها. ^(١)

يخبر تعالى عما توعد به فرعون، لعنه الله، السحرة لما آمنوا بموسى، **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وما أظهره للناس من كيد ومكره في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ ^(٢). أي: إن غلبه لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك، كقوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ﴾ وهو يعلم وكل من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل؛ فإن موسى، **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، بمجرد ما جاء من «مدين» دعا فرعون إلى الله، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملة سلطنته، فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر، ممن اختار هو والملا من قومه، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل. وقد كانوا من أحرص الناس على ذلك، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون، وموسى، **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا اجتمع به، وفرعون يعلم ذلك، وإنما قال هذا تسترا وتدليسا على رعا دولته وجهلتهم، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ﴾ ^(٣) فإن

(١) تفسير ابن كثير - (ج ٣ / ص ٤٥٨).

(٢) من الآية ١٢٣ سورة الأعراف.

(٣) الآية ٥٤ سورة الزخرف.

قوما صدّقوه في قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(١) من أَجْهَل خلق الله وأضلهم^(٢).
وقال السدي في تفسيره بإسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ قال: التقى موسى، عَلَيْهِ السَّلَام، وأمير السحرة، فقال له موسى: أرايتك إن غلبتك أتؤمن بي، وتشهد أن ما جئت به حق؟ قال الساحر: لا تين غدا بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك ولأشهدن أنك حق. وفرعون ينظر إليهما، قالوا: فلهذا قال ما قال.

وقوله: ﴿لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ أي: تجتمعوا أنتم وهو، وتكون لكم دولة وصوله، وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء، وتكون الدولة والتصرف لكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما أصنع بكم. ثم فسر هذا الوعيد بقوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ يعني: يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس. و ﴿لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: على الجذوع. قال ابن عباس: وكان أول من صلب، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، فرعون.

وقول السحرة: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: قد تحققنا أنا إليه راجعون، وعذابه أشد من عذابك، ونكاله على ما تدعوننا إليه، وما أكرهتنا عليه من

(١) الآية ٢٤ سورة النازعات.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٤٢٦).

السحر، أعظم من نكالك، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله، لما قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: عمنا بالصبر على دينك، والثبات عليه، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي: متابعين لنيك موسى، عَلَيْهِ السَّلَام. وقالوا لفرعون: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣) إِنَّهُ، مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الُّعْلَى (٧٥) ﴿١﴾: فكانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة. قال ابن عباس، وعبيد بن عمير، وقتادة، وابن جريج: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء. (٢).

قال تعالى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٣) وذلك أن فرعون -لعنه الله- أراد أن يتَهَرَّجَ على الناس، ويعارض ما جاء به موسى، عَلَيْهِ السَّلَام، من الحق المبين، بزخارف السحرة والمشعبذين، فانعكس عليه النظام، ولم يحصل له ذلك المرام، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام، و﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (٤٦) قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤﴾ فظن فرعون أن يستنصر بالسحَّار، على رسول عالم الأسرار،

(١) الآيات ٧٢-٧٥ سورة طه.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ / ص ٢٦٩.

(٣) الآية ٨٢ سورة يونس.

(٤) الآيتان ٤٦ - سورة الشعراء ٤٨.

فخاب وخسر الجنة، واستوجب النار. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ۖ﴾ (٧٨) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْفُونَ ﴿١﴾؛ وإنما قال لهم ذلك لأنهم اصطفوا - وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴿٢﴾، فأراد موسى أن تكون البداءة منهم، ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم؛ ولهذا لما ﴿أَلْقَوْا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (٣) (٤).

من احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تخويله السحرة من عذاب الله:

لقد حرص موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على نصيح السحرة وهدايتهم، وكما نصح لفرعون كثيرا، تقدم لهؤلاء بالنصيحة، وقد كان لها أثرها لصدق موسى نبي الله الكريم على هدايتهم، ولسلامة فطرة هؤلاء ولإرادة ربنا بهم تلك المنزلة العالية، وهذا دأب المحتسب أنه يحب الهداية للعباد، حريص على إيمانهم واعتقادهم، حريص على دينهم وعلى دنياهم، ليس مراده الغلبة لحظ نفسه ولا لدنيا فانية بل عمله لله جل جلاله وهنا كانت قلوب السحرة قبله متعلقة بالدنيا لكنها لما أبصرت الحق قبلته وتعلقت به. وفي موقف موسى هنا تعليم للمحتسب أن

(١) الآيتان ٧٩-٨٠ سورة يونس.

(٢) الآيتان ٦٥، ٦٦ سورة طه.

(٣) الآية ١١٦ سورة الأعراف.

(٤) تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٢٨٦).

يكون هذا شأنه وأن يدعو إلى التوحيد وينبذ شرك السحرة وضلالهم والنتائج على الله وستكون حسنة في دنياه وأخراه.

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ٦١﴾ فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ٦٤﴾^(١) يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه لما تواعد هو وموسى عليه السلام، إلى وقت ومكان معلومين، تولى، أي: شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته، الذي كان منتشراً فأرسل الله موسى بالعصا واليد والآيات الأخرى.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ أي: اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة، وجلس فرعون على سرير مملكته، واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسى، عليه السلام، يتوكأ على عصاه، ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفاً، وهو يحرضهم ويحثهم، ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم، ويتمنون عليه، وهو يعدهم ويمنيهم، فيقولون: ﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾^(٢) قَالَ لَهُم

(١) الآيات ٦٠-٦٤ سورة طه.

(٢) الآيتان ٤١-٤٢ سورة الشعراء..

مُوسَى وَيَلِكُمْ لَا تَقْرَؤُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١﴾ أي: لا تُخَيِّلُوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها^(١)، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتهم على الله، ﴿فَسَحَّجْتُمْ بَعْدَآبٍ﴾ أي: يهلككم بعقوبة هلاكاً لا بقية له، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ ﴿١١﴾ فَنَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴿١٢﴾ قيل: معناه: أنهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول: ليس هذا بكلام ساحر، إنما هذا كلام نبي. وقائل يقول: بل هو ساحر. وقيل غير ذلك، والله أعلم. وقوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾ أي أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أن

(١) في تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٢٨٦). يقول موسى عليه السلام إنما صنعتموه إنكم سحرتهم أعين الناس، فالسحرة زمن موسى عليه السلام يفعلون أشياء لا حقائق لها فهم سحروا أعين الناس، وليس مقصود ابن كثير أنه لا يوجد سحر كيف والله قال وجاءوا بسحر عظيم. وإنما مراد ابن كثير الذي تتلمذ على شيخ الإسلام. أن يذكر أن تلك الحبال والعصى لم تتغير عن حقيقتها، وبفسه لا يحرك ساكنًا ولا يسكن متحركًا ولا يقلب حقيقة ولا ذاتًا وذاتًا إلى ذات أخرى. وهذه ليست بمستغربة على أحوال السحرة [مددًا وأمواً]، فإن السحرة والكهان من همهم أمرين: المال والرفعة والمكانة ليشار إليهم بالبنان وهذا معلوم مفهوم في كلام فرعون، ففرعون إنسان خطير ويعرف حقائق الأمور بل من خطره معرفته بهؤلاء السحرة - والسحرة شراذم الخلق - ادعى الربوبية واستخف قومه فأطاعوه واستغل أولئك السحرة في استخفاف قومه ودليل ذلك قوله: ﴿إِن لَّنَا لَآخِرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ فأجابهم ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَئِنَّمُ الْمَقَرِّينَ﴾. وهنا أمر وملحظ لابد أن ينتبه له المحتسبون، وهو أنهم لا بد وأن يكونوا محيطين بالجديد في أمر خفة اليد، فلقد كان هناك رجل درس في أمريكا خفة اليد، وكان من ضمن ألامه أنه يأكل الجمر، ولقد أقامت زوجته دعوى عليه بأنه ساحر والتقيته ولما قالوا يأكل الحجر، قلت لهم إن كان محققاً في أكله الحجر فأنا آتية بحجر من عندي ويأكله، لكن الحقيقة أن هذا الرجل يستخدم جمرًا أمريكيًا وهو إذا نفخ فيه أو تعرض للهواء انطفئ من تلقاء نفسه. فلما سمع ذلك مني قفز من على كرسيه ليسجد لله، وليعرف الناس أنه ليس بساحر.

هذا الرجل وأخاه -يعنون: موسى وهارون- ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس، وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده، فيتصبرا عليه ويخرجاكم من أرضكم. وقوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أي: ويستبدا بهذه الطريقة، وهي السحر، فإنهم كانوا معظمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها، يقولون: إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض، وتفردا بذلك، وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم.

وقد جاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ يعني: ملكهم الذي هم فيه والعيش. وعن علي في قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ قال: يصرفا وجوه الناس إليهما. وقال مجاهد: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ قال: أولي الشرف والعقل والأسنان. وقال أبو صالح: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أشرافكم وسرواتكم. وقال عكرمة: بخيركم. وقال قتادة: وطريقتهم المثلى يومئذ بنو إسرائيل، كانوا أكثر القوم عددا وأموالا فقال عدو الله: يريدان أن يذهبا بها لأنفسهما^(١). وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ أي خاف على الناس أن يَفْتِنُوا بسحرهم ويغترون بهم^(٢) قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحى الله تعالى

(١) تفسير ابن كثير (ج ٤ / ص ٢٨٦).

(٢) إن موسى عَلَيْهِ السَّلَام لم يخف من أولئك السحرة، بل إن موسى عَلَيْهِ السَّلَام كان خائفاً أن يرتد الناس ويفتنوا من أولئك عن السحرة، ولو كان خائفاً منهم ما تصدى لآلاف السحرة كما روى عن السلف، وعلى رأسهم ذلك الطاغوت الذي ادعى الربوبية فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ أَتَعْلَى﴾، ولكن

إليه في الساعة الراهنة أن ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني: عصاه، فإذا هي ﴿نَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ وذلك أنها صارت تَنِيًّا عظيما هائلا ذا عيون وقوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئا إلا تلقفته وابتلعتها، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جَهْرَةً، نهارًا ضحوة. فقامت المعجزة، واتضح البرهان، وبطل ما كانوا يعملون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(١).

وهذا من معالم الاحتساب في قصته عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعلم الموحد المحتسب على السحرة وشياطينهم أنهم مهما بهرجوا ومهما هولوا ومهما عظموا أنفسهم وعملهم فإنهم خاسرون اقترنت بهم الخيبة واقترن بهم الخسران فما صنعوا إلا

هؤلاء المحتسبين أحباب الله ورسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين يقومون بحقه ويدلون الغالي والنفيس من أجل توحيد الحكيم العليم فإنه لأعظم ما تنفق الأعمار وتبذل فيه الأموال توحيد الجبار جلا جلاله، لقد كان موسى خائفًا من إفساد المفسدين، وهؤلاء أنبياء الله ورسله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولى العزم من الرسل، أرسلهم الله رحمة للعالمين، وكان خوفه رحمة بعباد الله. يريد أن يعبد لهم لله ويخرجهم إلى نور التوحيد، كما أن أولئك السحرة أعوان للشيطان وهمهم الأكبر إرضاء ربهم وسيدهم فرعون أن يجلبوا أكبر عدد من الناس يدخلون مع فرعون والشيطان إلى النار وبئس القرار، فالله يقول لا تخف إنك أنت الأعلى وذلك بالتوحيد في انتصارك على الكفر والسحرة، لا تخف يا موسى ثم أمره فقال ألقِ إن السحرة ضعفاء فهم أولياء الشيطان والله قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

(١) تفسير ابن كثير (ج ٥ / ص ٣٠٢). قال محمد بن كعب: كانوا ثمانين ألفًا، وقال القاسم بن أبي بزة: كانوا سبعين ألفًا. وقال السدي: بضعة وثلاثين ألفًا. وعن أبي ثمامة: كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفًا. وقال محمد بن إسحاق: كانوا خمسة عشر ألفًا. وقال كعب الأحبار كانوا اثني عشر ألفًا. وعن ابن عباس قال: كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء..

كيدا، وكيدهم لا يفلح أبدا، وكيف يفلح والله قال عن وليهم ان كيد الشيطان كان ضعيفا.

فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون، فعند ذلك وقعوا سُجَّدًا لله وقالوا: ﴿أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١﴾ (٢). عندما أبصر السحرة ما فعل موسى من انقلاب عصاه إلى حية تلقف ما يأفكون، ورأوا بأم أعينهم، وهم أهل الخبرة بعلوم السحر وطرقه ووجوهه علموا علم اليقين أن ما فعله ليس من قبيل السحر فعند ذلك سجدوا لله وقالوا ﴿أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٢﴾. لم يغتروا لما أعد لهم من الترغيب، ولم يرجعوا عن الإيمان والهداية بالترهيب، بل قالوا أقض ما أنت قاض. ولهذا قال ابن عباس، وعبيد بن عمير: كانوا أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة. قال ابن أبي حاتم: قال الأوزاعي: لما خرَّ السحرة سُجَّدًا رُفِعَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهَا. وقال ابن أبي حاتم: وذكر عن سعيد بن سلام: حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سليمان، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير قوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ قال: رأوا منازلهم تبني لهم وهم في سجودهم. وكذا قال عكرمة

(١) الآيتان ٤٧، ٤٨ سورة الشعراء.

(٢) تفسير ابن كثير (ج ٥ / ص ٣٠٢).

والقاسم بن أبي بزة^(١).

قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئِينَ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧٣) ﴿٢﴾. يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل، حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب - شرع في المكابرة والبهت، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة، فتهدهم وأوعدهم وقال ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ﴾ أي: صدقتموه ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي: وما أمرتكم بذلك، وافتمم عليّ في ذلك. وقال قولاً يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى، وافتمم أنتم وإياه عليّ وعلى ريعتي، لتظهروه. وقوله: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أي أنتم تقولون: إني وقومي على ضلالة، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى. فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه. فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم، هانت عليهم أنفسهم في

(١) تفسير ابن كثير (ج ٥ / ص ٣٠٢).

(٢) الآيات ٧١-٧٣ سورة طه.

الله عَزَّجَلَّ، و﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي: لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين. ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ يحتمل أن يكون قسمًا، ويحتمل أن يكون معطوفًا على البيّنات. يعنون: لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت. ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما لك تسلُّط في هذه الدار، وهي دار الزوال ونحن قد رغبنا في دار القرار. ^(١) ﴿إِنَّا أَمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا﴾ أي: ما كان منا من الآثام، خصوصًا ما أكرهتنا عليه من السحر لنعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: خير لنا منك ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أدوم ثوابًا مما كنت وعدتنا ومنيتنا. وهو رواية عن ابن إسحاق، رَحِمَهُ اللَّهُ. وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ أي: لنا منك إن أطيع، ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: منك عذابًا إن عُصِي. وروي نحوه عن ابن إسحاق أيضًا. قال ابن كثير: والظاهر أن فرعون -لعنه الله- صمم على ذلك وفعله بهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف: أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء.

قال ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ^(٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا فَقَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ^(٧٥)

(١) تفسير ابن كثير ج ٥ / ص ٣٠٤ وما بعدها بتصرف.

جَنَّتْ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ (١). الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد، فقالوا: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ أي: يلقي الله يوم القيامة وهو مجرم، ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (٢).

قال ابن تيمية: (وقد قصَّ سُبْحَانَهُ قِصَّةَ مُوسَى وَأَظْهَرَ بَرَاهِينَ مُوسَى وَآيَاتِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَظْهَرِ الْبَرَاهِينَ وَالْأَدْلَةِ حَتَّى اعْتَرَفَ بِهَا السَّحَرَةُ الَّذِينَ جَمَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَنَاهَيْكَ بِذَلِكَ فَلَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ حَقَّ مُوسَى؛ وَآتَى بِالْآيَاتِ الَّتِي عَلِمَ بِالْاضْطِرَارِ أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ؛ وَابْتَلَعَتْ عَصَاهُ الْجِبَالَ وَالْعِصْيَ الَّتِي أَتَى بِهَا السَّحَرَةُ بَعْدَ أَنْ جَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ وَسَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوا النَّاسَ ثُمَّ لَمَّا أَظْهَرَ الْحَقُّ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ قَالُوا: ﴿أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: ﴿أَمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ أَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطِعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (٧٦) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الدَّلَائِلِ الْبَيِّنَاتِ الْيَقِينِيَّةِ الْقُطْعِيَّةِ وَعَلَى الَّذِي فَطَرَنَا؛ وَهُوَ خَالِقُنَا وَرَبُّنَا الَّذِي لَا بُدَّ لَنَا مِنْهُ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى هَذِهِ الدَّلَائِلِ الْيَقِينِيَّةِ وَعَلَى خَالِقِ الْبَرِيَّةِ﴾ فَأَقِضْ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ

(١) الآيات ٧٤-٧٦ سورة طه.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (ج ٣ / ص ٤٢٦).

الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ يُبَيِّنُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْهَا مِنَ الْإِعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ نَوْعًا غَيْرَ النَّوعِ الْآخِرِ ^(١).

وإن من معالم الاحتساب في قصة موسى أن المحتسب على السحرة منصور شرعا، ومؤيد بنصر الله وتسخير الكون لنصرته بإذن الله، وفي احتساب موسى على فرعون وسحرته ما يظهر هذا واضحا، فقد هزمهم بحججه وآياته الشرعية ودعوته إلى التوحيد ثم بما معه من آيات ومعجزات، ثم نصره الله قدرا وكونا فأهلك فرعون وقومه. وقد استدل بعض اليهود بتأييد الله ونصره لموسى على بعض المبتدعة الذين كانوا يدافعون عن فرعون ويعذرونه قال ابن تيمية: حَدَّثَنِي بِهِاءُ الدِّينِ عَبْدُ السَّيِّدِ الَّذِي كَانَ قَاضِيَ الْيَهُودِ وَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ قَدْ اجْتَمَعَ بِالشَّيْرَازِيِّ أَحَدِ شُيُوخِ هَؤُلَاءِ وَدَعَاهُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ وَزَيَّنَهُ لَهُ فَحَدَّثَنِي بِذَلِكَ فَبَيَّنْتُ لَهُ ضَلَالَ هَؤُلَاءِ وَكُفْرَهُمْ وَأَنَّ قَوْلَهُمْ مِنْ جَنْسِ قَوْلِ فِرْعَوْنَ. فَقَالَ لِي: إِنَّهُ لَمَّا دَعَا حَسَنُ الشَّيْرَازِيِّ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ قَالَ لَهُ: قَوْلُكُمْ هَذَا يُشَبِّهُ قَوْلَ فِرْعَوْنَ فَقَالَ: نَعَمْ وَنَحْنُ عَلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ وَكَانَ عَبْدُ السَّيِّدِ إِذْ ذَاكَ لَمْ يُسَلِّمْ بَعْدُ فَقَالَ: أَنَا لَا أَدْعُ مُوسَى وَأَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ قَالَ لَهُ وَلِمَ؟ قَالَ لِأَنَّ مُوسَى أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ. فَانْقَطَعَ فَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ الْقَدَرِيِّ الَّذِي نَصَرَ اللَّهُ بِهِ

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (ج ٤ / ص ٢٠٥).

مُوسَى لَا يَكُونُ لَهُ كَانَ رَسُولًا صَادِقًا^(١).

حفظ الله للمحتسبين:

ومن معالم الاحتساب التي يأخذها المحتسب من قصة موسى حفظ الله من كيد السحرة، ولقد حفظ الله موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من فرعون ومعه السحرة، حتى أن فرعون يقول: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ فلمن يقول ذروني، ومن ذا الذي يمسك به وهو فرعون ذو الأوتاد، وهل يحتاج إذاً من أحد ليقتل موسى لكنها عبارة تحكي عجز من يحادد الله ورسله وقوة من ينصر الله ودينه..

إن الله ينصر المحتسبين الذين تمسكوا بالهدى، ويخذل السحرة الذين يخالفون الهدى ودين الحق. فالرسل نصروا لكونهم تمسكوا بالهدى وكذلك من سار على طريقهم.

وهي سنة الله مع أوليائه المحتسبين على من احتسب على السحرة أعوان الشياطين - ذروني أقتل موسى ويدع ربه. لقد قذف الله الرعب في قلب فرعون وما استطاع أن يمس موسى بأذى، مع أن القوة والجنود والعتاد والعدد كان مع فرعون، ولم يكن مع موسى إلا الله **عَزَّجَلَّ** ثم أخيه.

وإن المحتسب الناظر في قضية احتساب موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** على السحرة يجد أن المحتسب مؤيد من الله، بل إنه بالاحتساب على هؤلاء يتغير كل شيء حتى السنن الكونية، ولقد كان ذلك في حياة الأنبياء لما قاموا بدعوة التوحيد

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (ج ١ / ص ١٧٧).

نصرهم الله ونصرهم وتغيرت سننه فلا ماء أغرق ولا نار أحرقت ولا سكين
قطعت ولا كيد كائد أفلح مع عيسى بل رفعه الله إليه، ولا خوف ولا حزن لمن
خرج **صلى الله عليه وسلم** وصاحبه من رؤية الكفار وقد وصلوا إلى الغار: لا تحزن إن
الله معنا ما ظنك بأثنين الله ثالثهما.

المبحث الثالث: احتساب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة والشياطين

إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنبياء الله الكرام، أقام عَلَيْهِ السَّلَامُ دعوة التوحيد كما فعل إخوانه من الأنبياء والمرسلين، لقد نشر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ التوحيد في مملكته حتى تجلّى ذلك واضحا في قول طائر صغير وهو الهدهد الذي جاء بتلك الغيرة العجيبة على التوحيد): ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۚ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝﴾^(١)، ولما سمع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا القول ما تواني عن دعوة أولئك إلى الله تعالى، فكتب رسالته الموجزة العظيمة يدعوهم إلى توحيد الله والاستسلام له: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ۝﴾^(٢)، ولقد أعد لهم جنودا لا قبل لهم بها إذا لم يوحدوا وما زال يدعوهم رغبا ورهبا حتى قالت التي تملكهم: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾^(٣).

(١) الآيات ٢٣-٢٦ سورة النمل.

(٢) الآيتان ٣٠-٣١ سورة النمل.

(٣) الآية ٤٤ سورة النمل.

ذلك النبي آتاه الله ملكا عظيما، عجيبا، فحشر الله له جنوده من الإنس والجن والطير وسخر له الريح ومكنه من الجن وملكهم له، ولما رأى اليهود في زمانه تلك العجائب نسبوه إلى السحر **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وكذلك فعلت ذرياتهم حتى أولئك الذين كانوا على عهد نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فدافع الله عن نبيه ودفع عنه **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وبين أنه حاشاه وهو نبي كريم أن يتعاطى السحر فيكفر بالله تعالى، وإنما الذي علم الناس السحر ونشره هم الشياطين، ولقد احتسب سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** على أولئك الشياطين وجمع كتب السحر وهدد من يتعاطاه أو يبيث الأخبار التي تنشره وتدعو الناس إليه بالقتل كما قال بعض السلف، وأنه حاشاه أن يتعاطى السحر وكيف يفعل وهو نبي كريم، يدعو أول ما يدعو إلى توحيد الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾^(١). وفي هذا المبحث عرض لمعالم الاحتساب في قصته **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: من الذي نشر السحر زمن سليمان.

المطلب الثاني: احتساب سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** على السحرة والشياطين.

(١) من الآية ١٠٣ سورة البقرة.

المطلب الأول: من الذي نشر السحر زمن سليمان

إن السحر شرك بالله العظيم، وقد نسب قوم السحر لنبي الله سليمان فدافع الله عنه **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وبين أن الذين نشروا السحر هم الشياطين الذين توعدوا بني آدم بالإغواء وحلفوا للرب تعالى أن يضلّوهم أجمعين، وكان السحر من الطرق التي أخرج بها الشياطين الناس من الهدى إلى الضلال، وبرأ الله نبيه الداعي إلى التوحيد من ذلك فقال تعالى: وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وفي هذا المطلب ذكر لبيان السلف الصالح لهذا الأمر.

١. قول ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**:

لقد بين ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن السحرة هم من علم الناس السحر، وأن بقايا ما بالعراق مما حكا له بعض القادمين منها إنما هو من هذا الميراث الخبيث، وأن سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بريء من هذا براءة الله له.

أخرج الطبري عن عمران بن الحارث قال: بينا نحن عند ابن عباس، إذ جاءه رجل فقال له ابن عباس: من أين جئت؟ قال: من العراق. قال: من أيه؟ قال: من الكوفة. قال: فما الخبر؟ قال: تركتهم يتحدثون أن عليا خارج إليهم! ففرع فقال: ما تقول؟ لا أبا لك! لو شعرنا ما نكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه! أما إنني أحدثكم؛ من ذلك: إنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيأتي

أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا حدث منه صدق، كذب معها سبعين كذبة. قال: فتشربها قلوب الناس. فأطلع الله عليها سليمان، فدفنها تحت كرسيه، فلما توفي سليمان بن داود قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنزه الممنع الذي لا كنز مثله؟ تحت الكرسي! فأخرجوه، فقالوا: هذا سحر! فتناسخها الأمم -حتى بقاياهم ما يتحدث به أهل العراق- فأنزل الله عذر سليمان: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾^(١).

٢. قول قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذكر قتادة براءة سليمان من السحر وتعليمه فقال في تفسيره للآية: (إن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه وما كان ذلك عن مشورة سليمان ولا عن رضا منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين دونه)^(٢).

٣. قول ابن جريج رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن جريج: تلت الشياطين السحر على اليهود على ملك سليمان، فاتبعته اليهود على ملكه، يعني اتبعوا السحر على ملك سليمان. وبنحو هذا قال ابن

(١) تفسير الطبري (ج ٢ / ص ٤١٥).

(٢) نفس المرجع السابق.

إسحاق، والربيع، ومجاهد وجمع من العلماء^(١)، ذكروا ما ذكره الله في القرآن من أن الشياطين هي من علمت الناس السحر، وأوحته إليهم وعلمته إياه في زمن سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وأما هو فقد احتسب على هؤلاء كما سيأتي بيانه.

(١) نفس المرجع السابق.

المطلب الثاني: احتساب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة والشياطين

لما أكرم الله عبده النبي سليمان بهذا الملك العظيم العجيب، وسخر له كل شيء، وكان هناك عجائب من تسخير الجن، واستعمالهم في الإتيان من قاع البحار بألوان اللؤلؤ والمرجان، وما يبنيه من أبنية عظيمة، وكان من العجائب كلامه الطير.

انتشر في ذلك الوقت بعض السحرة الذين كانوا يكتبون بعض الأعمال والأسحار، وكان سليمان كإخوانه من رسل الله المبعوثين ليعبدوا العباد لله **جَلَّ جَلَالُهُ**، قد خشي **عَلَيْهِ السَّلَامُ** على أمته واحتسب على أولئك السحرة، فجمع كل ما كتب من السحر ووضع تحت قدمه حتى لا يستطيع أن يصل إليه أحد، وكي لا ينتشر ذلك السحر وذلك الكفر بالله، وتوعد من يقوم بهذا محتسبا عليهم أنه سيضرب عنقه كما حاء عن بعض السلف. وسنذكر ما ذكره علماء السلف في ذلك:

١. قول قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذكر الطبري عن قتادة قال: ذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفسوه في الناس وعلموهم إياه، فلما سمع بذلك سليمان نبي الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تتبع تلك الكتب، فأتى بها فدفنها تحت كرسیه، كراهية أن

يتعلمها الناس. فلما قبض الله نبيه سليمان، عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذي كانت فيه فعلموها الناس، فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به. فعذر الله نبيه سليمان وبرأه من ذلك، فقال جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾^(١).

٢. قول سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ:

قال سعيد بن جبير قال: كان سليمان يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته. فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتريدون العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه. فاستثارت الإنس فاستخرجوه فعملوا به. فقال أهل الحجاز: كان سليمان يعمل بهذا، وهذا سحر! فأنزل الله جل ثناؤه على لسان نبيه محمد ﷺ براءة سليمان. فقال: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ الآية، فأنزل الله براءة سليمان على لسان نبيه عَلَيْهِمَا السَّلَام^(٢)..

وقد ذكر الطبري عدة آثار عن ابن إسحاق ومجاهد وغيرهم يذكرون هذا المعنى، وهذا هو الحق الذي هو خليف به ﷺ، أن يتبع ويجمع تلك الكتب التي فيها السحر والكهانة التي أوحتها الشياطين للبشر الذين أرادوا أن

(١) تفسير الطبري (ج ٢ / ص ٤١٠).

(٢) تفسير الطبري (ج ٢ / ص ٤١٣) باختصار.

يصنعوا مثل تلك الآيات النبوية الخارقة التي مع سليمان عليه السلام، وتلك فرصة اهتبلتها الشياطين، وألقت للناس الأشرار أن تلك العجائب التي مع سليمان إنما هي سحر، وعلموهم هذا السحر، فلما علم سليمان عليه السلام قام ينهئ عن هذا الشرك العظيم، ويجمعه ويدفنه، وقد توعد بالقتل من يتعاطى السحر، أو يتكهن، أو يعتقد أن الشياطين تعلم الغيب^(١).

والمحتسب يتعلم من احتسابه عليه السلام أن يعمل جاهدا على محو تلك الكتب من بين الناس حسا ومعنى، فعليه أن يعدم ما يجده من هذه الكتب إن قدر، وأن يرفع أمر من ينشرها إلى ولي الأمر أو من له سلطة في ذلك، كما عليه أن يبين ضرر هذه الكتب وأهلها وفساد معناها، ونشرها الخراب دينا ودنيا، فهي تنشر الشرك وتنشر كل المفاسد، كما ينبغي على المحتسب أن يمنع ترويح هذه الكتب وغيرها من أعمال السحر والكهانة والإعلان عنها، وأن يعاقب من يصنع هذا، لأن هذا الترويح قد ينطلي على بعض الضعفاء والجهلاء خاصة في زماننا هذا الذي تلعب فيه التقنية في الإعلانات دورا خطيرا، ويلعب بعقول الناس وقلوبهم، ويتاجرون بالآمهم، ففي احتساب سليمان عليه السلام توجيه للمحتسبين على أولئك السحرة وأولئك الكهان الكاذبين المدعين إطلاع الغيب، فإن الشياطين الذين يلقون إلى الكهنة ذلك، ما علموا بموت سليمان وهم بين يديه، وما دلهم على موته إلا تلك الدابة الصغيرة، فالجن التي

(١) راجع تفسير الطبري (ج ٢ / ص ٤١٠ وما بعدها باختصار.

لم تعلم بموت سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي بين يديه تنظر إليه، ولم تستطع أن تنفع نفسها فكيف تقدر على نفع غيرها، إن الشياطين لا تعلم الغيب وبالتالي فالكهان والسحرة كذلك، بل هم أضعف من أوليائهم، وهم كذبة بخبر الله وبالتجربة وبالعقل. وهي لا تقدر على ضر من تحصن بذكر الرحمن الرحيم، تلك الأذكار التي ارشد إليها الهادي البشير النذير صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المبحث الثالث: احتساب نبينا ﷺ على السحرة والكهان

لما كان نبينا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه لا نبي بعده إلى قيام الساعة فقد كان ﷺ هو أعظم المحتسبين في هذا الباب، إذا احتسب ﷺ على السحرة، كما احتسب على أخوان السحرة، فأحتسب على الكهان فحذر من إتيانهم، وذكر الوعيد الشديد لمن جاءهم مصدقا أو مكذبا، كما بين خبث كسبهم، وبين حقارتهم، وهوانهم وضعف ما عندهم حين قال هم ليسوا بشيء، وقد احتسب ﷺ على التنجيم عمليا كما تجلى ذلك حين نزل عليه وعلى أصحابه المطر بالحديدية فقال: «اتَّدُرُونْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(١)، كما حذر من التعلق بشيء كتميمة وغيرها، كما احتسب على الشياطين ﷺ، لقد احتسب النبي ﷺ على هؤلاء جميعا، وبين لأصحابه ولأئمة خطر هؤلاء جميعا وحذرهم من هذه المسالك، وبين لهم كيف يجتنبون ذلك وكيف يقضون على فساد هؤلاء جميعا وكشف في احتسابه باطل هؤلاء جميعا.

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب يَسْتَقْبِلُ الْإِمَامُ النَّاسَ إِذَا سَلَّمَ حديث رقم ٨٠١، ومسلم في كتاب الإيمان باب بَيَانُ كُفْرِ مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ حديث رقم ١٠٤.

وفي هذا المبحث سنلقي الضوء على هذه الجوانب، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: احتساب النبي ﷺ على السحر والسحرة.

المطلب الثاني: احتساب النبي ﷺ على الكهانة والكهان.

المطلب الثالث احتساب النبي ﷺ على المنجمين.

المطلب الرابع احتساب النبي ﷺ على الشياطين.

المطلب الأول: احتسابه ﷺ على السحرة

احتسب النبي ﷺ على السحر والسحرة، ذلك أنه سحر ﷺ كما جاء في الصحيح، وكان سحره ﷺ لحكم بالغة منها أنه بسحره علم الأمة كيف تتقي السحر، وكيف تحتمي منه وتتحصن، وكيف تعصم نفسها من شر السحر، ومن كيد السحرة، وذلك لأن الحدث إذا كان مرتبطاً بالنبي ﷺ كانت العناية به أكثر، ومدراسته أتم، وقد ارتبطت بسحره أحداث من مرضه ﷺ وطلبه الشفاء من ربه بالدعاء، وسؤال الله عن هذا الداء واستفتاء النبي ﷺ ربه في ذلك ونزول ملكين للإجابة عن سؤال النبي ﷺ ودعائه، وذهابه للبئر التي فيها السحر واستخراجه، كل ذلك جعل عناية الأمة بهذا الحدث أكبر، ذلك أن خطر السحر لا يعلمه إلا الله، وهذا من معالم احتسابه أيضاً عليه ﷺ، فإن من احتسابه ﷺ بيانه لأمته كيف يحافظون على عقائدهم، كما أن من احتسابه ﷺ بيانه لأتباعه كيف يحافظون على أبدانهم. كما بين النبي ﷺ ضعف هؤلاء السحرة للناس وأرشد الأمة إلى أعظم ما يحل به السحر وهو توحيد الله تعالى والدعاء كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثم دعا ثم دعا، وإن من تمام توحيد العبد وتوكله وثقته في ربه، ومن بركات الدعاء أن يسخر الله من يكتشف السحر أو يحله بتقدير منه تعالى، ودون تدبير ممن أصيب بلك الداء.

١. أخرج البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيهِنَّ قَالَ سُفْيَانٌ وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ إِذَا كَانَ كَذَا فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَعْلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ مَا بَالَ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ وَفِيمَ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ قَالَ وَأَيْنَ قَالَ فِي جُفٍّ طُلْعَةٍ ذَكَرٍ تَحْتَ رَاغُوفَةٍ فِي بئرِ ذَرَوَانَ» قَالَتْ فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِئْرَ حَتَّى اسْتَخَرَجَهُ فَقَالَ: «هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قَالَ: فَاسْتَخَرَجَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلَا أَيْ تَشَرَّتْ فَقَالَ: «أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا»^(١). وفي رواية: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلَّا أَخْرَجْتَهُ قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا»^(٢) وفي رواية: فَقُلْتُ اسْتَخَرَجْتَهُ^(٣) وفي رواية: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ^(٤).

وقد تجلّى احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يلي:

التحذير من السحر وبيان عظيم إثمه:

بواب البخاري في صحيحه باب الشُّرْكُ وَالسِّحْرُ مِنَ الْمُؤْبَقَاتِ، وأورد فيه

(١) رواه البخاري في كتاب الطَّبِّ، باب هَلْ يَسْتَخْرِجُ السَّحَرُ حَدِيثَ رَقْم ٥٣٢٣.

(٢) رواه البخاري في كتاب الدَّعَوَاتِ، باب تَكْرِيرِ الدَّعَاءِ حَدِيثَ رَقْم ٥٩١٢.

(٣) رواه البخاري في كتاب بَدَأِ الْخَلْقِ، باب صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ حَدِيثَ رَقْم ٣٠٢٨.

(٤) رواه مسلم في كتاب السَّلَامِ، باب السِّحْرِ حَدِيثَ رَقْم ٤٠٥٩.

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا الْمُؤَبَّاتِ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَالسَّحْرُ» ^(١).

بيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطورة إتيان الكهان والسحرة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود قال من أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣).

وإذا كان حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصريح ورد في الكهان فإن السحرة أشد منهم ضرراً، وأعظم خطراً، فيدخلون في هذا من باب قياس الأولى، وذلك لأن كل ساحر كاهن وليس كل كاهن ساحراً ^(٤). وقد ذكر الإمام أحمد أن كل ساحر

(١) رواه البخاري في كتاب الطب، باب الشُّركِ وَالسَّحْرِ مِنْ الْمُؤَبَّاتِ حديث رقم ٥٣٢٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ٩١٧١ - (ج ١٩ / ص ٢١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٠٤٧ - (ج ٣ / ص ٩٨).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي - (ج ٨ / ص ١٣٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (ج ٣ / ص ٩٨) برقم ٣٠٤٨.

(٤) أورد الترمذي حديثاً في نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهود ووعظهم في السحر، صحح الترمذي إسناده وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ قَالَ قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ لَا تَقُلْ نَبِيٌّ لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَعْيُنٌ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلَهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيَّنَّاتٍ فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا تَمْشُوا بَهِرَى إِلَى ذِي سُلْطَانٍ وَلَا تَسْحَرُوا وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا وَلَا تَقْذِفُوا الْمُحْصَنَةَ وَلَا تَوَكَّلُوا يَوْمَ الزَّخْفِ وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةٌ يَهُودٌ أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» فَقَبَّلُوا

كاهنا.

هذا وأحوال الآتين للسحرة والكهان مختلفة فهم ليسوا على مهيع واحد فهم

إما:

١. سائل مصدق وهذا كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢. سائل غير مصدق لا تقبل له صلاة أربعين ليلة، وهذا من يسأل عبثاً، أو لعباً ومثل هذا كثير: يسأل أو يقف مع قنوات السحر وصفحاته على مواقع التواصل ومن يسأل قارئ الفنجان أو من يخط بالرمل أو الحصى أو من يتصل بالهاتف على قنوات تنشر هذا الخبث غير مصدق ولا مؤمن بذلك ولا معتقد فيهم، أو من يقف عند بعض الكهان على قارعة طريق كما يحدث في بعض البلدان، فهناك من يقف بلا غرض ولا هدف بل قد يقول له ذلك الكاهن اعطني كفك فيعطيه كفه أو ينظر له في ورق كوتشينة، والنهي عن ذلك أيضاً من أعظم أبواب الاحتساب تأسيا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣. سائل محتسب، وقد امتحن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن الصياد فقال: خبئت لك يا ابن الصياد خبيئاً، ومن هذا يؤخذ جواز أن يمتحن المحتسب الذي يحتسب على السحرة والكهان لنفسه لا لغيره، ويطلع على كتب القوم، أو على

يَدِيهِ وَرَجْلَيْهِ وَقَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ قَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي» قَالُوا إِنَّ دَاوُدَ دَعَا بِأَنْ لَا يَزَالَ مِنْ دُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ اتَّبِعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا يَهُودُ. قال الترمذي حسن صحيح وضعفه الألباني. في ضعيف الترمذي، انظر صحيح وضعيف سنن الترمذي - (ج ٦ / ص ٢٣٣). والحديث رواه الترمذي في كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل حديث رقم ٢٦٥٧.

برامجهم أو أحوالهم، وذلك ليتمكن من تحذير الأمة من ذلك الخطر الداهم والشر المستطير، وكذلك امتحانهم وسواء أكان في ذلك محتسباً في إنكار منكرهم لينتهوا أو ليقام عليهم حد الله تعالى، أو فعل ذلك محتسباً وطالبا كشف حالهم للأمة دعوة إلى الله وتحذيراً من شرهم.

وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن السحر شرك، بل من يتعلق بأي أمر وسبب من أسباب السحر يكون ذلك شركا، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ مِنَ السَّحْرِ: الرُّقْيُ، وَالتَّوَلُّ، وَالتَّمَائِمُ»^(١).

قال ابن حجر: وَالتَّمَائِمُ جَمْعُ تَمِيمَةٍ وَهِيَ خَرَزٌ أَوْ قِلَادَةٌ تُعَلَّقُ فِي الرَّأْسِ، كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَدْفَعُ الْآفَاتِ، وَالتَّوَلَّةُ شَيْءٌ كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَجْلِبُ بِهِ مَحَبَّةَ زَوْجِهَا، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّحْرِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشُّرْكِ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا دَفْعَ الْمَضَارِّ وَجَلَبَ الْمَنَافِعَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ^(٢).

فالتمايم جمع تميمة، وهي خرزة أو قلادة كان يعلقها أهل الجاهلية ويعتقدون أنها تدفع الآفات، ولقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا شرك، فكيف بمن يعلق تميمة قد ملئت بالطلاسم والرموز، وكتبت فيها استغاثات بالشياطين وكفر برب العالمين.

(١) أخرجه المعجم الكبير للطبراني ٧٧٢٩ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٣٣١

(ج ١ / ص ٣٣٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٥٨).

تهوين أمر السحرة والكهان وبيان أنهم ليسوا بشيء:

أخرج البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَأَلَ أَنَسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُهَّانِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجَنِّي فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّ قَرِّ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»^(١).

إن هذا من أبرز معالم احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث بين قدرهم للناس وأنهم ليسوا بشيء، لقد سحقتهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سحقاً وأزال من الصدور تعظيمهم، وقلل القليل وقبح القبيح، فهم لا يملكون نفعا ولا ضرا إلا بإذن الله، فهؤلاء الذين هم ليسوا بشيء كيف للمسلم أن يأتيهم طالبا منهم نفعا أو كشف ضرر وفي هذا تحذير من الانخداع بهؤلاء وبيان لقدرةهم، وهو أنهم لا قدر لهم^(٢).

(١) رواه البخاري في كِتَابِ الْأَدَبِ، بَابُ الْمَعَارِضِ حديث رقم ٥٧٤٥، ومسلم في كِتَابِ كِتَابِ السَّلَامِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكُهَّانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ حديث رقم ٤١٣٥.

(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف لو يرى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يجري في زماننا هذا، من تعلق الناس بقارئ الكف والفتجان ومتابعيهم القنوات الفضائية والسوشيال ميديا وما تعج به من قراءة الكف والطالع اليكترونياً كما سنبينه إن شاء الله في باب الكهانة والاحتساب عليها. هذا بيان لاحتساب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحته أمته وتبينه للأمة أن السحرة والكهان ضعاف وليسوا بشيء، وإن الله جل وعلا يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفاً، فالساحر يستعين بالضعيف، والذي يلجأ إلى الساحر ليسحر يستعين بمن هو أضعف منه فحالهم ضعف في ضعف في ضعف، ودلالة ذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين حالهم وأن مقاومتهم ومحاربتهم يسيرة فقال: من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر. وسنبين ذلك مفصلاً عند الحديث عن كيفية التحصن.

وقد ذكرنا هذا الحديث للدلالة على هوان السحرة وإن كان واردا في الكهان لقول أحمد إن كل ساحر كاهن، وليس كل كاهن ساحر، فما ورد في الكهان دخل فيه السحرة. وإن من هوانهم وأنهم ليسوا بشيء أنهم لا يفلحون أينما ولوا وكيف يفلحون والله يقول ولا يفلح الساحر حيث أتى، وهذه سنة من سننه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** الماضية فأى نفع يأتي به الساحر بعد ذلك الذي لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة، فإنهم لا قدر لهم وكذلك لا قدرة لهم مع موحد يعرف ربه ويتحصن بذكره وهدي نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

بيان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأئمة كيفية التحصن من السحر ويسر ذلك.

إن من معالم احتسابه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على السحرة أن بين لأئمة كيف تتحصن من السحر، وأن ذلك أمر سهل ميسور مقدور لكل مسلم بفضل الله تعالى، وهذا التحصن بالأوراد والأذكار الشرعية، وكذلك بالتصبح بسبع تمرات من عجوة:

أ. عن عائشة: **«أَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ يَنْفُثُ بِالْمُعَوَّذَاتِ وَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ»**.

ب. وعن عائشة: **«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا**

أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(١).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ
الْلَيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»^(٢).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوَّذَتَيْنِ
فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ»^(٣).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أَتَبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ
يَدِي عَلَى قَدَمِهِ فَقُلْتُ أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ فَقَالَ: «لَنْ
تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»^(٤).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَاصْبَبْتُ خُلُوعَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ: «قُلْ»
فَقُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ: «قُلْ» قُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ حَتَّى خَتَمَهَا
ثُمَّ قَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلِ مِنْهُمَا»^(٥).

وقال البخاري: وَيُذَكَّرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ {الْوَسْوَاسِ} إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ

(١) رواه البخاري في كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابِ فَضْلِ الْمُعَوَّذَاتِ حَدِيثِ رَقْمِ ٤٦٣٠.

(٢) رواه مسلم في كِتَابِ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابِ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْمُعَوَّذَتَيْنِ حَدِيثِ رَقْمِ ١٣٤٨.

(٣) رواه الترمذي في كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابِ مَا جَاءَ فِي الْمُعَوَّذَتَيْنِ
حَدِيثِ رَقْمِ ٢٨٢٨.

(٤) رواه النسائي في كِتَابِ الْإِفْتِتَاحِ، بَابِ الْفَضْلِ فِي قِرَاءَةِ الْمُعَوَّذَتَيْنِ حَدِيثِ رَقْمِ ٩٤٤.

(٥) رواه النسائي في كِتَابِ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابِ فِي انْتِظَارِ الْفَرَجِ حَدِيثِ رَقْمِ ٣٤٩٩.

فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ** ذَهَبَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهُ ثَبَتَ عَلَى قَلْبِهِ ^(١).

لقد حرص النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على المعوذتين وأمر بهما واخبر عن كفايتهما العبد المسلم من كل شيء، فإنهما يصلحان لكل شيء فإنه يتعوذ بهما عند لقاء الأعداء، ويتعوذ بهما من شر الغاسق إذا وقب ومن شر كل بلاء، ومن شر النفاثات في العقد ومن شرور الظلمة والمعتدين، إن التعوذ بالمعوذتين منهج حياة، ففيهما اللجوء إلى الله تعالى، والعود هو اللجوء إلى ربنا **جَلَّ جَلَالُهُ**.

ج. في البخاري من حديث ابن عباس أَنَّهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كَانَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ» ^(٢).

وفي صحيح مسلم عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ سَمِعْتُ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةِ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَقُولُ مَنْ نَزَلَ مِنْزِلًا ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» ^(٣).

وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ «جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: لِدَغْتَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ أَتَمِّمْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ

(١) رواه البخاري في كِتَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ بَابِ قَوْلِهِ: اللَّهُ الصَّمَدُ.

(٢) رواه البخاري في كِتَابِ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، حديث رقم ٣١٢٠.

(٣) رواه مسلم في كِتَابِ الذِّكْرِ وَالذُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ حديث رقم ٤٨٨١.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْتُ حِينَ أُمْسَيْتُ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرْك» (١). وإنه لينبغي أن نحرص على التعوذ بكلمات الله التامات في كل محل، وعند الخوف من أي شيء وفي كل محل، ولو جعلناها منهجاً نعلمها أبنائنا عند الخروج وعند الأسفار في البراري والصحاري والقفار، لمنع شر كثير، أيها المسلم الموحد والمحتسب المجاهد لو أنك قلت أعوذ بكلمات الله التامات إذا هبطت طائرتك بلداً وفي مطارها أو إذا دخلت بلداً معتقداً جازماً لم يضرْك شيء، لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لا ينطق عن الهوى. علمه شديد القوى. لم يضرْك شيء حتى ترتحل.

د. الدعاء.

إن من احتسابه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن بين لأُمته كيف يقامون السحرة إذا سحروا مسلماً وذلك بتوكله على الله وتوجهه إليه تعالى بالدعاء قالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وهي تتحدث عن تضرع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى ربه في كشف ضر السحر: (لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا) ^(٢) قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ اسْتِحْبَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ حُصُولِ الْأُمُورِ الْمَكْرُوهَاتِ وَتَكَرُّرِهِ الْإِلْتِجَاءَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي دَفْعِ ذَلِكَ ^(٣).

وفي الدعاء انطراح بين يدي الله وإفراده بالوحدانية وأنجمه وأقربه في

(١) رواه أبو داود في كتاب الطَّبِّ، كَيْفَ الرُّقِيِّ حَدِيثَ رَقْم ٣٣٩٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب الطَّبِّ، بَابُ السَّحْرِ، حَدِيثَ رَقْم ٥٣٢١.

(٣) فتح الباري لابن حجر: (ج ١٦ / ص ٢٩٦).

ثلاث الليل الآخر وبين الأذان والإقامة وفي آخر ساعة من الجمعة فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين لأُمته أنه لما سحر دعاء ثم دعا وأن يتخذ المسلم ما يكون به إجابة الدعاء من نرسل لعمل صالح وحبذا لو كان بينه وبين الله.

قال ابن القيم: قال مطرف بن عبد الله: تذاكرت جماع الخير؟ فإذا الخير كثير: الصيام، والصلاة، وإذا هو في يد الله تعالى، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله إلا أن تسأله فيعطيك؛ فإذا جماع الخير: الدعاء^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: القلوب الصادقة والأدعية الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب^(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم: إذا أراد الله بعد خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به، وجعل استعانته ودعائه سبباً للخير الذي قضاه له، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه. كما أن الله تعالى إذا أراد أن يشبع عبداً أو يرويه ألهمه أن يأكل أو يشرب، وإذا أراد الله أن يتوب على عبد ألهمه أن يتوب فيتوب عليه، وإذا أراد أن يرحمه ويدخله الجنة يسره لعمل أهل الجنة، والمشيمة الإلهية اقتضت وجود هذه الخيرات بأسبابها المقدرة لها، كما اقتضت وجود دخول الجنة بالعمل الصالح، ووجود الولد بالوطء، والعلم

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم ج ١ ص: ٢١١ تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ج ٥ ص ٤٢٦.

بالتعليم، فمبدأ الأمور من الله، وتمامها على الله^(١).

وقال ابن القيم في الفوائد: إذا كان كل خير أصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجا دونه^(٢).

وفي الجواب الكافي: من ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة؛ فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٣).

٥. التصبح بسبع تمرات عجوة:

أورد البخاري في كتاب الطب باب الدَّوَاءِ بِالْعَجْوَةِ لِلْسَّحْرِ حَدِيثَ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ اضْطَبَحَ كُلَّ يَوْمٍ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّْ وَلَا سِحْرٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ وَقَالَ غَيْرُهُ سَبْعَ تَمَرَاتٍ^(٤).

إنه على كل محتسب يقارع هؤلاء يقوم بالاحتساب أن يحرص على التصبح بسبع تمرات فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر ذلك وهو سيد المتحصنين، أما من

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ج ١ ص ٨٩.

(٢) الفوائد: ابن القيم ص ٨٨ دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.

(٣) الداء والدواء: لابن القيم ص ٦٥ تحقيق محمد أجمل إصلاحي، إشراف د بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ م.

(٤) رواه البخاري في كتاب الطَّبِّ، الدَّوَاءِ بِالْعَجْوَةِ لِلْسَّحْرِ، حديث رقم ٥٣٢٦.

عجوة المدينة - عالية المدنية، أو من عجوة من أي موضع كما قال ابن باز أرجو أن يكون ذلك أيضاً - أو تمر كما جاء في المسند، وعلى المحتسب أن يوصي الناس بذلك وأن يعلمهم ذلك وأن يرشدهم إليه.

استخراج السحر من احتسابه صلى الله عليه وسلم على السحرة:

إن من احتسابه على السحرة وإفساد سعيهم، وإبطال أعمالهم أنه صلى الله عليه وسلم أرشد أمته إلى استخراج السحر وإبطاله بحرقه أو دفنه.

قال البخاري: باب هل يستخرج السحر وساق حديث عائشة رضي الله عنها قالت: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرج به فقال هذه البئر التي أريتها وكان ماءها نقاعة الحنأ وكان نخلها رؤوس الشياطين قال فاستخرج^(١).

ففي الحديث استخراج السحر، ثم بعد إما حرق وإما دفن للعمل السحري، وبه يبطل سعي السحرة الفجار. استخراج السحر وفكه وحله بالطرق الشرعية، تأسيساً بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في باب السحر وإن فك السحر من أجل الأعمال وأفضلها، لما فيه من تفريج الكرب عن المسلم، فإن من فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة - وهذا أعظم ما يسعى إليه المحتسب ويحرص عليه، فإن أولئك السحرة لا يرتبون في مؤمن إلا ولازمة فكم من عزيز أذلوه ومن غني أفقروه وكم من بيت هدموه وكم من أسرة قد شتتوا شملها - كل ذلك بإذن الله - لكن هؤلاء أعوان

(١) رواه البخاري في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، حديث رقم ٥٣٢٣.

للشيطان ومركز من مراكز الأذى والشرك بالله **جَلَّ وَعَلَا** ألم يقل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من أتى كاهناً أو عرافاً فقد كفر بما أنزل على محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ^(١).

هذا هديده **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في احتسابه على السحرة علمه أمته كيما يسلم لها دينها واعتقادها، وتسلم لها دنياها، فتتقي الشرك بترك الذهاب لهؤلاء، كما أن على الأمة ألا تخشاهم وأن تخشى الله أما هم فليسوا بشيء ولماذا يخشى الإنسان المعدوم أو من شبهه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالمعدوم وهو الصادق المصدوق.

وإن أعظم ما على المحتسب فعله مجاهدة هؤلاء وإنكار منكرهم ونزع الخوف من قلوب الناس عامة وربطهم بالغفور المنان. وتبين أمرهم وكشف حالهم وهتك أستارهم وقد يخرج بعض السحرة في صورة المعالج، وأنه من أهل القرآن المعالجين ويلبس لباس الراق فيكتب في وريقات بعض الرموز وأرقام وخواتم يدلس بها في الناس وأنها سريانية - أو اسم الله الأعظم فأعظم ما بذلت فيه الأعمار كشف ذلك وأفراد الله بالتوحيد. وسيأتى بيان ذلك في موضعه عند الحديث عن علامات السحرة والكهان.

(١) سبق تخريجه وهو صحيح.

المطلب الثاني: احتساب النبي ﷺ على الكهان والكهانة

الكهانة محاولة من أتباع الشياطين لاستكناه الغيب، ومحاولة إقناع الناس أن بمقدور بعض العباد إخبار الناس بما ينتظرهم ليستكثروا من الخير قبل أن يفقدوه ويستعدوا للسوء قبل نزوله، والله قال لأعظم الناس طاعة، وأقربهم إليه زلفى **ﷺ** وأكملهم عقلاً، وأعمقهم علماً، وأصفاهم نفساً، وأطهرهم قلباً، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾^(٢)، وقالت عائشة وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفُرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣)، لكن قوما تعاونوا مع الشيطان وتقربوا إليهم فآلقوا إليهم شيئاً من الغيب النسبي، الذي أطلع الله عليه بعض ملائكته فيتحدث الملائكة به فيتلقف الشيطان ما يتلقف ويلقيها إلى الكاهن فيكذب على العباد، وقد احتسب النبي ﷺ على هؤلاء الكهان وعرف الناس بهم وحذر الأمة منهم، وبين حالهم، واحتسابه ﷺ كان من خلال ما يلي:

(١) الآية ١٨٨ سورة الأعراف.

(٢) من الآية ٥٠ سورة الأنعام.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى، حديث رقم ٢٥٩.

- ◀ حرم النبي ﷺ إتيانهم، وحذر منه بأشد عبارات التحذير.
 - ◀ بين خبث كسبهم، وحرمة ما يأخذونه على كهانتهم.
 - ◀ بين كذبهم، ووضح سبب تعلق الناس بهم، وهو أنهم يصدقون أحيانا فيين النبي ﷺ للناس أن الغالب على حديثهم الكذب فكيف تعلقوا بالصدق الذي لا يكاد يذكر ولم يعتبروا بالكذب الغالب في أخبارهم.
 - ◀ كره النبي ﷺ من تشبه بهم حتى في كلامهم فأنكر على من سجع ليطل الحق، فقال أسجعا كسجع الكهان.
 - ◀ أخبر ﷺ أنهم ليسوا بشيء وأنهم والعدم سواء.
 - ◀ اختبر ما عندهم ﷺ عمليا وبين للصحابة هوانهم، وجهلهم، وضحالة ما عندهم، وذكر تلبيس الشياطين عليهم.
- وفي هذا المطلب بسط لهذا الاحتساب النبوي على أولئك الكهان، تحذيرا للأمة من الكهانة الجديدة، التي باتت تأخذ صورا حديثة، ويراد لها أن تنطلي على عباد الله.

تحريم النبي ﷺ على المسلمين إتيان الكهان:

الكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يَدْعِي مُطَالَعَةَ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَيُخْبِرُ النَّاسَ عَنْ الْغُيُوبِ ما كان وما سيكون من مسروق وغيره مخلطا فيه الصدق بالكذب معتمدا ما يلقىه رئيؤه من الجن^(١). وقد كانت الكهانة في العرب، قال جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَتْ

(١) شرح النووي على مسلم (ج ٥ / ص ٤١٨) وانظر مجموع الفتاوى ج ١ ص ١٢٥.

الطَّوَاعِثُ الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا فِي جُهَنِّهَا وَاحِدٌ وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ كُفَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الطَّاعُوثُ الْكَاهِنُ^(١). وكان مسيلمة الكذاب يتكهن وكان له رأي من الجن، وقد سأله كيف يأتيك صاحبك وكان يسحر أيضاً وكان الأسود العنسي يتكهن أيضاً وكان يسحر أيضاً.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: كَانَ فِي الْعَرَبِ كَهَنَةٌ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ، مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رِئَاءً مِنَ الْجِنِّ يُلْقِي إِلَيْهِ الْأَخْبَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي اسْتِدْرَاكَ ذَلِكَ بِفَهْمٍ أُعْطِيَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّى: عَرَّافًا وَهُوَ الَّذِي يَزْعُمُ مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتِ أَسْبَابِ اسْتِدْلَالِ بِهَا، كَمَعْرِفَةِ مَنْ سَرَقَ الشَّيْءَ الْفُلَانِيَّ، وَمَعْرِفَةِ مَنْ يُتَّهَمُ بِهِ الْمَرْأَةُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّى الْمُنْجِمَ كَاهِنًا^(٢).

وفي فتح الباري: وَالْكَاهِنُ لَفْظٌ يُطْلَقُ عَلَى الْعَرَّافِ، وَالَّذِي يَضْرِبُ بِالْحَصَى، وَالْمُنْجِمُ. وَقَالَ فِي « الْمُحْكَم »: الْكَاهِنُ الْقَاضِي بِالْغَيْبِ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْكَهَنَةُ قَوْمٌ لَهُمْ أَذْهَانُ حَادَّةٌ وَنُفُوسُ شَرِيرَةٌ وَطَبَاعُ نَارِيَّةٌ، فَأَلْفَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ لِمَا بَيْنَهُمْ مِنَ التَّنَاسُبِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، وَسَاعَدَتْهُمْ بِكُلِّ مَا تَصِلُ قُدْرَتُهُمْ إِلَيْهِ. وَكَانَتْ الْكَهَانَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاشِيَّةً خُصُوصًا فِي الْعَرَبِ لِانْقِطَاعِ النُّبُوَّةِ فِيهِمْ. وَهِيَ عَلَى أَصْنَافٍ: مِنْهَا مَا يَتَلَقَّوْنَهُ مِنَ الْجِنِّ، فَإِنَّ الْجِنَّ كَانُوا يَصْعَدُونَ إِلَى جَهَةِ السَّمَاءِ فَيَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى أَنْ يَذْنُو الْأَعْلَى بِحَيْثُ يَسْمَعُ الْكَلَامَ

(١) رواه البخاري في كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ.

(٢) شرح النووي على مسلم (ج ٥ / ص ٤١٨).

فِيْلِقِيهِ إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى أَنْ يَتَلَقَّاهُ مَنْ يُلْقِيهِ فِي أُذُنِ الْكَاهِنِ فَيَزِيدُ فِيهِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ حُرِسَتْ السَّمَاءُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَبَقِيَ مِنْ اسْتِرَاقِهِمْ مَا يَخْطِفُهُ الْأَعْلَى فَيُلْقِيهِ إِلَى الْأَسْفَلِ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهُ الشَّهَابُ، إِلَى ذَلِكَ الْإِشَارَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

وَكَانَتْ إِصَابَةُ الْكُهَّانِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ كَثِيرَةً جِدًّا كَمَا جَاءَ فِي أَخْبَارِ شِقِّ وَسُطُوحِ وَنَحْوِهِمَا، وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ فَقَدْ نَدَرَ ذَلِكَ جِدًّا حَتَّى كَادَ يَضْمَحِلُّ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. ثَانِيهَا مَا يُخْبِرُ الْجَنِّيَّ بِهِ مَنْ يُؤَالِيهِ بِمَا غَابَ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ غَالِبًا، أَوْ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مَنْ قَرَّبَ مِنْهُ لَا مَنْ بَعُدَ. ثَالِثُهَا مَا يَسْتَنِدُ إِلَى ظَنٍّ وَتَخْمِينٍ وَحَدْسٍ، وَهَذَا قَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ لِبَعْضِ النَّاسِ قُوَّةَ مَعَ كَثْرَةِ الْكَذِبِ فِيهِ. رَابِعُهَا مَا يَسْتَنِدُ إِلَى التَّجَرِبَةِ وَالْعَادَةِ، فَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْحَادِثِ بِمَا وَقَعَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ الْأَخِيرِ مَا يُضَاهِي السَّحْرَ، وَقَدْ يَعْتَصِدُ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ بِالزَّجْرِ وَالطَّرْقِ وَالنُّجُومِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ شَرْعًا^(١). وقد نهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان، أخرج مسلم من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَاتُّكَلَّ أُمِّيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَآبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ

تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رَجُلًا يَأْتُونَ الْكُهَانَ قَالَ فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ وَمِنَّا رَجُلٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ فَلَا يَصُدَّنْكُمْ قَالَ قُلْتُ وَمِنَّا رَجُلٌ يَخْطُونَ قَالَ كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قَالَ وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةُ فَاطَّلَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ لِكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ **اِئْتِنِي بِهَا** فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا **أَيْنَ اللَّهُ** قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ **أَنَا** قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ **أَعْتِقُهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ** ^(١).

قال النووي: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (إِنَّ مِنَّا رَجُلًا يَأْتُونَ الْكُهَانَ قَالَ: فَلَا تَأْتِهِمْ): قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا نَهَى عَنْ إِيْتَانِ الْكُهَانَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي مُعَيَّاتٍ قَدْ يُصَادِفُ بَعْضُهَا الْإِصَابَةَ؛ فَيَخَافُ الْفِتْنَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ يُلَبِّسُونَ عَلَى النَّاسِ كَثِيرًا مِنْ أَمْرِ الشَّرَائِعِ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِالنَّهْيِ عَنْ إِيْتَانِ الْكُهَانَ وَتَصَدِيقِهِمْ فِيمَا يَقُولُونَ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْعَرَّافِ وَالْكَاهِنِ، أَنَّ الْكَاهِنَ إِنَّمَا

(١) رواه مسلم في كِتَابِ كِتَابِ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابِ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، حديث رقم ٨٣٦.

يَتَعَاطَى الْأَخْبَارَ عَنِ الْكَوَائِنِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأَسْرَارِ، وَالْعَرَافُ يَتَعَاطَى مَعْرِفَةَ الشَّيْءِ الْمَسْرُوقِ، وَمَكَانَ الصَّالَةِ وَنَحْوَهُمَا، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: كَانَ فِي الْعَرَبِ كَهَنَةٌ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ، مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رُتْبًا مِنَ الْجِنِّ يُلْقِي إِلَيْهِ الْأَخْبَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي اسْتِدْرَاكَ ذَلِكَ بِفَهْمٍ أُعْطِيَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّى: عَرَافًا وَهُوَ الَّذِي يَزْعُمُ مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدَّمَاتِ أَسْبَابِ اسْتِدْلَالِ بِهَا، كَمَعْرِفَةِ مَنْ سَرَقَ الشَّيْءَ الْفُلَانِيَّ، وَمَعْرِفَةِ مَنْ يُتَّهَمُ بِهِ الْمَرْأَةُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّى الْمُنْجَمَ كَاهِنًا، قَالَ: وَالْحَدِيثُ يَشْتَمِلُ عَلَى النَّهْيِ عَنْ إِيْتَانِ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ، وَالرُّجُوعِ إِلَى قَوْلِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ فِيمَا يَدَّعُونَهُ. قَالَ النُّوْي: هَذَا كَلَامُ الْخَطَّابِيِّ وَهُوَ نَفِيسٌ^(١).

ومن احتسابه على الكهان بيان الوعيد الشديد الذي يتراوح بين الكفر لمن صدق وعدم قبول الصلاة لمن سأل غير مصدق، بل لاعب عبث كما مر بيانه.

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

وهذا من احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الكهان فقد نهى عن ذلك وحذر الأمة من اتیانهم وبين ان اتیانهم كفر.

(١) شرح النووي على مسلم - (ج ٥ / ص ٤١٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ٩١٧١ - (ج ١٩ / ص ٢١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٠٤٧ - (ج ٣ / ص ٩٨).

وعن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «ليس منا من تسحر أو تسحر له، أو تكهن أو تكهن له، أو تطير أو تطير له»^(١) وهذا وعيد شديد أيضا لمن عمل بالكهانة لنفسه أو غيره وهو من احتسابه على الكهانة والكهان.

وعن نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة^(٢).

وهذا من احتسابه على الكهانة والكهان اذ حذر من إتيانهم لمجرد السؤال عن أي شيء حتى وان لم يكن مصدقا

ويدخل فيه حتى من يجلس في مجالسهم وإن لم يكن كاهنا ولا متكها فإن الجالس معهم مشارك لهم، وتلك قاعدة مقررة لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ﴾^(٣) وقول النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر.

ومن احتسابه ﷺ تحريم كسبهم:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ

(١) المعجم الأوسط للطبراني - (ج ٩ / ص ٤٦٦) ٤٤١٣ - وصححه الألباني في الصحيحة ٢١٩٥.

(٢) رواه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم ٤١٣٧.

(٣) من الآية ١٤٠ سورة النساء.

وَمَهْرِ الْبَغِيِّ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ^(١). وَ(حُلْوَانِ الْكَاهِنِ) فَهُوَ مَا يُعْطَاهُ عَلَى كِهَانَتِهِ، قَالَ الْهَرَوِيُّ وَغَيْرُهُ: أَصْلُهُ مِنَ الْحَلَاوَةِ شُبَّهَ بِالشَّيْءِ الْحُلُوِّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَأْخُذُهُ سَهْلًا بِلَا كُفَّةٍ، وَلَا فِي مُقَابَلَةِ مَشَقَّةٍ..

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَحْرِيمِ حُلْوَانِ الْكَاهِنِ؛ لِأَنَّهُ عَوَضٌ عَنْ مُحَرَّمٍ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَحُلْوَانِ الْعَرَّافِ أَيْضًا حَرَامٌ. وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى تَحْرِيمِ حُلْوَانِ الْكَاهِنِ، وَهُوَ مَا أَخَذَهُ الْمُتَكَهَّنُ عَلَى كِهَانَتِهِ، لِأَنَّ فِعْلَ الْكِهَانَةِ بَاطِلٌ لَا يَجُوزُ أَخْذُ الْأُجْرَةِ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْمَاوَرِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ: وَيَمْنَعُ الْمُحْتَسِبُ النَّاسَ مِنَ التَّكْسُّبِ بِالْكِهَانَةِ وَاللَّهْوِ، وَيُؤَدَّبُ عَلَيْهِ الْآخِذُ وَالْمُعْطَى^(٢).

وهذا من معالم احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انه بين خبث كسبهم وأنه سحت فأى رجل مؤمن بالله حقا يطعم طعامهم أو يأخذ صدقتهم أو يقبل هديتهم، أو يزوجهم ويرضى لابنته أن تطعم الحرام، أو يرضى لابنه أن ينكح منهم أو أن يطعم عند أكلي السحت.

(١) رواه البخاري في كِتَابِ الْبَيْعِ، بَابِ ثَمَنِ الْكَلْبِ حَدِيثِ رَقْمِ ٢٠٨٣، ومسلم في كِتَابِ الْمُسَاقَاةِ، بَابِ تَحْرِيمِ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ وَمَهْرِ الْبَغِيِّ حَدِيثِ رَقْمِ ٢٩٣٠..

(٢) شرح النووي على مسلم: ج ٢ / ص ٢٩٨.

ومن احتسابه على الكهان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه كره حتى مشابهتم في سجعهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَضَى أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةُ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ كَيْفَ أَغْرُمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ ^(١) لَقَدْ كَانَ شَأْنُ الْكُهَّانِ فِي زَمَانِهِ السَّجْعُ كَمَا وَرَدَ فِي أَخْبَارِ سَطِيحٍ وَغَيْرِهِ فِي السَّيْرَةِ، فَخَافَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَلَى أُمَّتِهِ سُلُوكَ هَذَا السَّبِيلِ وَخَافَ انْتِشَارَ طَرِيقَةِ الْكُهَّانِ حَتَّى لَا يَخْتَلِطَ الْأَمْرُ بَيْنَ الْكُهَّانِ وَبَيْنَ الْمُقْلِدِينَ لَهُمْ، فَخَافَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَلَى عَقِيدَةِ الْأُمَّةِ وَنَبَهَهَا إِلَى تَرْكِ هَذَا.

ومن احتسابه بيانه كذب الكهان على الكلام المخطوف الذي توحيه إليهم الشياطين:

عَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** زَوْجِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذَكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتُسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا

(١) رواه البخاري في كتاب الطبِّ، باب الكهانة حديث رقم ٥٣١٧، ومسلم في كتاب القسامة، باب دية الجنين حديث رقم ٣١٨٥..

مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ^(١).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَيْضًا: سَأَلَ أَنَسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُفَّانِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسُوا بِشَيْءٍ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أحيانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجَنِّي فَيَقْرُأُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ^(٢).

وعن عبد الله بن عباسٍ قَالَ أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ كُنَّا نَقُولُ وَلَدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجَنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمُونَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم ٢٩٧١.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الرجل للشيء ليس بشيء وهو ينوي أنه ليس بحق، حديث رقم ٥٧٤٥.

يَقْرَفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ^(١).

ومن احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الكهان، مناظرتهم، واختبارهم، واستطلاع أحوالهم وكشف حقيقتهم وضعفهم وذلك في ذهابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن صياد:

عن عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ عِنْدَ أُطَمٍ بَنِي مَعَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلْمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَضَهُ وَقَالَ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ فَقَالَ لَهُ مَاذَا تَرَى قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدُّخُّ فَقَالَ أَحْسَأْ فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عَنْقَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ وَقَالَ سَالِمٌ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ إِلَى النَّخْلِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ وَهُوَ يَخْتَلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّادٍ فَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ يَعْنِي فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْزَةٌ أَوْ زَمْزَةٌ فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّهِ

(١) رواه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم ٤١٣٦.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَّبِعِي بِجُدُوعِ النَّخْلِ فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ يَا صَافٍ وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ هَذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَارَ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَرَكَتُهُ بَيْنَ وَقَالَ شُعَيْبٌ فِي حَدِيثِهِ فَرَفَصَهُ رَمْرَمَةً أَوْ زَمَزَمَةً وَقَالَ إِسْحَاقُ الْكَلْبِيُّ وَعُقَيْلُ رَمْرَمَةً وَقَالَ مَعْمَرُ رَمْرَمَةً^(١) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ خَسَأْتُ الْكَلْبَ بَعْدَتْهُ ﴿خَسِئِينَ﴾ مُبْعَدِينَ، وَقَدْ أوردته البخاري الحديث مختصرا في باب ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ كِتَابُ الْقَدَرِ^(٢) لقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضعف هؤلاء وخيبتهم، وبعدهم من الخير والحق، وتأمل كيف أن ابن صياد لم يستطع أن يتبين ما خبأه رسول الله له وهي كلمة دخان فلم يقدر أن يقوم بشيء أمام سيد المحتسبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل إنه من ضعفه وأنه هو والعدم سواء أنه لم يستطع أن يتبين الكلمة مع أن الشيطان أوحى لها نصفها فقال: دخ وعجز أن يتبين حتى بعقله الحرفين الآخرين، ولكن الله أخزاه، وكذلك الشأن مع كل موحد، وكذلك مع كل محتسب على هؤلاء الكذبة على الله المعتمدين على العقيدة الذين يعتدون على عقيدة تفرده سبحانه بعلم الغيب.

ولله در البخاري فقد أخرج الحديث في باب قوله أن الله يحول بين المرء وقلبه، فقد حال بين هذا الكاهن الكذاب وبين علم هذه الكلمة التي من أربعة أحرف، فكيف يدعي علمه بما فوق ذلك. إن الشياطين لا يعلمون

(١) رواه البخاري في كِتَابِ الْأَدَبِ، بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ اخْسَأْ، حديث رقم ٥٧٠٧.

(٢) حديث رقم ٦١٢٨.

الغيب، ويعرفون بعض الأمور دون بعض فأبن صياد عرف جزء مما خبأه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذلك فإننا حين كنا نرسل متعاوناً للإيقاع بالسحرة والكهان نجعله يذكر بعض الحق فإنه لو طلب اسم الأم مثلاً وكان اسمها صباح فقلنا سعاد فإنه يعرف أنه كذب أما إذا ذكرنا بعض الاسم وغيرنا بعضه فقلنا صبحية مثلاً فإنه لا يعرف فهم لا يعلمون الغيب ولا يعطون المعلومات كاملة وذلك لأن الله هو علام الغيوب المحيط بأوله وآخره وستحدث عن ذلك بالتفصيل في باب السحرة والكهان.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيضاً: أَنَّهُ قَالَ انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَبِي بْنُ كَعْبٍ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ فَحَدَّثَ بِهِ فِي نَخْلٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّخْلَ طَفِقَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَابْنُ صَيَّادٍ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْرَمَةٌ فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا صَافٍ هَذَا مُحَمَّدٌ فَوَثَبَ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَرَكَتُهُ بَيْنَ (١).

قال ابن حجر: وفي قصة ابن صياد إهتمام الإمام بالأُمور التي يُخشى منها الفساد والتنقيب عليها، وإظهار كذب المدعي الباطل وامتحانه بما يكشف حاله والتجسس على أهل الرِّيب (٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد قال لقيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكرٍ

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يجوز من الإختيال.

(٢) فتح الباري لابن حجر: (ج ٩ / ص ٢٩٣).

وَعُمِّرَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ هُوَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ مَا تَرَى** قَالَ أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ وَمَا تَرَى** قَالَ أَرَى صَادِقِينَ وَكَاذِبًا أَوْ كَاذِبِينَ وَصَادِقًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **لَيْسَ عَلَيْهِ دَعْوُهُ** (١).

فقد اختبره هنا ﷺ وبين تلبس الشيطان عليه وعجز الشيطان أن يمدّه بالإجابة الصحيحة.

وقد بين ﷺ أن الكاهن قد يصدق حين اختبر ابن صياد عملياً فعن أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **لَا بَنَ صَائِدٍ مَا تُرَبُّهُ الْجَنَّةُ** قَالَ دَرَمَكَةُ بَيْضَاءُ مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ **صَدَقْتَ** (٢).

ومن احتسابه بيانه ﷺ انهم ليسوا بشيء.

لقد بين النبي ﷺ أن هؤلاء لا قدر لهم في الحقيقة، وأنهم والعدم سواء، قال ابن حجر: **لَهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ** « أَي لَيْسَ قَوْلُهُمْ بِشَيْءٍ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ. وقد أوضح النبي ﷺ ما يشكل من أخبار يصدقون فيها فحين قيل له: **إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَنَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا**، وهذا أوردته السائل إشكالاً على عموم قوله **«لَيْسُوا بِشَيْءٍ»** لِأَنَّهُ فُهِمَ أَنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ أَصْلًا فَأَجَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، باب ذِكْرِ ابْنِ صَيَّادٍ، حديث رقم ٥٢٠٨.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، باب ذِكْرِ ابْنِ صَيَّادٍ، حديث رقم ٥٢١٢.

سَبَبَ ذَلِكَ الصَّدَقَ، وَأَنَّهُ إِذَا اتَّفَقَ أَنْ يُصَدَّقَ لَمْ يَتْرُكْهُ خَالِصًا بَلْ يَشُوبُهُ بِالْكَذِبِ. فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن الكلمة هذه الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ هِيَ الْكَلِمَةُ الْمَسْمُوعَةُ مِنَ الْجِنِّ أَوْ الَّتِي تَصِحُّ مِمَّا نَقَلَتْهُ الْجِنُّ وَمِمَّا يَخْطَفُهَا الْجِنِّي قَوْلُهُ **(فَيَقْرَها)** أَيِ الْجِنِّي يُلْقِي الْكَلِمَةَ إِلَى وَلِيِّهِ بِصَوْتٍ خَفِيِّ مُتَرَا جِعَ لَهُ زَمَزَمَةٌ وَيُرْجِعُهُ لَهُ، فَلِذَلِكَ يَقَعُ كَلَامُ الْكُهَّانِ غَالِبًا عَلَى هَذَا النَّمْطِ. قَوْلُهُ: **(فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةً كَذِبَةً)** ^(١).

وهذا يبين خطورة الكهانة، ويكشف عن ضررها البالغ على دين الناس، وفيه محاولة زعزعة إيمان القلوب بتفرد الملك سبحانه بعلم الغيب، إذ قد يصدق هؤلاء موافقة وقدرًا، أو تتحقق كلمة الشيطان التي صدق فيها، فيقع في النفوس الريب. ودفع هذه الشبه من أهم المهمات، قال النووي: وفروض الكفاية أقسام منها ما يتعلق بأصل الدين وهو إقامة الحجة العلمية ومعناها أنه كما تجب إقامة الحجة القهرية بالسيف يجب أن يكون في المسلمين من يقيم البراهين ويظهر الحجج ويدفع الشبهات ويحل المشكلات ومنها ما يتعلق بالفروع كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمراد منه الأمر بواجبات الشرع والنهي عن محرماته فهو فرض كفاية فإن نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب. ^(٢).

إن كثيراً من الناس يهابون السحرة والكهان، وأن هؤلاء السحرة والكهان

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٩٤).

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين: للنووي ج ٤ / ص ٣ تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.

ما أن يقبض على أحد منهم حتى تخور قواه ويذهب عزمه وبأسه وجبروته وأنه لينهار ويسقط حتى لا تقوى رجلاه على حمله، وإنه حين يعلم أنه مرفوع للقضاء مبكى ويصيح وأن بعضهم ليقضى حاجته على نفسه حتى عن منهم لمن يتبول على نفسه أو يتبرز -وتراهم بعد ما كان يحيط بهم من العلو والعز بالناس صار ذليلاً- وكما يبين النبي ﷺ حال هؤلاء فينبغي على كل مسلم أن يعيش حال هؤلاء وضعفهم كل في موطنه وموضعه فعلى الخطباء أن يتحدثوا على المنار وعلى المحفظين أن يتحدثوا في حلقات القرآن وعلى الطبيب أن يعين ذلك كل في موضعه كشف لأسرارهم وتبيناً لى لهم وهذا نهج نبيه ﷺ.

المطلب الثالث: احتساب النبي ﷺ على المنجمين

إن النجوم خلق من خلق الله عزَّ وجلَّ، مسخرات بأمره طائفة له، مسبحة بحمده، جعلها الله زينة للسماء ورجوما للشيطان وعلامات يهتدي بها السراة، ومواقيت يعلم بها العباد عدد السنين والحساب، هذا ما ذكره ربنا في كتابه وبينه نبيه ﷺ لكن قوما علقوا قلوبهم بها وجعلوها لغير ذلك، وعلقوا بها قلوب طائفة من عباد الله وزعموا أن لها تصرفا في الكون وانها تنفع وتضر وتعطي وتمنع وتسعد وتشقي وتضحكي وتبكي وتميت وتحيي، ولقد احتسب النبي المصطفى ﷺ على أولئك المنجمين من خلال أمور:

ذكر النبي ﷺ أن الكواكب والشمس والقمر من آيات الله.

وان العباد عليهم إذا رأوا تغيرا فيهما أن يلجأوا إلى مسخر هذه الآيات ومدبرها عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ كَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ النَّاسُ كَسَفَتْ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَاذْعُوا اللَّهَ. ^(١)

ووعن عبد الله بن عباسٍ قَالَ أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ

(١) رواه البخاري في كتاب الْجُمُعَةِ، باب الصَّلَاةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ حديث رقم ٩٨٥، ومسلم في كتاب الْكُسُوفِ، باب مَا عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ حديث رقم ١٥٠٨..

فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ كُنَّا نَقُولُ وَلِدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنَّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمُونَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ^(١).

بين النبي أن من يتعامل مع النجوم على سبيل أنها تنفع وتضر أنه ساحر.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السُّحْرِ زَادَ مَا زَادَ.^(٢)

حذر النبي ﷺ من التعلق بها على هذا النحو وأن هذا كفر بالخالق الجليل وقد نصح لأُمَّته عملياً ﷺ

(١) رواه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم ٤١٣٦.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الطب، باب في النجوم، حديث رقم ٣٤٠٦، وصححه الألباني في الصحيحة حديث رقم ٧٩٣. السلسلة الصحيحة: (ج ٢ / ص ٢٩٢).

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكُوكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ ^(١).

نفي النبي صلى الله تعالى تأثير الكواكب، وبين أن المسلم لابد أن يعتقد هذا، يعتقد ألا تأثير للكواكب ولا عمل لها في حياة العباد وأنها لا تملك لهم نفعا ولا ضرا، وأنها مسخرة مربوبة للرب القدير سبحانه قال أبو هريرة قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَدَوِي وَلَا هَامَةَ وَلَا نَوْءَ وَلَا صَفَرَ ^(٢).

ونظرا لأهمية هذا الأمر ذكره العلماء الذين ألفوا في الحسبة، وبينوا طريقة الاحتساب على هؤلاء، وقد عقد محمد القرشي رَحِمَهُ اللَّهُ بابا كاملا في كتاب معالم القربة في طلب الحسبة في الاحتساب على هؤلاء فقال: (البَابُ التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ: فِي الْحُسْبَةِ عَلَى الْمُنْجِمِينَ وَكِتَابِ الرِّسَائِلِ) أَمَّا الْمُنْجِمُونَ فَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَى النَّهْيِ بِالْإِسْتِغَالِ بِهَذَا الْعِلْمِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ أَنْتَى حَزَارًا فَصَدَّقَهُ فِي مَقَالِهِ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ }.

(١) سبق تخريجه وهو صحيح ..

(٢) رواه مسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، حديث رقم ٤١١٨.

وساق حديث الحديبية السابق.

ثم قال: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا عِلْمٌ لَيْسَ يُعْتَمَدُ فِيهِ عَلَى شَيْءٍ بَلْ جَعَلُوهُ أَحْبُولَةً لِأَخِذِ الرِّزْقِ، وَحِينَئِذٍ يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى كُتَّابِ الرِّسَائِلِ أَنَّهُمْ لَا يَجْلِسُوا فِي دَرْبٍ، وَلَا زُقَاقٍ، وَلَا فِي حَانُوتٍ بَلْ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَإِنَّ مُعْظَمَ مَنْ يَجْلِسُ عِنْدَهُمُ النِّسْوَانُ، وَقَدْ صَارَ فِي هَذَا الزَّمَانِ يَجْلِسُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ وَالْمُنَجِّمِينَ مَنْ لَا لَهُ حَاجَةٌ عِنْدَهُمْ مِنَ الشَّبَابِ وَغَيْرِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ سِوَى حُضُورِ امْرَأَةٍ تَكْشِفُ نَجْمَهَا أَوْ تَكْتُبُ رِسَالَةً أَوْ حَاجَةً لَهَا فَيُشَاكِِلُهَا وَيَتِمَكَّنُ مِنَ الْحَدِيثِ مَعَهَا بِسَبَبِ جُلُوسِهِ وَجُلُوسِهَا وَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى أَشْيَاءَ لَا يَلِيقُ ذِكْرُهَا فَإِذَا كَانُوا عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ كَانَ أَمْرُهُمْ أَسْهَلَ مِنْ جُلُوسِهِمْ فِي حَانُوتٍ أَوْ دَرْبٍ أَوْ غَيْرِهِ وَيُلْزِمُهُمُ بِالْقَسَامَةِ أَنَّهُمْ لَا يَكْتُبُونَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَيْئًا مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ مِثْلَ مَحَبَّةٍ وَتَهْيِيجٍ وَنَزِيفٍ وَرَمَدٍ وَعَقْدٍ لِسَانٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ السَّحَرَ حَرَامٌ فَعَلُهُ وَمَتَى وَجَدَ أَحَدًا يَفْعَلُ ذَلِكَ عَزَّرَهُ لِيَرْتَدَّعَ بِهِ غَيْرُهُ..... إِلَى أَنْ يَقُولَ: وَمَتَى وَجَدَ أَحَدًا مِنْهُمْ خَرَجَ عَنْ ذَلِكَ وَكَتَبَ مَا مُنِعَ مِنْهُ أَقَامَهُ الْمُحْتَسِبُ وَأَدَّبَهُ، فَإِنْ تَابَ أَعَادَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَزَّرَهُ. ^(١)

فظهر من هذا كله أهمية الاحتساب على المنجمين، وأنه من أعظم القربات، وأجل الأعمال، وأعظمها نفعا للعباد في دينهم ودنياهم، وسنذكر ذلك في باب السحر والتنجيم مفصلا.

(١) معالم القربة في طلب الحسبة: ج ١ / ص ٢٣٩.

المطلب الرابع: احتسابه ﷺ على الشياطين

إن الشياطين هم أصل الشر ومنبعه وهم المعينون لكل ساحر وكاهن وفاجر وهم أعداء بني آدم وهم عصاة لله عزَّجَلَّ مشركون به صادون عن سبيله يدعون الناس إلى معصية الله والكفر به، وهم مخذولون فإن المعصية تضعف صاحبها وتجلب عليه البؤس فكيف بهؤلاء الذين يكفرون بالله ورسله ويدعون الناس إلى كل موبقة لا ريب أنهم ضعاف وقد قال ربنا إن كيد الشيطان كان ضعيفا ويقول هو يوم القيامة لاولياءه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فهذا شأنه الدعوة والوعد الكاذب قال تعالى يعدمهم ويمنيهم وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا لكنه بهذه الوعود المخلفة وهذه الأمانى الكاذبة يضل كثيرا قال تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانة على الذين يتولونه يوالذين هم به يشركون.

من هنا فقد احتسب النبي ﷺ على الشياطين فبين لأئمه ﷺ طرق الوقاية من هؤلاء وهي سهلة ميسورة على من يسره الله تعالى ومن وجوه احتسابه على الشياطين ما يلي:

بيانه ﷺ ما يسلم به المسلم اذا خرج من بيته:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيتَ

وَكُفِّتَ وَوُقِيَتْ فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرُ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِّي وَوُقِيَ^(١).

بيانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحصن المسلم بآية الكرسي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَاتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا زَعَنَكَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَا زَعَنَكَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَا زَعَنَكَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته حديث رقم ٤٤٣١.

شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا
فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا
فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَافْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ
مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى
الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ
مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ^(١).

بيان النبي ﷺ للمسلم كيف يحفظ بيته من الشياطين.

إِنْ مِنْ احتسابه ﷺ عَلَى الشَّيَاطِينِ أَنَّهُ أَرْشَدَ الْعِبَادَ إِلَى أَذْكَارِ تَكُونُ
بِهَا بَيُوتُهُمْ أَمْنَةً مُحَصَّنَةً مِنْ شَرِّ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ
النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ
قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ
الشَّيْطَانُ أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ
وَالْعِشَاءَ^(٢).

(١) رواه البخاري في كتاب الوكالة، باب إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا فَتَرَكَ الْوَكِيلَ شَيْئًا.

(٢) رواه مسلم في كتاب الأُشْرِبَةِ، باب آذَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، حديث رقم ٣٧٦٢.

بيان النبي ﷺ للمسلم كيف يحفظ نفسه يومه وليلته من الشيطان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ^(١).

بيان أثر الأذان والإقامة في هروب الشياطين:

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُذِّنَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوبَ أَدْبَرَ فَإِذَا سَكَتَ أَقْبَلَ فَلَا يَزَالُ بِالْمَرْءِ يَقُولُ لَهُ اذْكُرْ مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى لَا يَدْرِيَ كَمْ صَلَّى ^(٢).

وفضائل الأذان وطرده للشياطين جاء في أحاديث عدة: منها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوبَ بِالصَّلَاةِ

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم ٣٠٥٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة حديث رقم ١١٤٦، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة حديث رقم ٨٨٤.

أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِبَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرْ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَذَرِي كَمَ صَلَّى^(١).

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ذَهَبَ حَتَّى يَكُونَ مَكَانَ الرُّوحَاءِ قَالَ سُلَيْمَانُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ الرُّوحَاءِ فَقَالَ هِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ مِيلًا.^(٢)

وَعَنْ رَوْحٍ عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى بَنِي حَارِثَةَ قَالَ وَمَعِيَ غَلَامٌ لَنَا أَوْ صَاحِبٌ لَنَا فَتَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ حَائِطٍ بِاسْمِهِ قَالَ وَأَشْرَفَ الَّذِي مَعِيَ عَلَى الْحَائِطِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي فَقَالَ لَوْ شَعَرْتُ أَنَّكَ تَلَقَّ هَذَا لَمْ أُرْسِلْكَ وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا فَتَادِ بِالصَّلَاةِ فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ وَلَّى وَلَهُ حُصَاصٌ^(٣) وَمِنَ الْمَجْرَبَاتِ فِي شَأْنِ الْأَذَانِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ ثَمَّةَ مَشَاحِنَةٍ بَيْنَ الرَّجُلِ وَزَوْجِهِ فَأَذَّنَ الْأَذَانَ تَوَقَّفَتِ الْمَشْكَلَةُ وَهَدَّأَتِ الْأُمُورَ، وَسَكَنَتِ النُّفُوسُ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ الَّذِي يَنْفَخُ فِي كِيرِ الْمَشْكَلَةِ وَلَّى.

(١) السابق.

(٢) رواه مسلم في كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابِ فَضْلِ الْأَذَانِ وَهَرَبِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ سَمَاعِهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٥٨١.

(٣) رواه مسلم في كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابِ فَضْلِ الْأَذَانِ وَهَرَبِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ سَمَاعِهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٥٨٤.

نصيحة النبي ﷺ أمته بآخر سورة البقرة وأنها كفاية.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ^(١). ومن أعاجيب فقه البخاري أن يورد هذا الحديث مرة في كتاب المغازي.

نصيحته أمته بقراءة سورة البقرة لحفظ البيوت من الشياطين.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِي عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ^(٢).

وصيته ﷺ بالمعوذات.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَصَبْتُ خُلُوعًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ قُلْ فَقُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ قُلْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ مَا

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بَدْراً حديث رقم ٣٧٠٧، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة حديث رقم ١٣٤٠..

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث رقم ١٣٠٠.

تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلِ مِنْهُمَا ^(١).

وقد جاء في فضل المعوذات وكفائتها من شر كل ذي شر الكثير من الاحاديث وقد مر بعضها لكن نذكر ببعضها لتعظم العناية بهذه المعوذات التي ما تعوذ المتعوذون بمثلها:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ^(٢).

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ فَقُلْتُ أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ فَقَالَ لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ^(٣).

عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَصَبْتُ خُلُوعَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَنُوتُ مِنْهُ فَقَالَ قُلْ فَقُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ قُلْ قُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلِ مِنْهُمَا ^(٤).

وقال البخاري: وَيَذْكُرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ إِذَا وُلِدَ خَسَهُ الشَّيْطَانُ

(١) رواه النسائي في كتاب الاستعاذة، باب حديث رقم ٥٣٣٤.

(٢) سبق تخريجه وهو في صحيح مسلم.

(٣) سبق تخريجه وهو صحيح أخرجه النسائي.

(٤) سبق تخريجه وهو صحيح أخرجه النسائي..

فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَهَبَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ ثَبَتَ عَلَى قَلْبِهِ ^(١).

أرأيت أخي المسلم كيف احتسب النبي ﷺ على أولئك الشياطين، وكيف دل أمته على تلك السبل الميسره لدحر الشياطين، وكبتها بإذن الله تعالى، وانظر كيف بين ﷺ ضعف الشياطين، وأنه بالأذان وحده والحمد لله يولي وله ضراط.

إن المتأمل يجد حرص النبي ﷺ على إرشاد أمته إلى التحصن من الشياطين تحصين أنفسهم وتحصين بيوتهم، ويجد أن أذكار التحصين اشتملت على توحيد الله فكل الأدعية هي توحيد لله، فالناظر في حديث دعاء الخروج: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومن استعان بالله أعانه الله واسم الله به يحفظ كل شيء قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية، وساقها. ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق ﷺ: « لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » ^(٢) وكيف نحصي خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود وفضل وبر فله ومنه، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا

(١) رواه البخاري في كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآن، بَاب بَاب قَوْلُهُ: اللَّهُ الصَّمَدُ.

(٢) رواه مسلم في كِتَاب الصَّلَاة، بَاب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، حديث رقم ٧٥١.

عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه. فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات. وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع. وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، وقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عبد رب العالمين وحمد، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالات والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه، فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله، فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئا منه منتهيا إليه، وذلك موجب ومقتضاه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

ويعتني الموحد والمحتسب أيضاً بآية الكرسي، وهي حصن عظيم وكلمة توحيد والتي من داوم على تلاوتها بعد الصلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا

(١) من الآية ١٩١ سورة آل عمران. ٧٥١.

الموت، ويحفظ الإنسان بها من الجن، وإذا أوى إلى فراشه فقرأها حفظه الله، فلا يزال عليه من الله حافظ ثم هناك حفظ آخر وهو أنه لا يقر به شيطان، فأية الكرسي حفظ من كل شيء مؤذ من سبع وغير ذلك، فعظائم الأمور لا تتم إلا بالتوحيد، وبالتوحيد تزال الهموم والغموم.

المراجع

١. القرآن الكريم
 ٢. صحيح البخاري.
 ٣. صحيح مسلم.
 ٤. سنن أبي داود.
 ٥. سنن الترمذي.
 ٦. سنن النسائي.
 ٧. مسند أحمد.
 ٨. المعجم الكبير: الطبراني.
 ٩. المعجم الأوسط للطبراني.
 ١٠. سنن البيهقي.
 ١١. الأدب المفرد للبخاري.
 ١٢. صحيح وضعيف سنن أبي داود: الألباني.
 ١٣. صحيح الترغيب والترهيب: الألباني.
 ١٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للألباني
- ج ١ ص ٤٩١ مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

١٥. صحيح الجامع: الألباني.
١٦. صحيح وضعيف سنن الترمذي.
١٧. حديث اجعل لنا ذات أنواط دراسة حديثية عقدية د عبد الله بن عيسى الأحمدي بدون بيانات.
١٨. أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الجصاص تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي..
١٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ج ٢ / ص ٢٨٦) تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، سلسلة التراث العربي وزارة الإرشاد الكويتية، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.
٢١. التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور ج ١٤ ص ١١٨ الدار التونسية، الطبعة الأولى.
٢٢. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

٢٥. الحسبة لابن تيمية: ابن تيمية، دار الكتب العلمية.

٢٦. الحسبة: أحمد مصطفى المراغي، تصحيح: محمد عبد الرحمن الشاغول، الجزيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

٢٧. الداء والدواء: لابن القيم ص ٦٥ تحقيق محمد أجمل إصلاحي، إشراف د بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٣٩م.

٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الألوسي، تحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٩. روضة الطالبين وعمدة المفتين: للنووي ج ٤ / ص ٣ تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.

٣٠. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، تخريج وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣١. شرح النووي على مسلم: للنووي المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ=١٩٩٦:

٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة

١٤٠٧هـ.

٣٣. الفوائد: ابن القيم ص ٨٨ دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية،
١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

٣٤. القاموس المحيط: تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،
الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

٣٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت الطبعة
الأولى..

٣٦. مجموع فتاوى ابن تيمية، خرج أحاديثه أحمد محمد شعبان، مكتبة
الصفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

٣٧. المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن
سيده، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية بيروت،
١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

٣٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم ج ١ ص:
٢١١ تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

٣٩. معالم القربة في طلب الحسبة: محمد بن محمد القرشي، تحقيق محمد
محمود شعبان، صديق أحمد المطيعي، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الأولى،
١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

٤٠. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية،

١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.



البحث الثاني

الاحتساب

على السحرة والكهان والمنجمين

عند أصحاب النبي العدنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنه لا يخفى على من تأمل كتاب الله تعالى خطر السحر، وضرر السحرة وسوء أثرهم في الدين والدنيا، كما لا يخفى عليه ما توعدهم به ربنا من خسران الدنيا والآخرة، وكذلك يرى ذلك من تأمل سنة النبي ﷺ، كما لا يخفى على من سمع شكاوى كثير من الناس مما لحقهم من ضرر السحرة.

لقد حذر القرآن الكريم من السحر، وبين سوء عاقبته في الدنيا والآخرة، وحذر منه النبي ﷺ، كذلك، وبين سوء منقلب أهله، وعلمنا كيف نتحصن من شر السحر والسحرة، لقد فعل النبي ﷺ ذلك، احتسب ﷺ، على السحرة والكهان والمنجمين، والمعلوم أن أصحاب الرسول ﷺ هم صفوة هذه الأمة، وهم خير أصحاب النبيين عليهم السلام، والصحابة هم أشد الناس اتباعاً للنبي ﷺ واقتفاء لآثاره وهديه ﷺ، لقد اتخذوه ﷺ إماماً فما يرفع قدمه إلا ويضعون

أقدامهم على ذلك الأثر، وما يرفع أحدهم قدمه إلا بأثر، ولا يضعه إلا بأثر وفي هذا الباب العظيم، وهو باب الاحتساب على السحرة واخوانهم، كانوا كذلك، فقد تتبعوا هدي نبيهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، واحتسبوا على السحر والسحرة، فحذروا من السحر، وبينوا أنه شرك وخروج عن دين الله، وقاموا على السحرة فكانوا ما بين محتسب عليهم بالقول والتحذير، وما بين ناقل لأحاديث البشير النذير **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وما بين ولي أمر قاطع لأعناق السحرة؛ لينقطع شرهم على الأمة، وما بين معاقب لمن قصدهم أو طلب سحراً منهم، ولقد احتسبوا (رضوان الله عليهم) على الكهانة والكهان، فحذروا من الكهانة، وبينوا خطرهما، كما هونوا من أمرها كما فعل الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ومن هوانها عليهم أنهم تركوها (رضوان الله عليهم)، وحذروا منها، وما جاء عنهم من ذكر أخبارها إنما قصوه ليتبين الناس حقيقتها، تماماً كما كانوا يتحدثون عن أفعالهم في الجاهلية من: الشرك وعبادتهم الأوثان، كما أنهم حين قصوا ذلك إنما ساقوا من أخبارها ما فيه عظة: من كلام فيه تصديق النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كان دافعاً لإيمانهم، كما احتسبوا على التنجيم والمنجمين، وبينوا أن النجوم والكواكب من مخلوقات الله المسخرة، بين الشرع المطهر عملها، وبين أنها ليس لها سلطان على حياة الناس، كما احتسب الصحابة على الشياطين، وقد كان عندهم من قوة الإيمان ما جعلهم يأسرون الشيطان كما جرى مع أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، في حديث صدقك

وهو كذوب^(١).

إن الصحابة هم خيار الأمة، كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^(٢) فهم خير الناس في الإيمان والعلم والعمل والدعوة

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: «وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنْكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا قَالَ ذَلِكَ شَيْطَانٌ. والحديث في صحيح البخاري (كتاب الزكاة باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز ١٠١/٣ رقم ٢٣١١).

(٢) صحيح البخاري (كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد: ١٧١/٣ رقم ٢٦٥٢) ومسلم في فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (رقم ٢٥٣٣). من حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والجهد، وفي كل شيء رضوان الله عليهم، ولذا استحقوا أن ينالوا رضى الله جل ثناؤه فقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، بل جعل اتباع سبيلهم شرطاً لنيل الرضا ودخول الجنات، حيث قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١)، وفي هذا البحث بيان لاحتساب الصحابة الأطهار، وجهادهم للسحرة الأشرار، والكهان الفجار، وهو جهاد عظيم فيه حماية لدين الله تعالى، ونهى عن الشرك.

وسيقوم هذا البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: احتساب الصحابة على السحر والسحرة.

المبحث الثانى: احتساب الصحابة على الكهانة والكهان وأعوانهم من الشياطين.

المبحث الثالث: احتساب الصحابة على التنجيم والمنجمين.

ونسأل الله أن يرزقنا حسن التأسى بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبهؤلاء الصحابة الأطهار، وأن يجمعنا بنينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبهم في جنات النعيم، وأن يجعل هذا البحث دافعاً إلى مزيد حب لهم، وشكر لجهادهم في هذا الباب المتناثر في كتبنا العظيمة العتيقة.

وإننا لنترجو أن يكون هذا البحث قياماً ببعض حقوق هذا الجيل المبارك الذي لم يدخر جهداً في نصرة هذا الدين، ولم يترك باباً من أبواب خدمة هذا الدين إلا ولجّه، ولا سهماً من سهام الإسلام إلا وأطلقه، فرضي الله عنهم، وشكر سعيهم، وصلى وسلم وبارك على من رباهم، فكل فضل نألوه فبفضله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وكل علم للخير رفعوه فهو رائدهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيه فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وجزى أصحابه الكرام البررة عنا عن الإسلام والمسلمين خيراً.

المبحث الأول: احتساب الصحابة الإطهار على السحر والسحرة الأشرار

احتسب الصحابة الأطهار (رضوان الله عليهم) على السحر وعلى السحرة الأشرار، وسلكوا إلى ذلك سبلاً، فمنهم من احتسب عليهم بقوله محذراً الأمة من شرهم، ومنهم من احتسب بإقامة أمر الله فيهم، وفي هذا المبحث نلقى الضوء على هذا الإحتساب من خلال مطلبين: -.

المطلب الأول: الاحتساب الفعلي للصحابة على السحرة.

المطلب الثاني: الاحتساب القولي على السحر والسحرة.

المطلب الأول: احتساب الصحابة العملي على السحر والسحرة

لقد أدرك الصحابة (رضوان الله عليهم) خطر السحرة، وأنهم أعضاء فاسدة في المجتمع المسلم، وأنهم سوس ينخر في عظام المجتمع المسلم، وأن هذه الأعضاء التي وقع فيه السوس إذا بقيت دون مقاومة أو ردع أهلكت الحرث والنسل، وأشاعت الفساد، ونشرت الكفر والضلال، وعملوا على اجتثاث هذا الفساد، وعلى بتر تلك الأعضاء التي لو تركت كانت سبباً في عطب جسد الأمة كله. وقاموا باجتثاث هذا الفساد الذي يسرى في جسد الأمة في خفاء، وفي هذا المطلب سنتناول احتساب هؤلاء الكرام، سنذكر احتساب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحكم موقعه على رأس هرم دولة الإسلام، وإصداره أمراً بقتل كل ساحر وساحرة، وتم تنفيذ أمره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتل أمير مصر قيس بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك للساحر، وتصرف ابن مسعود في قطعة خيطا ربطته أمراته، وبيع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لجاريتها.

احتساب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على السحرة:

في بدء أثر عمر: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصاً على إيمان العباد، حريصاً على عقائدهم، حريصاً على أن يكونوا قرييين من الله تعالى.. يظهر ذلك من مواقف عديدة فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال لأبي هريرة: من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله فبشره بالجنة، فلقى عمر فلما قال له ذلك ضربه حتى

سقط أبو هريرة على الأرض^(١)، فقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خائفاً من اتكالهم على مثل هذه الأحاديث الجليلة^(٢)، فيكون ذلك سبباً في تركهم لأعمال صالحة

(١) عن أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يَفْتُطَعَ دُونَنَا وَفَرَعْنَا فَقُمْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَرَغَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ أَبَا بَابَا فَلَمْ أَجِدْ فَإِذَا رِبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بَنِي خَارِجَةَ وَالرَّبِيعُ الْجَدُولُ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّغْلَبُ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا شَأْنُكَ قُلْتُ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتُ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ تَقْتَطَعَ دُونَنَا فَفَرَعْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَرَغَ فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّغْلَبُ وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ إِذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ فَقَالَ مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَرْتُهُ بِالْجَنَّةِ فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَخَرَزْتُ لِاسْتَيْ فَقَالَ ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَارْجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِهِ فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيْ ضَرْبَةً خَرَزْتُ لِاسْتَيْ قَالَ ارْجِعْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَبْعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَرْتُهُ بِالْجَنَّةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَكَلَّ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلَّهْمُ يَعْمَلُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَلَّهْمُ. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، حديث رقم ٤٦.

(٢) وردت أحاديث كثيرة في فضل من نطق بلا إله إلا الله، ولا بد أن تفقه في ضوء الأحاديث الأخرى التي جمعت نصوص القضية، من الكفر بما يعبد من دون الله، ومن القيام بحق لا إله إلا الله وأعمالها، وترك ما حرم الله تعالى، وعدم الاتكال على مجرد النطق، ومن الأحاديث الدالة على فضل لا إله إلا الله:

١ - عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ بَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ

كثيرة.

كما أنه حافظ على عقائد الناس من أن يتطرق إليها ما تطرق إلى عقائد الأمم من قبل، فإنه لما رأى الناس يأتون شجرة صلى الله عليه وسلم أمر بقطعها ^(١) لئلا يجر ذلك إلى الغلو فيها، وعبادتها من دون الله عز وجل، وكذلك

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ ذَرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ. رواه البخاري كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى: ﴿وَرَدْنَهُمْ هُدًى﴾ حديث رقم ٤٢. ومسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم ٢٨٥.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ. رواه البخاري كتاب العلم باب الحرص على الحديث، حديث رقم ٩٧٠.

٣- وفي حديث عَتَبَانَ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَنَغَّى بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ. رواه البخاري في كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت، حديث رقم ٤٠٧، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر).

٤- في حديث الشفاعة الطويل قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخْرُ لَه سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ وَسَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشْفَعُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبَرِيَّائِي وَعَظَمَتِي لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث رقم ٦٩٥٦، ومسلم كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها).

٥- عَنْ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حُرِّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ. صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم ٣٤.

(١) في صحيح البخاري من حديث طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ انْطَلَقْتُ حَاجًّا فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ

قال للحجر الأسود قولته المشهورة : والله إنني أعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يقبلك ما قبلتك ^(١) لقد كان ناصحاً للأمة حريصاً على دينها من أسلم، وكان كذلك في وزاته للنبي **صلى الله عليه وسلم** وللصديق أبي بكر، فلما ولي أمر الأمة وصار مسئولاً عنها ازدادت عنايته.

ومن موقعه كأمير للمؤمنين، وخليفة للأمة وحريصاً على أمر دينها احتسب على أولئك السحرة، فالذي كان يخشى على الأمة الاتكال على فضل الله وجزيل ثوابه فترك العمل، والذي كان خائفاً من غلو الأمة في الشجرة وفي الحجر، كيف يترك أولئك السحرة الذين يكفرون بالله تعالى، ويعتبدون للشياطين لتخدمهم وتستخدمهم في إضلال الناس، كيف يترك أولئك السحرة الذين يتعبدون لغير الله، بل يتعبدون لشر خلق الله وهم الشياطين، ويعبدون الناس لهم..

لقد احتسب على أولئك السحرة وكان احتسابه رادعاً وزاجراً، لقد أمر

يُصَلُّونَ قُلْتُ مَا هَذَا الْمَسْجِدُ قَالُوا هَذِهِ الشَّجَرَةُ حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ سَعِيدٌ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** تَحْتَ الشَّجَرَةِ قَالَ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَسِينَاهَا فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا فَقَالَ سَعِيدٌ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ **صلى الله عليه وسلم** لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ. أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٣٨٤٥.

(١) عن زيد بن أسلم عن أبيه قال رأيت عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** قبل الحجر وقال لولا أنني رأيت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قبلك ما قبلتك. رواه البخاري كتاب الحج، باب تقبيل الحجر، حديث رقم ١٥٠٦، ورواه مسلم كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، حديث رقم ٢٢٢٨.

بإقامة أمر الله فيهم، فأمر بقتل السحرة، فهو أمير المؤمنين ورأس دولة الإسلام وهو حريص على دين الأمة ودنياها وهؤلاء مفسدون لدين الأمة ودنياها، فهم آكلون لأموال الناس بالباطل وهو كان من العدل بحيث لا يسمح لأحد أن يأكل حق أحد وإن كان صغيراً في بيع أو شراء فكيف بمن يأكل أموال الناس بالكفر والضلal والسحر، والسحرة الأشرار يفسدون البيوت وينشرون الفساد وهو الذي كان يعس ليلاً متفقداً بيوت المسلمين مراعيّاً لها خائفاً عليها، وهذا درس لولاة الأمور يبين لهم جانباً من الحفاظ على الدولة المسلمة ضد سوس ينخر فيها، يفسد عقيدتها وأخلاقيها ويفسد أموالها ونظامها، ويقوض بنيانها، ويشيع الفساد في أرجائها فأولئك السحرة أولى بالسيف والقتل من القتل وقطاع الطرق وغيرهم من أهل الضلال فهم من أول ما يدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، فالسحرة جرثومة الفساد والضلال والكفر.

عن عمرو بن دينار، أنه سمع بجاللة^(٢)، يحدث أبا الشعثاء وعمرو بن أوس

(١) الآية ٣٣ سورة المائدة.

(٢) هو بجاللة بن عبدة التميمي العنبري أدرك النبي ﷺ ولم يره وكان كاتباً لجزء بن معاوية في خلافة عمر ثبت ذلك في الجزية من صحيح البخاري وبجاللة بفتح أوله وتخفيف الجيم وأبوه بفتحيتين غلى الصحيح الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ١ / ص ١١٤) وفي تقريب

الثقفي عام حج مصعب بن الزبير وهو جالس إلى درج زمزم سنة سبعين قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية^(١) عم الأحنف بن قيس، فأتانا كتاب عمر قبل موته بسنة اقتلوا كل ساحر وكاهن، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، وامنعوهم من الزمزمة، قال: فقتلنا ثلاثة سواحر، وفرقنا بين كل رجل من المجوس وحرمة في كتاب الله وصنع طعاما كثيرا فدعا مجوس وعرض السيف على فحذه فأكلوا بغير زمزمة وألقوا وقر بغل أو بغلين من ورق ولم يكن عمر يأخذ من المجوس الجزية حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر^(٢).

قال ابن حجر: وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ الْمَذْكُورَةِ مِنَ الزِّيَادَةِ «وَأَقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَكَاهِنٍ»^(٣).

فقد ظهر جلياً من هذا احتساب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أولئك السحرة، وبينت تلك الآثار أن عماله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بادروا إلى تنفيذ أمره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يتوانوا في

التهذيب - (ج ١ / ص ١٢١) بجملة بفتح الموحدة بعدها جيم بن عبدة بفتح التميمي العنبري البصري ثقة من الثانية خ د ت س.

(١) هو جزء بن معاوية بن حصين بن عبادة بن سعد التميمي، عم الأحنف بن قيس، وهو من التابعين. الوافي بالوفيات - (ج ٤ / ص ١٢).

(٢) الحديث بهذا اللفظ: أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٩٦ رقم ١٦٥٧)، وأخرجه أبو داود في كتاب كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية من المجوس: ٣/ ١٦٨ رقم ٣٠٤٣، وقال الشيخ الألباني: «صحيح». (إرواء الغليل: ٥/ ٨٩ رقم ١٢٤٩).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ١١٩ رقم ٢١٨٠) ذكره ابن حجر في الفتح وسكت عنه: ج ٦ ص ٢٩٦.

ذلك، وقد ذكر بجمالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم قتلوا على إثر قدوم الكتاب ثلاث سواحر.

قيس بن سعد الأمير وقتله الساحر الذي يفشي اسرار الدولة:

وَرَوَى سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ أَمِيرًا عَلَى مِصْرَ فَجَعَلَ يَفْشُو سِرَّهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُفْشِي سِرِّي؟ فَقَالُوا: سَاحِرٌ هَهُنَا فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: إِذَا نَشَرْتَ الْكِتَابَ عَلِمْنَا مَا فِيهِ، فَأَمَّا مَا دَامَ مَخْتُومًا فَلَيْسَ نَعْلَمُهُ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ^(١)..

كان قيس بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميراً على مصر، فكان يحدث معه شيء غريب وهو أنه كان يكتب الكتاب الخاص بأمور الدولة وشئون الحكم فيجد الكتاب قد كشف وعرفه الناس، فبحث وطلب كشف ذلك حثيثاً حتى علم أن هناك ساحر يكشف أسرار الدولة المسلمة ويعرضها للأخطار، إذ في كتب الأمير ولا بد ما يتعلق بالحرب والخطط العسكرية، وفيها ما يكون بينه وبين الخليفة، وفيها ما يكون من أمور سرية تقوم عليها سلامة الدولة، فأحضر الساحر وسأله وقرره فأقر وكشف له ما يصنعه الجن مع ذلك الساحر وهو أنه إذا فتح الأمير الكتاب نقل الجن محتواه إلى الساحر، فاحتسب على ذلك الساحر فقتله، لأن في هذا سلامة عقائد الناس، وفيها سلامة الدولة، إذ كشف أسرارها يعرضها للمخاطر، ويكشف الترتيب أمام الأعداء بل قد يؤلب العامة فإن كثيراً من أمور الدولة لو كشفت لما فهمها كثير من الناس، وكم عرض هذا الساحر

(١) سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري.

ولا شك من مسلم للأذى حين تكشف أمور نجاها في الأسرار، وكم يكشف ظهور المسلمين وحالة جيوشهم، مما يمكن فهم أعدائهم، فقطع دابر رجل من الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. وهذا درس لكل مسئول في موقعه ألا يتعاون في الاحتساب على هؤلاء فقيس أمير ونائب لأmir المؤمنين وهو منوط به الحفاظ على هذه البلد، فكما يحافظ عليها فيمنع ذلك الجرائم ويقيم الحدود على الجناة من قتله ولصوص وزناه ومحاربين، أقام حكم الله على ذلك الساحر المفسد الذي يكشف أسرار دولة الإسلام. فعلى كل من ولاة الله ولاية في بلاد المسلمين ومنحه سلطاناً أن يقطع دابر هذا الشرك وهذا الفساد.

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واحتسابها في أمر السحر:

لقد احتسبت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على جارية لها سحرتها، وكانت أمنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد أحسنت إلي هذه الجارية حتى أنها دبرتها، لتعتق بعد موتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لكن هذه الجارية كانت ذات نفس خبيثة قابلت الإحسان بالإساءة فبدلاً من شكرها أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عملت لها سحراً لتموت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتكون الجارية بعيدة عن الشبهة لكن الله فضحها وكشف أمرها وسألها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأقرت بالسحر، ولعل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا استتابتها فتابت وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ممن ترى ذلك مع الساحر، أو لاشتباه ما حدث لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول ادروا الحدود بالشبهات، وأمنا من أرحم الناس وهى زوج الرحمة المهداة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهى ابنة أرحم الأمة بالأمة.

ولكن أوصت بأن تباع بشر قوم يعاملون المماليك، وذلك لتخاف وتعلم أنها إذا أخطأت أذاقوها العذاب الأليم فتخاف من فعل أي خطأ فيكون ذلك رادعاً لها عن العودة لمثلها ويكون ذلك خير لها، إذا كانت نفسها ضعيفة، وإن هؤلاء المفسدون من السحرة قوم جبناء حريصون على الدنيا ومتاعها ولو علموا أنهم يضامون في هذه الدنيا فإنهم لا يقدمون على ذلك، كما أنهم لو علموا أن هناك من يعرف حقيقة أمرهم وطبيعة فعلهم فإنهم لا يعقلون ذلك.

عن عمرة قالت: مرضت عائشة فتناول مرضها، قالت: فذهب بنو أخيها إلى رجل فذكروا مرضها، فقال: إنكم تخبروني خبر امرأة مطبوبة، قال: فذهبوا ينظرون، فإذا جارية لها سحرتها، وكانت قد دبرتها، فدعتها، فسألتها، فقالت: ماذا أردت؟ قالت: أردت أن تموتي حتى أعتق، قالت: فإن لله علي أن تباعي من أشد العرب ملكة، فباعتها، وأمرت بثمانها فجعل في مثلها^(١).

وفي مصنف عبد الرزاق عن محمد بن عبد الرحمن عن عمرة بنت عبد الرحمن أن عائشة أعتقت جارية لها عن دبر منها، ثم إنها سحرتها واعترفت بذلك، قالت: أحبيت العتق، فأمرت بها عائشة ابن أخيها أن يبيعها من الاعراب ممن يسئ ملكتها، قالت: وابتع بثمانها رقبة فأعتقها، ففعل.

وفي رواية في المصنف أيضاً: مرضت عائشة فطال مرضها، فذهب بنو

(١) هذا الحديث والذي بعده: أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩/ ١٤٠ رقم ١٦٦٦٧) قال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد. (صحيح الأدب المفرد (٨١) رقم ١٦٢ / ١٢٠).

أخيها إلى رجل، فذكروا مرضها، فقال: إنكم لتخبروني خبر امرأة مطبوبة، قال: فذهبوا ينظرون فإذا جارية لها سحرتها، وكانت قد دبرتها، فسألتها فقالت: ما أردت مني؟ فقالت: أردت أن تموتي حتى أعتق، قالت: فإن لله علي أن تباعي من أشد العرب ملكة، فباعتها، وأمرت بثمانها أن يجعل في غيرها..

نقول وفي الحديث: بَيَانُ أَنَّ الْقَدَرَ لَا يُؤَثَّرُ فِيهِ سِحْرٌ، وَلَا شَيْءٌ يَجْرِي إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ، فإن السحر لم يحقق مراد المرأة ولم تمت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والمرأة لم تعتق.

وفيه: مَشْرُوعِيَّةُ مُعَاقِبَةِ الْمُسِيءِ بِقَدْرِ إِسَاءَتِهِ، وَعَدَمُ الْأَخْذِ بِالْعَفْوِ.

وفيه: أَنَّ مَنْ اسْتَعْجَلَ شَيْئًا قَبْلَ أَوَانِهِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِهِ.

وجاء في تفسير القرطبي قال ابن المنذر: وقد روينا عن عائشة. أنها باعت ساحرة كانت سحرتها وجعلت ثمنها في الرقاب. قال ابن المنذر: وإذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله إن لم يتب، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ووصفت البينة كلاما يكون كفرا. وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله، فإن كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه إن كان عمد ذلك، وإن كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك. قال ابن المنذر: وإذا اختلف أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسألة وجب اتباع أشبههم بالكتاب والسنة، وقد يجوز أن يكون السحر الذي أمر من أمر منهم بقتل الساحر سحرا يكون كفرا فيكون ذلك موافقا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أن

تكون عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أمرت ببيع ساحرة لم يكن سحرها كفرا. فإن احتج محتج بحديث جندب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(حد الساحر ضربه بالسيف)** فلو صح لاحتمل أن يكون أمر بقتل الساحر الذي يكون سحره كفرا، فيكون ذلك موافقا للاخبار التي جاءت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **(لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث...)** قلت: وهذا صحيح، ودماء المسلمين محظورة لا تستباح إلا بيقين ولا يقين مع الاختلاف. والله تعالى أعلم. وقال بعض العلماء: إن قال أهل الصناعة أن السحر لا يتم إلا مع الكفر ولاستكبار، أو تعظيم الشيطان فالسحر إذا دال على الكفر على هذا التقدير، والله تعالى أعلم. وروي عن الشافعي: لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره ويقول تعمدت القتل، وإن قال لم أتعمده لم يقتل، وكانت فيه الدية كقتل الخطأ، وإن أضربه أدب على قدر الضرر.

قال ابن العربي: وهذا باطل من وجهين، أحدهما: أنه لم يعلم السحر، وحقيقته: أنه كلام.

مؤلف يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه المقادير والكائنات.

الثاني: أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر فقال: **﴿وَمَا كَفَرَ سَلِيمُنْ﴾** به وبتعليمه، وهاروت وماروت يقولان: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾** وهذا تأكيد للبيان.

احتج أصحاب مالك بأنه لا تقبل توبته، لان السحر باطن لا يظهره صاحبه فلا تعرف توبته كالزنديق، وإنما يستتاب من أظهر الكفر مرتدا، قال مالك: فإن

جاء الساحر أو الزنديق تائباً قبل أن يشهد عليهما قبلت توبتهما، والحجة لذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ فدل على أنه كان ينفعهم إيمانهم قبل نزول العذاب، فكذلك هذان. (١).

فقه الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ لِآثار الصحابة في شأن الساحر:

وقد تناول العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ هذه الآثار في أضواء البيان بالدراسة فكان مما قاله: التحقيق في هذه المسألة إن شاء الله تعالى أن السحر نوعان كما تقدم؟ منه ما هو كفر، ومنه ما لا يبلغ بصاحبه الكفر، فإن كان الساحر استعمل السحر الذي هو كفر فلا شك في أنه يقتل كفراً؟ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « من بدل دينه فاقتلوه ». وأظهر القولين عندي في استتابته أنه يستتاب، فإن تاب قبلت توبته. وقد بينت في كتابي (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) في سورة «آل عمران» (٢) أن أظهر القولين دليلاً أن الزنديق تقبل توبته؟ لأن الله لم يأمر نبيه ولا أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتنقيب عن قلوب الناس؟ بل بالاكْتفاء بالظاهر. وما يخفونه في سرائرهم أمره إلى الله تعالى. خلافاً للإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ وأصحابه القائلين بأن الساحر له حكم الزنديق. لأنه مستسر بالكفر والزنديق لا تقبل توبته عنده إلا إذا جاء تائباً قبل الاطلاع عليه. وأظهر القولين عندي: أن المرأة الساحرة حكمها حكم الرجل الساحر وأنها كفرت بسحرها قتلت كما

(١) تفسير القرطبي - (ج ٢ / ص ٤٨).

(٢) تفسير القرطبي - (ج ٢ / ص ٤٨).

يقتل الرجل. لأن لفظة «من» في قوله: «**من بدل دينه فاقتلوه**» تشمل الأنثى على أظهر القولين وأصحهما إن شاء الله تعالى. ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾^(١) الآية. فأدخل الأنثى في لفظة «من»، وقوله تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ﴾^(٢) الآية، وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ﴾^(٣) الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما إن كان الساحر عمل السحر الذي لا يبلغ بصاحبه الكفر، فهذا هو محل الخلاف بين العلماء. فالذين قالوا يقتل ولو لم يكفر بسحره قال أكثرهم: يقتل حداً ولو قتل إنساناً بسحره، وانفرد الشافعي في هذه الصورة بأنه يقتل قصاصاً لا حداً.

وهذه حجج الفريقين ومناقشتها:

أما الذين قالوا مطلقاً إذا عمل بسحره ولو لم يقتل به أحداً فاستدلوا بآثار عن الصحابة رضي الله عنهم، وبحديث جاء بذلك إلا أنه لم يصح.

فمن الآثار الدالة على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد في باب الجزية): حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال: سمعت عمرأ قال: كنت جالساً مع جابر بن زيد وعمرو بن أوس فحدثهما بجملة سنة سبعين عام

(١) الآية ١٢٤ سورة النساء..

(٢) الآية ٣٠ سورة الأحزاب..

(٣) الآية ٣٠ سورة الأحزاب..

حج مصعب بن الزبير بأهل البصرة عند جرج زمزم قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: اقتلوا كل ساحر، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس قال: فقتلنا في يوم واحد ثلاث سواحر وفرقنا بين المحارم منهم. ورواه أيضاً أحمد وأبو داود. واعلم أن لفظة «اقتلوا كل ساحر» الخ في هذا الأثر ساقطة في بعض روايات البخاري، ثابتة في بعضها، وهي ثابتة في رواية مسدد وأبي يعلى. قاله في الفتح. ومن الآثار الدالة على ذلك أيضاً ما رواه مالك في الموطأ عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت. قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره هو مثل الذي قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(١) فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه انتهى من الموطأ. ونحوه أخرجه عبد الرزاق. ومن الآثار الدالة على ذلك ما رواه البخاري في تاريخه الكبير: حدثنا إسحاق، حدثنا خالد الواسطي، عن خالد الحذاء عن أبي عثمان: كان عند الوليد رجل يعلب فذبح إنساناً وأبان رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله. حدثني عمرو بن محمد، حدثنا هشيم عن خالد عن أبي عثمان عن جندب البجلي: أنه قتله. حدثنا موسى قال حدثنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان: قتله جندب بن كعب. وفي (فتح المجيد

شرح كتاب التوحيد) للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ بعد أن أشار لكلام البخاري في التاريخ الذي ذكرنا، ورواه البيهقي في الدلائل مطولاً، وفيه: فأمر به الوليد فسجن. فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة انتهى منه.

فهذه آثار عن ثلاثة من الصحابة في قتل الساحر: وهم عمر وابنته أم المؤمنين حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ جميعاً، وجندب ولم يعلم لهم مخالف من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. ويعتضد ذلك بما رواه الترمذي والدارقطني عن جندب قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « حد الساحر ضربه بالسيف » وضعف الترمذي إسناد هذا الحديث وقال: الصحيح عن جندب موقوف، وتضعيفه بأن في إسناده إسماعيل بن مسلم المكي وهو يضعف في الحديث. وقال في (فتح المجيد) أيضاً في الكلام على حديث جندب المذكور: روى ابن السكن من حديث بريدة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **يضرب ضربة واحدة فيكون أمة وحده** » اه منه. وقال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر تضعيفه بإسماعيل المذكور: قلت قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن عن جندب مرفوعاً اه. وهذا يقويه كما ترى.

فهذه الآثار التي لم يعلم أن أحداً من الصحابة أنكرها على من عمل بها مع اعتضاها بالحديث المرفوع المذكور هي حجة من قال بقتله مطلقاً. والآثار المذكورة والحديث فيهما الدلالة على أنه يقتل ولو لم يبلغ به سحره الكفر. لأن الساحر الذي قتله جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان سحره من نحو الشعوذة والأخذ بالعيون، حتى إنه يخيل إليهم أنه أبان رأس الرجل، والواقع بخلاف ذلك. وقول

عمر «اقتلوا كل ساحر» يدل على ذلك لصيغة العموم. وممن قال بمقتضى هذه الآثار وهذا الحديث: مالك، وأبو حنيفة، وأحمد في أصح الروايتين، وعمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبدالله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبدالعزيز. وكما نقله عنهم ابن قدامة في (المغني) خلافاً للشافعي، وابن المنذر ومن وافقهما.

واحتج من قال: بأنه إن كان سحره لم يبلغ به الكفر لا يقتل بحديث ابن مسعود المتفق عليه «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث...**» الحديث، وقد قدمناه مراراً. وليس السحر الذي لم يكفر صاحبه من الثلاث المذكورة. قال القرطبي منتصراً لهذا القول: وهذا صحيح، ودماء المسلمين محظورة لا تستباح إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف، والله أعلم.

واحتجوا أيضاً بأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا باعت مدبرة لها سحرتها، ولو وجب قتلها لما حل بيعها. قاله ابن المنذر وغيره. وما حاوله بعضهم من الجمع بين الأدلة المذكورة بحمل السحر على الذي يقتضي الكفر في قول من قال بالقتل، وحمله على الذي لا يقتضي الكفر في قول من قال بعدم القتل لا يصح. لأن الآثار الواردة في قتله جاءت بقتل الساحر الذي سحره من نوع الشعوذة كساحر جندب الذي قتله، وليس ذلك مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام، كما تقدم إيضاحه. فالجمع غير ممكن. وعليه فيجب الترجيح، فبعضهم يرجح عدم القتل بأن دماء المسلمين حرام إلا بيقين. وبعضهم يرجح القتل بأن أدلته خاصة

ولا يتعارض عام وخاص. لأن الخاص يقضي على العام عند أكثر أهل الأصول كما هو مقرر في محله.

قال مقيده عفا الله عنه: والأظهر عندي أن الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ولم يقتل به إنساناً أنه لا يقتل. لدلالة النصوص القطعية، والإجماع على عصمة دماء المسلمين عامة إلا بدليل واضح. وقتل الساحر الذي لم يكفر بسحره لم يثبت فيه شيء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتجروء على دم مسلم من غير دليل صحيح من كتاب أو سنة مرفوعة غير ظاهر عندي. والعلم عند الله تعالى، مع أن القول بقتله مطلقاً قوي جداً لفعل الصحابة له من غير نكير. ^(١).

احتساب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقطع الخيط عن أهله:

من المعلوم استخدام السحرة للخیوط والعقد في السحر، ولما رأى عجوزا عقدت لزوجته ذلك الخيط قطعه وحذر من ذلك تحذيراً شديداً. ففي سنن ابن ماجه عن يحيى بن الجزار عن ابن أُخت زَيْنَب امرأة عبد الله عن زَيْنَب قالت كانت عجوز تدخل علينا ترقى من الحُمرة وكان لنا سرير طویل القوائم وكان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوت فدخل يوماً فلما سمعت صوته احتجبت منه فجاء فجلس إلى جانبي فمسنني فوجد مس خيط فقال ما هذا فقلت رقي لي فيه من الحُمرة فجذبه وقطعه فرمى به وقال لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول إن الرقي والتائم والتولة شرك قلت فإني

(١) أضواء البيان - (ج ٤ / ص ١٢٣).

خَرَجْتُ يَوْمًا فَأَبْصَرَنِي فُلَانٌ فَدَمَعَتْ عَيْنِي الَّتِي تَلِيهِ فَإِذَا رَقِيْتُهَا سَكَنْتَ دَمْعُهَا
وَإِذَا تَرَكْتُهَا دَمَعَتْ قَالَ ذَاكَ الشَّيْطَانُ إِذَا أَطْعَمْتَهُ تَرَكَكَ وَإِذَا عَصَيْتَهُ طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ
فِي عَيْنِكَ وَلَكِنْ لَوْ فَعَلْتَ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ خَيْرًا لَكَ وَأَجْدَرَ
أَنْ تُشْفِينَ تَنْصَحِينَ فِي عَيْنِكَ الْمَاءَ وَتَقُولِينَ أَذْهَبَ الْبَاسُ رَبَّ النَّاسِ أَشْفِ أَنْتَ
الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا ^(١).

الْحُمْرَةُ لَوْنٌ مَعْرُوفٌ وَوَرَمٌ مِنْ جِنْسِ الطَّوَاعِينِ قُلْتُ فَلَعَلَّ الْمُرَادَ هَاهُنَا هُوَ
الْمَعْنَى الثَّانِي.

قَوْلُهُ (أَغْنِيَاءَ عَنِ الشُّرْكِ) يُرِيدُ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوا مَا هُوَ شُرْكَ.
وَالرُّقَى جَمْعُ رُقِيَةٍ وَهِيَ الْعُذَّةُ وَالْمُرَادُ مَا كَانَ بِأَسْمَاءِ الْأَصْنَامِ وَالشَّيَاطِينِ لَا
مَا كَانَ بِالْقُرْآنِ وَنَحْوِهِ.

وَالْتَّمَائِمُ جَمْعُ تَمِيمَةٍ أُرِيدَ بِهَا الْخَزَرَاتُ الَّتِي يُعَلِّقُهَا النِّسَاءُ فِي أَعْنَاقِ الْأَوْلَادِ
عَلَى ظَنِّ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ وَتَدْفَعُ الْعَيْنَ.

وَالتَّوَلَّاةُ بِكَسْرِ التَّاءِ وَفَتْحِ الْوَاوِ وَاللَّامِ نَوْعٌ مِنَ السَّحَرِ يَجْلِبُ الْمَرْأَةَ إِلَى
زَوْجِهَا.

شُرْكَ أَيِ مِنْ أَفْعَالِ الْمُشْرِكِينَ أَيْ لِأَنَّهُ قَدْ يُفْضَى إِلَى الشُّرْكِ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ لَهَا
تَأْثِيرًا حَقِيقَةً وَقِيلَ الْمُرَادُ الشُّرْكَ الْخَفِيُّ بِتَرْكِ التَّوَكُّلِ وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الطب، باب تعليق التمام: ٢/ ١١٦٦ رقم ٣٥٣٠)، صححه
الشيخ الألباني: في (السلسلة الصحيحة رقم ٣٣١، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه رقم ٣٥٣٠).

وَتَعَالَىٰ وَفِي الزَّوَايدَ رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ بَعْضُهُ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ^(١).

احتساب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ باستخراج سحر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لما سحر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووضع لييد السحر في البئر أرسل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصحابه من استخرج هذا السحر، ونرى أن هذا من احتساب الصحابة أيضا، وكذلك الصحابي الذي استأذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ردم البئر التي هي مكان يضع فيه ذلك الساحر سحره..

ويوجه هذا المسلمين إلى بذل ما يمكنهم لدفع اذى السحرة بالبحث في الاماكن التي هي مظان لوضع السحرة وقاصديهم الأعمال فيها فيستخرجونها فيكشفون عن مسلم كربة ويصرفون عنه اذى باذن الله وإن هذا ليدخل أيضا تحت قوله صل الله عليه وسلم إذا استطاع أحدكم أن ينفع أخاه فليفع، جاء في فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٩٦) وَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ « فَبَعَثَ إِلَيَّ عَلِيٌّ وَعَمَّارٌ فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَأْتِيَا الْبُئْرَ » وَعِنْدَهُ فِي مُرْسَلٍ عُمَرُ بْنُ الْحَكَمِ « فَدَعَا جُبَيْرُ بْنُ إِيَّاسٍ الزُّرْقِيَّ وَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ عَلَى مَوْضِعِهِ فِي بُئْرِ ذُرْوَانَ فَاسْتَخْرَجَهُ » قَالَ وَيُقَالُ الَّذِي اسْتَخْرَجَهُ قَيْسُ بْنُ مُحْصَنٍ الزُّرْقِيَّ، وَيُجْمَعُ بِأَنَّهُ أَعَانَ جُبَيْرًا عَلَى ذَلِكَ وَبَاشَرَهُ بِنَفْسِهِ فَنَسِبَ إِلَيْهِ، وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ أَيْضًا « أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ قَيْسٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا يَهُورُ الْبُئْرُ » فَيُمْكِنُ تَفْسِيرُ مَنْ أُبْهِمَ بِهِؤْلَاءِ أَوْ بَعْضَهُمْ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَهُمْ أَوَّلًا ثُمَّ تَوَجَّهَ فَشَاهَدَهَا

(١) راجع حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ٦ / ص ٤٥٤) بتصرف..

بِنَفْسِهِ^(١). وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ «فَوَجَدَ الْمَاءَ وَقَدْ اخْضَرَ» وَهَذَا يُقَوِّي قَوْلَ الدَّأُودِيِّ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: كَانَ مَاءُ الْبَيْرِ قَدْ تَغَيَّرَ إِذَا لَرْدَاَتِهِ بِطُولِ إِقَامَتِهِ، وَإِذَا لَمَّا خَالَطَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أُلْقِيَتْ فِي الْبَيْرِ. قُلْتُ: وَيُرَدُّ الْأَوَّلُ أَنَّ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي مُرْسَلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ قَيْسٍ هَوَّرَ الْبَيْرَ الْمَذْكُورَةَ وَكَانَ يَسْتَعْذِبُ مِنْهَا وَحَفَرَ بَيْرًا أُخْرَى فَأَعَانَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَفْرِهَا^(٢). وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَا يَبِينُ احْتِسَابَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي هَذَا الْجَانِبِ هُمْ: عَلِيٌّ وَعَمَّارٌ وَجُبَيْرُ بْنُ إِيَّاسٍ الزُّرْقِيُّ وَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ عَلَى مَوْضِعِهِ فِي بَيْرِ ذَرَوَانَ وَقَيْسُ بْنُ مُحْصَنٍ الزُّرْقِيُّ، وَالْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ الَّذِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا يَهُورُ^(٣) الْبَيْرُ».

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٩٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٩٦).

(٣) يهور: انصدع من خلفه، وهو ثابت بعد مكانه فهو هائر هار، فإذا سقط شيء من أعلى جوف أو ركية في قعرها قيل تهور وتدهور. العين: للخليل ج ١ ص ٢٧٩.

المطلب الثاني: احتساب الصحابة القولي على السحر والسحرة

تعليق على الاحتساب القولي، كما احتسب الصحابة «رضوان الله عليهم» على السحر احتساباً عملياً وكما احتسبوا على السحر احتساباً عملياً، كذلك احتسبوا احتساباً قولياً فحذروا من السحر، وبينوا سوء عاقبته، وأفتوا بقتل الساحر، وحذروا من وسائل السحر وأدواته، كالنظر في النجوم، وككتابة حروف أبي جاد.

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتفسيره الجبت بالسحر:

قَالَ عُمَرُ الْجِبْتُ السَّحْرُ وَالطَّاغُوتُ الشَّيْطَانُ وَقَالَ عِكْرِمَةُ الْجِبْتُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ شَيْطَانٌ وَالطَّاغُوتُ الْكَاهِنُ^(١). فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحتسب على السحر فيبين أن ما جاء ذمه في كتاب الله في قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت أن الجبت هو السحر، وهذا ما لا يرضاه مؤمن بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من كمال نصحه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبيانه خطورة السحر وأنه هو الجبت الذي ذمه الله.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وتحذيره من استخدام أبي جاد في السحر:

عن ابن عباس قال: إن قوما ينظرون في النجوم وفي حروف أبي جاد قال: أرى أولئك قوما لا خلاق لهم^(٢).

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٢ / ص ٤٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٤٠ رقم ٢٥٦٤٨) الحكم على الإسناد: إسناده حسن. والله أعلم.

قال ابن حجر: وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الزَّجْرُ عَنْ عَدِّ أَبِي جَادٍ وَالْإِشَارَةُ إِلَى
أَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ السَّحْرِ. ^(١)

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٣٤٦).

المبحث الثاني: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم على الكهانة والكهان وأعوانهم من الشياطين ومردة الجان

إن أول ركن من أركان الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأول ركن أفراد الله بما يختص به سبحانه، إنه أول الواجبات، إنه توحيد الله، ومن توحيده **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** إيمان العبد بتفرده سبحانه بعلم الغيب، وقد قال الله لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فالغيب المطلق لا يعمل به إلا عالم الغيب والشهادة سبحانه، لكن هناك أمور يعملها بعض خلق الله، ويجهلها آخرون، وهذا ما يعرف بالغيب النسبي، فهناك أمور لم تعد غيباً مطلقاً، بل أطلع الله الملائكة عليها، وأطلع الملائكة بعضهم بعضاً عليها فسمعها الجن، ولكن علمها غائب عن الأنس فينزل الشيطان الذي استرق السمع فيحدث بها الإنسي، فيكذب معها الإنسي فيعتقد الناس فيه أنه يعلم الغيب لجهلهم بدين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ولسداجة تفكيرهم، تلك هي حقيقة الكهانة، ولذا يقول العلماء هي ادعاء علم الغيب، إذ ما ألقاه الشيطان إلى الإنسي ليس هو الغيب الذي كفروا الله به، بل علمه خلق كثير من خلقه، ولكن لما كان الكاهن يجعل الناس يوهم الناس بعلمه الغيب، ويجعلهم يعتقدون فيه ذلك، يعتقدون مشاركته لله بهذا الذي يختص به جاء الوعيد الشديد من (النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) على الكهانة حتى أنه جعل السائل المصدق للكاهن كافراً به **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبما أنزل إليه وجعل السائل العاثر اللاهي مردود الصلاة أربعين

يوماً. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد^(١). وعن نافع عن صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يَقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(٢). هذا حال السائل فكيف حال الكاهن نفسه.

هذا شأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الكهان وعلى، دربه سار الصحابة الكرام، فحذروا من الكهانة، وبينوا خطرهما وضررها، وجاءوا يسألون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها، ويطلبون من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حل إشكال وهو إخبارهم بأمور يجدها الناس بعد حين صدقاً فيبين لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصل الأمر فلم يخذعوا بعد بما يقوله الكهان، وحذروا منهم، وحكوا حكايات حدثت لهم في الجاهلية ليكشفوا للناشئة والمسلمين الجدد حقيقة الكهانة، وأنهم لهوانها وهوان أصحابها تركوها وذلك حتى لا يخذع الناشئة بذلك، وقد حاربوا ادعياء النبوة الذين كانت لهم توابع من الجن، ولم يهابوهم، بل نصرهم الله عليهم كما حدث مع الأسود والعنسي وقتل الكرام في زمن الصحابة له وأن شيطانه لم يغن عنه شيئاً، وأن كهانته لم تنجيه، ولقد احتسبوا على ذلك كله رضوان الله عليهم كما أنهم قاوموا الشياطين وكان من الأعاجيب أن الله مكنهم من هؤلاء

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ٩١٧١ - (ج ١٩ / ص ٢١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٠٤٧ - (ج ٣ / ص ٩٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب السلام، باب تَحْرِيمِ الْكُهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، حديث رقم ٤١٣٧.

الشياطين فأسروهم حتى افتدت الشياطين منهم بالعلم النافع الذي أقرهم عليه الرسول الهادي^(١) وهذا من عجائب ذلك الجيل الميمون المبارك.

وفي هذا البحث سنعرض لاحتسابهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** على الكهان وأعوانهم من الشياطين من خلال مطلبين:

المطلب الأول: احتساب الصحابة الكرام على الكهان والكهان اللئام.

المطلب الثاني: احتساب الصحابة على الشياطين.

والله نسأل الهداية والتوفيق والقبول.

(١) مضت قصة أبي هريرة وأسرهِ الشيطان وقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** له ما فعل أسيرك البارحة.

المطلب الأول: احتساب الصحابة الكرام على الكهانة والكهان

اللئام

كانت الكهانة منتشرة عند العرب وكان لكل قبيلة كاهن، وكان سدنة الأصنام كهانا لهم رئي من الجن، وكانت معهم شياطين تضلهم وتضل العباد وتخاطب الناس من الأوثان والقرايين، قال النووي: كَانَتْ الْكِهَانَةُ فَاشِيَةً فِي الْعَرَبِ^(١)

(١) هناك قصص كثيرة مشهورة في كتب السير، وإن لم تكن جارية على قواعد المحدثين في سلامة النقل، لكنها مشهورة ومذكورة في جل كتب السيرة، نذكر بعضها حكاية واستأناسا وليس استدلالا، فمنها: قصة هند لما ذهبت إلى كاهن اليمن معروفة في السيرة النبوية وهي قصة تبين شأن الكهانة عندهم ومفزعهم إلى الكهان عن حميد بن وهب قال: كانت هند بنت عتبة بن ربيعة قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة وكان من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة تغشاه الناس من غير إذن، فخلا البيت ذات يوم فقام الفاكه، وهند فيه، وخرج لبعض حاجاته، وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه، فلما رأى المرأة ولّى هارباً، فأبصره الفاكه، فانتبهى إليها، فوجدها راقدة فضربها برجله، وقال: من هذا الذي كان عندك. قالت: ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني، فقال لها؛ الحقّي بأهلك، وتكلم فيها الناس، فخلا بها أبوها عتبة بن ربيعة، فقال لها: يا بنية، إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئني بذلك، فإن يكن الرجل صادقاً، دسست إليه من يقتله فتقطع عنا القالة، وإن يكن كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن!! قال: فحلفت له بما كانوا يحلفون به في الجاهلية؛ أنه كاذبٌ، فقال عتبة للفاكه: إنك قد رميت ابنتي بأمرٍ عظيمٍ، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن.

فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة معها تأنس بهن فلما أشرفوا على بلاد الكاهن، تنكر حال هند وتغير وجهها، فقال لها عتبة: يا بنية، إني قد رأيتُ ما بك من تغير الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فقالت: لا، واللّه يا أبتاه، ما ذاك لمكروه، ولكنني أعرفُ أنكم ستأتون بَشْراً يخطئ ويصيب، فلا آمنه أن يسمّني بِسِمَاءٍ تكون عليّ سُبّة في العرب آخر الدهر، فقال لها أبوها: إني سوف أستخبره لك قبل أن ينظر في أمرك، فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حبة من الحنطة وأوكأ عليها بسير، وصبحوا الكاهن

حَتَّى قُطِعَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ صُعودِ السَّمَاءِ وَاسْتِرَاقِ السَّمْعِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلْسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ (١) وقد جاء في البخاري عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن كل قبيلة كان فيها كاهن.

تحذير علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الكهانة:

لقد احتسب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الكهانة والكهان، وأخبر أن العرافة كهانة، وحذر من إتيان الكهان وقال محتسبا كما جاء عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: قَالَ

فنحر لهم وأكرمهم، فلما تغدوا، قال له عتبة: إنا جئناك لأمرٍ وقد خبأت لك خبيثة أختبرك بها فانظر ما هو، قال الكاهن: بُرة في كمر، قال عتبة: أريد أبين من هذا، قال: حبة بر في إحليل مهر، فقال عتبة: صدقت، انظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن ويضرب كتفها ويقول: انهضي، حتى دنا من هند فضرب كتفها، وقال: انهضي غيرٍ وسخاء ولا زانية، وستلدين ملكًا يقال له معاوية، فنظر إليها الفاكه فأخذ بيدها، فترت يدها من يده، وقالت: إليك عني، فوالله، لأحرصن أن يكون من غيرك، فتزوجها أبو سفيان، فجاءت منه بمعاوية بن أبي سفيان. (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - (ج ٢ / ص ٤٧) وقصة شطيح وشق أيضا مشهورة في كتب السيرة النبوة كما ورد قصص كثير حول الكهانة عند العرب، وكانت بعض الجن تبشر بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا الذي كان يذكر بعضه من أسلم من هؤلاء الكهان، من ذلك ما جاء في عيون الأثر عن جنب جنبا وهي بطن من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتشر في العرب قالت له جنب أنظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا إليه في أسفل جبل فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس له فرفع رأسه إلى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال أيها الناس إن الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء. والخبار في هذا كثيرة.. (عيون الأثر - (ج ١ / ص ١٠٩).

(١) شرح النووي على مسلم - (ج ٢ / ص ١٩٧).

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَرَّافِينَ كُفَّانَ الْعَجَمِ، فَمَنْ أَتَى كَاهِنًا يُؤْمِنُ لَهُ بِمَا يَقُولُ فَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(١).

نقل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يبين عاقبة الكهانة:

ذكر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاقبة الكهانة وأنها خروج عن دين النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفر به قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ سَاحِرًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(٢).

سؤال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكهانة:

إن من احتساب الصحابة على الكهانة والكهان حرصهم على سؤال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكهان وحكم إتيانهم وعن سبب صدقهم، فقد سأل معاوية بن الحكم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إتيان الكهان فنهاهم وحرم ذلك عليهم، وسأل ربيعة بن كعب الأسلمي النبي كذلك، ذكرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن ناسا سألوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك فبين لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيان المبين. أخرج البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَأَلَ أَنَسُ رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُهَّانِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسُوا بِشَيْءٍ قَالُوا يَا رَسُوْلَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا فَقَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٤٢ رقم ٤٣٥٢٥) وفي المسند (٧/ ٣٩١ رقم ٢٣٩٩١)

الحكم على الإسناد: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٩/ ٢٨٠ رقم ٥٤٠٨) إسناده حسن، قال ابن حجر: في فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٩١) أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

يَخْطِفُهَا الْجِنِّي فَيَقْرُهَا فِي أُذُنٍ وَلِيَّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلُطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ
كَذِبَةٍ (١) (٢).

اعتزال الكهان والبعد عنهم:

هذا أيضا جانب من جوانب احتساب الصحابة على الكهان إذ كانوا ينفرون منهم، ويتجنبون مخالطتهم، وفي ذلك حماية للعقيدة لئلا ينخدع بهم ضعاف الإيمان والعقول، ولئلا يخلوا الشبه على العباد فإن الشبه خطافة والقلوب ضعيفة كما هي وصية السلف، ففي البعد عنهم سلامة الدين والدنيا، كما وأن مجانبتهم نوع من العقوبة والتربية لهم عليهم يعودون إلى رشدهم، ويتوبون وقد كان الصحابة ينفرون من ابن صياد ذلك الكاهن الدجال، والذي شك النبي في أمره وظن أنه الدجال وذهب يتحسس أخباره مع جمع من أصحابه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ورضي عنهم، وكان الصحابة أيضا يشكون في أمره واختلفوا في أمره فمنهم من رآه الدجال الأكبر وكان يحلف على ذلك كعمر الذي حلف بحضرة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وجابر الذي كان يراه الدجال الأكبر وبعضهم توقف في أمره، لكن عمله بالكهانة أمر متفق عليه معلوم، فقد كان كاهنا لا يشك النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في ذلك، وما يشك الصحابة، بل كان هو يتعاطى الكهانة، وكانت له همهمة وزمزمة، فكان اشتغاله بالكهانة سبب للاعتقاد أنه الدجال، فتحاشاه أصحاب

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب المعارض حديث رقم ٥٧٤٥، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان حديث رقم ٤١٣٥.
(٢) فتح الباري لابن حجر (ج ١٦ / ص ٢٩٤).

النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وحدث أبا سعيد الخدري بقتل نفسه، وهذا درس للمحتسبين وللموحدين ألا يجالسوا هؤلاء، وألا يصاحبوهم، وأن يفروا منهم فرارهم من الأسد، بل أعظم من فرارهم من الأسد؛ لأن الأسد قد يذهب بالحياة الدنيا أما هؤلاء فهم يذهبون بالدنيا والآخرة.

أخرج مسلم من حديث عن أبي سعيد الخدري قال صحبت ابن صائد إلى مكة فقال لي اما قد لقيت من الناس يزعمون أنني الدجال ألسنت سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول انه لا يولد له قال قلت بلى قال فقد ولد لي أو ليس سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول لا يدخل المدينة ولا مكة قلت بلى قال فقد ولدت بالمدينة وهذا انا اريد مكة قال ثم قال لي في آخر قوله اما والله اني لا علم مولده ومكانه وأين هو قال فلبسني^(١)، فابن صياد ومع سوجه أدلته على أنه ليس هو الدجال كان الصحابة يتحاشونه ويتعدون عنه فإن لم يكن هو الدجال الأكبر فإنه لكاهن يزعم وله رأي من الجن من غير شك منهم في ذلك ولا نكير من ابن صياد نفسه.

وفي رواية عن أبي سعيد أيضا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: خرجنا حجاجا أو عمارا ومعنا ابن صائد قال فنزلنا منزلا ففرق الناس وبقيت انا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه قال وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعى فقلت: إن الحر شديد

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب ذكر ابن صياد حديث رقم ٥٢٠٩.

فلو وضعته تحت تلك الشجرة قال ففعل قال فرفعت لنا غنم فانطلق فجاء بعس^(١) فقال اشرب ابا سعيد فقلت ان الحر شديد واللبن حار مابى الا انى اكره ان اشرب عن يده أو قال آخذ عن يده فقال ابا سعيد لقد هممت ان آخذ حبلا فاعلقه بشجرة ثم اختنق مما يقول لى الناس يا ابا سعيد من خفى عليه حديث رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ما خفى عليكم معشر الانصار ألسنت من اعلم الناس بحديث رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أليس قد قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** هو كافر وانا مسلم أو ليس قد قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدئى بالمدينة أو ليس قد قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لا يدخل المدينة ولا مكة وقد اقبلت من المدينة وانا اريد مكة قال أبو سعيد الخدرى حتى كدت ان اعذره ثم قال اما والله انى لاعرفه واعرف مولده واين هو الآن قال قلت له تبا لك سائر^(٢)، اليوم .يبين ابن صياد هنا ما وصل إليه حاله وما وصلت إليه نفسه من الضيق لابتعاد أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** وهذا درس لكل محتسب ولكل موحد ألا يكون له من هؤلاء خليلا ولا مجالسا ولا مؤاكلا، وقد تحاشى أبو سعيد **رضي الله عنه** أن يشرب من يديه شربة لبن، وكره الجلوس معه وقد جمعته الطريق على غير اختيار منه **رضي الله عنه**. قال الكشميري: قوله: وقد ثبت ذهاب ابن الصياد إلى مكة مع أبي سعيد في حديث الباب، وثبت بسند صحيح أن ابن عمر

(١) بعس: بضم العين، وهو: القدح الكبير. تبا: أي: خسرانا وهلاكنا، وهو منصوب بفعل واجب الاضمار.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر ابن صياد حديث رقم ٥٢١١.

غضب علي ابن صياد وضربه بالعصا.

قوله: (لا تحل له مكة إلخ) قيل: إن المراد به عدم دخوله مكة والمدينة هو بعد خروجه دجالاً، ويجوز دخوله قبل الخروج ولكن الأرجح أن ابن الصياد ليس بالدجال الكبير الموعود، نعم أحواله مختلطة ومشبهة مع أحوال الدجال الكبير ولعله دجال صغير.

قوله: (تنام عيناه إلخ) هذه علامة الكاهن. قوله: (له همهمة إلخ) هذه أيضاً من علامات الكهانة^(١).

عمر وسواد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والاحتساب بكشف الكهانة:

لقد احتسب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الكهانة فكشفوها للناس وبنوا اعتمادها على الجن، وأنها ليست بعلم غيب، وأن أمرها في غاية الهوان وأنهم من هوانها تركوها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقنعوا بما جاء به الإسلام، جاء في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر قال ما سمعت عمر لشيء قط يقول إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم علي الرجل فدعي له فقال له ذلك فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ما جاءتك به جنتك قال بينما أنا يوماً في السوق جاءني أعرف فيها الفرع فقالت ألم تر

(١) العرف الشذي للكشميري - (ج ٣ / ص ٣٦٥)، مطبعة سعيد كميني، باكستان.

الْجِنَّ وَإِبْلَاسَهَا وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ انْكَاسِهَا وَلُحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسِهَا قَالَ عُمَرُ
صَدَقَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجَلٍ فَذَبَحَهُ فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لَمْ
أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يَقُولُ يَا جَلِيحُ أَمْرٌ نَجِيحٌ رَجُلٌ فَصِيحٌ يَقُولُ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَوَثَبَ الْقَوْمُ قُلْتُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا ثُمَّ نَادَى يَا جَلِيحُ أَمْرٌ
نَجِيحٌ رَجُلٌ فَصِيحٌ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقُمْتُ فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيلَ هَذَا نَبِيٍّ ^(١).

قال ابن حجر: قوله: (إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ) هُوَ سَوَادٌ -بِفَتْحِ الْمُهِمْلَةِ
وَتَخْفِيفِ الْوَاوِ وَآخِرُهُ مُهِمْلَةٌ- ابْنُ قَارِبٍ بِالْقَافِ وَالْمَوْحَدَةِ، وَهُوَ سَدُوسِيٌّ أَوْ
دُوسِيٌّ. وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ وَغَيْرُهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ قَالَ: «دَخَلَ
رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ سَوَادٌ بَنُ قَارِبِ السَّدُوسِيِّ عَلَى عُمَرَ، فَقَالَ. يَا سَوَادُ أُنْشِدُكَ اللَّهَ،
هَلْ تَحْسِنُ مِنْ كِهَانَتِكَ شَيْئًا» فَذَكَرَ الْقِصَّةَ. وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمَا
مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ قَالَ: «بَيْنَمَا عُمَرُ قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ» فَذَكَرَ
مِثْلَ سِيَاقِ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَتَمَّ مِنْهُ، وَهُمَا طَرِيقَانِ مُرْسَلَانِ يُعْضَدُ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ.
وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ عَنْ سَعِيدِ
بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «أَخْبَرَنِي سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ قَالَ: كُنْتُ نَائِمًا» فَذَكَرَ قِصَّتَهُ الْأُولَى دُونَ
قِصَّتِهِ مَعَ عُمَرَ. وَهَذَا إِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ عَلَى تَأْخُرِ وَفَاتِهِ، لَكِنَّ عَبَّادًا ضَعِيفًا. وَلِابْنِ
شَاهِينَ مِنْ طَرِيقِ أُخْرَى ضَعِيفَةٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ دُوسٍ يُقَالُ لَهُ

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حديث رقم

سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَذَكَرَ قِصَّتَهُ أَيُّضًا، وَهَذِهِ الطُّرُقُ يَقْوَى بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَلَهُ طُرُقٌ أُخْرَى سَأَذْكَرُ مَا فِيهَا مِنْ فَائِدَةٍ.

قَوْلُهُ: (لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي) فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ «لَقَدْ كُنْتُ ذَا فَرَاسَةٍ، وَلَيْسَ لِي الْآنَ رَأْيٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الرَّجُلُ يَنْظُرُ فِي الْكِهَانَةِ». (عَلَى دِينِ قَوْمِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) أَيِ مُسْتَمِرٍّ عَلَى عِبَادَةِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. (أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنَهُمْ) أَيِ كَانَ كَاهِنَ قَوْمِهِ. وَحَاصِلُهُ أَنَّ عُمَرَ ظَنَّ شَيْئًا مُتَرَدِّدًا بَيْنَ شَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ كَأَنَّهُ قَالَ: هَذَا الظَّنُّ إِمَّا خَطَأٌ أَوْ صَوَابٌ فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَهَذَا الْآنَ إِمَّا بَاقٍ عَلَى كُفْرِهِ وَإِمَّا كَانَ كَاهِنًا، وَقَدْ أَظْهَرَ الْحَالُ الْقِسْمَ الْأَخِيرَ، وَكَأَنَّهُ ظَهَرَتْ لَهُ مِنْ صِفَةِ مَشْيِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ قَرِينَةٌ أَثَرَتْ لَهُ ذَلِكَ الظَّنُّ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَوْلُهُ: (عَلَيَّ الرَّجُلُ) بِالنَّصْبِ أَيِ أَحْضَرُوهُ إِلَيَّ وَقَرَّبُوهُ مِنِّي. قَوْلُهُ: (فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ) أَيِ مَا قَالَهُ فِي غَيْبَتِهِ مِنَ التَّرَدُّدِ. وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدَ بْنِ كَعْبٍ «فَقَالَ لَهُ فَأَنْتَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ كِهَانَتِكَ» فَغَضِبَ، وَهَذَا مِنْ تَلَطُّفِ عُمَرَ، لِأَنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى أَحْسَنِ الْأَمْرَيْنِ. قَوْلُهُ: (مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ) أَيِ رَأَيْتُ شَيْئًا مِثْلَ مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ. قَوْلُهُ: (أُسْتَقْبِلَ) بِضَمِّ التَّاءِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ. قَوْلُهُ: (رَجُلٌ مُسْلِمٌ) وَبَيَّنَّهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي رِوَايَةِ مُرْسَلَةٍ «قَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَا لَنَا وَلِذِكْرِ الْجَاهِلِيَّةِ». قَوْلُهُ: (فَإِنِّي أَعَزِمُ عَلَيْكَ) أَيِ أُلْزِمُكَ، وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدَ بْنِ كَعْبٍ «مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ أَعْظَمَ مِمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ كِهَانَتِكَ». قَوْلُهُ: (إِلَّا أَخْبَرْتَنِي) أَيِ مَا أَطْلُبُ مِنْكَ إِلَّا الْإِخْبَارَ. قَوْلُهُ: (كُنْتُ كَاهِنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) وَالْكَاهِنُ الَّذِي يَتَعَاطَى الْخَبَرَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُغَيَّبَةِ،

وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَثِيرًا، فَمُعْظَمُهُمْ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى تَابِعِهِ مِنَ الْجِنِّ، وَبَعْضُهُمْ كَانَ يَدْعِي مَعْرِفَةَ ذَلِكَ بِمُقَدِّمَاتٍ أَسْبَابٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى مَوَاقِعِهَا مِنْ كَلَامٍ مَنْ يَسْأَلُهُ، وَهَذَا الْأَخِيرُ يُسَمَّى الْعَرَّافِ بِالْمُهْمَلَتَيْنِ. وَلَقَدْ تَلَطَّفَ سَوَادٌ فِي الْجَوَابِ إِذْ كَانَ سُؤَالُ عُمَرَ عَنْ حَالِهِ فِي كِهَانَتِهِ إِذْ كَانَ مِنْ أَمْرِ الشُّرْكِ، فَلَمَّا أَلْزَمَهُ أَخْبَرَهُ بِأَخْرِ شَيْءٍ وَقَعَ لَهُ لِمَا تَضَمَّنَ مِنَ الْإِعْلَامِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَانَ سَبَبًا لِإِسْلَامِهِ.

قَوْلُهُ: (جِنِّيَّتِكَ) بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالنُّونِ الثَّقِيلَةِ أَيْ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْجِنِّ كَأَنَّهُ أَنْتَ تَحْقِيرًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَرَفَ أَنَّ تَابِعَ سَوَادٍ مِنْهُمْ كَانَ أَثْنَى، أَوْ هُوَ كَمَا يُقَالُ تَابِعَ الذِّكْرِ يَكُونُ أَثْنَى وَبِالْعَكْسِ. قَوْلُهُ: (أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَابِلَاسَهَا)، أَيْ أَنَّهَا فَقَدَتْ أَمْرًا فَشَرَعَتْ تُفْتَشُ عَلَيْهِ. قَوْلُهُ: (وَيَأْسُهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا) الْيَأْسُ بِالتَّحْتَانِيَّةِ ضِدُّ الرَّجَاءِ وَالْإِنْكَاسُ الْإِنْقِلَابُ، قَالَ ابْنُ قَارِسٍ: مَعْنَاهُ أَنَّهَا يَبْسُتُ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَدْ أَلْفَتْهُ، فَانْقَلَبَتْ عَنِ الْاسْتِرَاقِ قَدْ يَبْسُتُ مِنَ السَّمْعِ، وَوَقَعَ فِي شَرْحِ الدَّأُوْدِيِّ بِتَقْدِيمِ السَّيْنِ عَلَى الْكَافِ، وَفَسَّرَهُ بِأَنَّهُ الْمَكَانَ الَّذِي أَلْفَتْهُ، قَالَ: وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ « مِنْ بَعْدِ إِيْنَاسِهَا » أَيْ أَنَّهَا كَانَتْ أَنْسَتْ بِالْإِسْتِرَاقِ، وَلَمْ أَرِ مَا قَالَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ، وَقَدْ شَرَحَ الْكَرْمَانِيُّ عَلَى اللَّفْظِ الْأَوَّلِ الَّذِي ذَكَرَهُ الدَّأُوْدِيُّ وَقَالَ: الْإِنْسَاكُ جَمْعُ نُسْكَ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْعِبَادَةُ، وَلَمْ أَرِ هَذَا الْقَسِيمَ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ. وَزَادَ فِي رِوَايَةِ الْبَاقِرِ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَكَذَا عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ مَوْضُولًا مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ بَعْدَ قَوْلِهِ « وَأَحْلَاسَهَا »:

تَهْوِي إِلَى مَكَّة تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُوهَا مِثْلَ أَرْجَاسِهَا
فَاسْمِ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَاسْمِ بَعَيْنَيْكَ إِلَى رَأْسِهَا
وَفِي رِوَايَتِهِمْ أَنَّ الْجَنِّيَّ عَاوَدَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَنْشُدُهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مَعَ تَغْيِيرِ قَوَافِيهَا.
وَفِي الرِّوَايَةِ الْمُرْسَلَةِ قَالَ: «فَارْتَعَدْتُ فَرَائِصِي حَتَّى وَقَعْتُ»، وَعِنْدَهُمْ جَمِيعًا
أَنَّهُ لَمَّا أَصْبَحَ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ هَاجَرَ، فَأَتَاهُ
فَأَنْشَدَهُ أَبْيَاتًا يَقُولُ فِيهَا:

أَتَانِي رُئُى بَعْدَ لَيْلٍ وَهَجَعَةٍ وَلَمْ يَكْ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَادِبٍ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ نَبِيٌّ مِنْ لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبٍ
وَيَقُولُ فِي آخِرِهَا:

فَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ
وَفِي آخِرِ الرِّوَايَةِ الْمُرْسَلَةِ «فَالْتَزَمَهُ عُمَرُ وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا
مِنْكَ».

(قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ، بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ آلِهِتِهِمْ) ظَاهِرُ هَذَا أَنَّ الَّذِي قَصَّ الْقِصَّةَ الثَّانِيَةَ
هُوَ عُمَرُ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِ أَنَّ الَّذِي قَصَّهَا هُوَ سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ، وَلَفْظُ
ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ قَالَ: «لَقَدْ رَأَى عُمَرُ رَجُلًا - فَذَكَرَ الْقِصَّةَ - قَالَ فَأَخْبَرَنِي
عَنْ بَعْضِ مَا رَأَيْتَ، قَالَ: إِنِّي ذَاتَ لَيْلَةٍ بِوَادٍ إِذْ سَمِعْتُ صَائِحًا يَقُولُ: يَا جَلِيحُ،
خَبِّرْ نَجِيحُ، رَجُلٌ فَصِيحُ، يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَإِبْلَاسِهَا» فَذَكَرَ

الْقِصَّة، ثُمَّ سَاقَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى مُرْسَلَةً قَالَ: « مَرَّ عُمَرُ بِرَجُلٍ فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ هَذَا كَاهِنًا » الْحَدِيثُ وَفِيهِ « فَقَالَ عُمَرُ أَخْبِرْنِي، فَقَالَ: نَعَمْ، بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ قَالَتْ لِي: أَلَمْ تَرَ إِلَى الشَّيَاطِينِ وَإِبْلَاسِهَا » الْحَدِيثُ « قَالَ عُمَرُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: أَتَيْتَ مَكَّةَ فَإِذَا بِرَجُلٍ عِنْدَ تِلْكَ الْأَنْصَابِ « فَذَكَرَ قِصَّةَ الْعِجْلِ، وَهَذَا يَحْتَمِلُ فِيهِ مَا أُحْتَمِلَ فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنْ يَكُونَ الْقَائِلُ « أَتَيْتَ مَكَّةَ » هُوَ عُمَرُ أَوْ صَاحِبُ الْقِصَّةِ.

(تَنْبِيهَانِ):

أَحَدُهُمَا: ذَكَرَ ابْنُ التِّينِ أَنَّ الَّذِي سَمِعَهُ سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ مِنَ الْجَنِّيِّ كَانَ مِنْ أَثَرِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ، وَفِي جَزْمِهِ بِذَلِكَ نَظَرٌ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَثَرِ مَنَعَ الْجِنِّ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ، وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي الصَّلَاةِ وَيَأْتِي فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْجِنِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بُعِثَ مَنَعَ الْجِنِّ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ، فَضَرَبُوا الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْحَثُونَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، حَتَّى رَأَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ » الْحَدِيثُ.

(التَّنْبِيهِ الثَّانِي):

لَمَحَ الْمُصَنِّفُ بِإِرَادِ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي «بَابِ إِسْلَامِ عُمَرَ» بِمَا جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ عَنْ عُمَرَ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ سَبَبَ إِسْلَامِهِ،، فَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» أَنَّ أَبَا جَهْلٍ « جَعَلَ لِمَنْ يَقْتُلُ مُحَمَّدًا مِائَةَ نَاقَةٍ، قَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ الضَّمَانُ صَحِيحٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَتَقَلَّدْتُ سَيْفِي أُرِيدُهُ، فَمَرَرْتُ عَلَى

عَجَل وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَذْبَحُوهُ، فَقُمْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِ الْعِجْلِ: يَا آلَ ذَرِيحَ، أَمْرٌ نَجِيحٌ، رَجُلٌ يَصِيحُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ. قَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا يُرَادُ بِهِ إِلَّا أَنَا، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى أُخْتِي فَإِذَا عِنْدَهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ «فَذَكَرَ الْقِصَّةَ فِي سَبَبِ إِسْلَامِهِ بِطُولِهَا، وَتَأَمَّلْتُ مَا فِي إِيْرَادِهِ حَدِيثَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ الَّذِي بَعْدَ هَذَا»^(١).

ويمكن أن يؤخذ من قول سواد: (جاء الاسلام) عدم اعتداد الصحابة بأمر الكهانة بعد الاسلام، وإن كان لهم معها تجارب صدق ومواقف محمودة لهم، كانت سببا في هدايتهم إلى الاسلام، واراد عمر أن يسمع الناس هذا، وأن يعتبروا، وأن يكونوا على علم ومعرفة بهذه الامور حتى يحذروها، ولا يسبب ذلك فتنة كما يحدث الان من أمر ما يسمى بالنبوءات والتوقعات ولذلك قرنها عمر بأمر الشرك فقال ما كنا عليه من الشرك أشد، وهو الذي قال: قد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب، فقام إليه رجل من المسلمين فقال: متى يهلمون يا أمير المؤمنين؟ قال: حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية، ولم يصحب الرسول ﷺ^(٢)، ويذكره كثير من أهل العلم بلفظ: إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشا في الاسلام من لا يعرف الجاهلية).

ومن هذا الباب أيضا (خبر مازن بن الغضوبة) الذي جاء في كتب السير عن

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، ج ١٠ ص ٢٨ حديث ٧١١٩ والأثر صحيح.

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حديث رقم

عبدالله العماني عن مازن بن الغضوبة قال كنت أسدن صنما بسمال قرية بعمان فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهى الذبيحة فسمعنا صوتا من الصنم يقول: يا مازن إسمع تسر * ظهر خير وبطن شر * بعث نبى من مضر بدين الله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر^(١).

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحذر الشديد من كسب الكهان:

لقد جرى لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصة تبين مدى حرص أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على البعد عن الكهانة، والحذر من كسب من يتكهن، وهو نوع من الاحتساب العملي، الذي فيه ردع لهؤلاء الكهان وهو من نوع الابتعاد عن هؤلاء والحذر منهم والحذر من مخالطتهم، وذوق طعامهم، وخاصة إذا كان هذا العزوف عن طعامهم من خيار عباد الله، وإن هؤلاء يتبعه ما يكون فيه من إجابة دعوة فإذا تكهن متكهن لم يذهب الناس إليه في وليمة ولا عقيقة ولا يستجيب أحد لدعوته ممن يحب الله تعالى وسوله ويعظمهما، وكذا رد هداياه وعطاياه فيصير منبوذا، أخرج البخاري عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجِه فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام أتدري ما هذا فقال أبو بكر وما هو قال كنت تكهنت لأنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أنني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل

(١) القصة طويلة في عيون الأثر - (ج ١ / ص ١٠٤).

شَيْءٌ فِي بَطْنِهِ ^(١).

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبيانه خطر الكهانة:

عن عبد الله بن مسعود قال من أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢).

قتال الصحابة لأدعياء النبوة، وهم كهان لهم رئي من الجن:

لقد قاتل الصحابة رضوان الله عليهم إدعياء النبوة وهم كانوا كهانا تعينهم الجن وتضلهم وتضل بهم، ذكر سيف بن عمر عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، قال: أول ردة كانت من الأسود العنسي، واسمه عبهلة بن كعب وكان يقال له ذو الخمار لأنه زعم أن الذي يأتيه ذو خمار. ومسيلمة اسمه ثمامة بن قيس، وكان يقال له رحمان، لأن الذي كان يأتيه يزعمه رحمان. وطليحة بن خويلد الأسدي كان يقال: إن الذي يأتيه ذو النون. وكلهم ظهر قبل وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، حديث رقم ٣٥٥٤.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي - (ج ٨ / ص ١٣٦) تقدم تخريجه.

المطلب الثاني: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم على الشياطين أعوان السحرة والكهان والعرافين

لقد كان أمر أصحاب النبي ﷺ عجباً، لقد قاموا بأمر الله كما يحب، وساروا على درب النبي ﷺ كما يجب، فأمدهم الله بمدد منه تعالى، ومكن لهم في الأرض لما سعوا التمكين دينه في الأرض فسخر لهم البحر يسرون عليه وأسمع أصواتهم على بعد المسافة كما في قول عمر يا سارية الجبل، وغير ذلك من الأمور التي أكرمهم الله به إذ أكرموا نبيه ﷺ وقدموه على كل أحد حتى على نفوسهم وآبائهم وامهاتهم وفلذات أكبادهم وبذلوا مهجهم في حبه ﷺ وأعطوا كل طريف وتالد لنصرته ﷺ وكان من هذه الأمور العجيبة أن مكنهم ﷺ من الشياطين، نعم أيها المحتسب السائر على درب النبي وصحبه الكرام، لقد أسر الصحابة الشياطين، وهؤلاء الشياطين يعينون السحرة ويعينون الكهان وقد يسرقون أموال الناس ويفسدونها، لقد أسر الصحابة الشياطين الذين أرادوا أن يسرق الأموال أو يفسدوها، فانظر يا رعاك الله أولئك سلفك الصالح بإيمانهم القوي استطاعوا أسر الشياطين الذين هم أعوان السحرة والكهان، والذين هم أولياء أولئك الأشرار ومع ذلك غلبوهم فكيف يعجز المحتسب المجاهد والمؤمن الموحد عن هزيمة أتباعهم من السحرة والكهان.

أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأسر الشيطان السارق أموال الزكاة:

لقد تعلم المسلمون من قصة أبي هريرة دروسا عظيمة، منها شدة إيمان الصحابة وعظيم تصديقهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقينهم في خبره وتعلم المسلمون قوة إيمان الصحابة وعظيم جهادهم حتى على الجن، وأن الجن هزموا من الصحابة بل وأسروا، ثم علمت القصة المسلمين ما يتحصنون به من شياطين الإنس وشياطين الجن.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَاتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَا أَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَا أَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ

يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلِّتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلِّتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ^(١).

أسر أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للجن المفسد تمره:

كما أسر أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك الشيطان الذي الذي كان يسرق من أموال الصدقة، فإن أبا أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أسر أيضا شيطانا كان يفسد تمره، وقد امره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ان يكمن لها ثم يعزم عليها إجابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكمن له ثم مكنه الله منه لكنها دله على ما يحصن به نفسه وماله فتركه وأخبر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في سنن الترمذي من حديث أبي أيوب الأنصاري أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ سَهْوَةٌ فِيهَا

(١) صحيح البخاري (كتاب الزكاة باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى) جاز ٣/ ١٠١ رقم (٢٣١١).

تَمُرُّ فَكَانَتْ تَجِيءُ الْغُولُ فَتَأْخُذُ مِنْهُ قَالَ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَادْهَبْ فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَخَذَهَا فَحَلَفْتُ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قَالَ حَلَفْتُ أَنْ لَا تَعُودَ فَقَالَ كَذَبْتَ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ قَالَ فَأَخَذَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَحَلَفْتُ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قَالَ حَلَفْتُ أَنْ لَا تَعُودَ فَقَالَ كَذَبْتَ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ فَأَخَذَهَا فَقَالَ مَا أَنَا بِتَارِكِكَ حَتَّى أَذْهَبَ بِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي ذَاكِرَةٌ لَكَ شَيْئًا آيَةُ الْكُرْسِيِّ اقْرَأْهَا فِي بَيْتِكَ فَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ وَلَا غَيْرُهُ قَالَ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قَالَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ قَالَ صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ^(١).

(١) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن: ٥/ ٩ رقم ٢٨٨٠ قال الشيخ الألباني: صحيح لغيره. (صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٨٧ رقم ١٤٦٩) في هامش مصنف عبد الرزاق - (ج ٥ / ص ١٦٠) « غول » وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تترأى للناس فتتغول تغولا، أي تتلون تلونا في صور شتى، وتغولهم: أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: « لا غول ولا صفر » وأبطله، وقيل قوله: « لا غول » ليس نفيا لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: « لا غول » أنها لا تستطيع أن تضل أحدا، ويشهد له الحديث « لا غول ولكن السعالى » والسعالى سحرة الجن، أي ولكن في الجن سحرة لهم تليس وتخيل. النهاية ٣: ١٩٠ وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله يقول: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا عَدَوِي وَلَا صَفْرَ وَلَا غُولَ وَسَمِعْتُ أَبَا الزُّبَيْرِ يَذْكُرُ أَنَّ جَابِرًا فَسَّرَ لَهُمْ قَوْلَهُ وَلَا صَفْرَ فَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ الصَّفْرُ الْبَطْنُ فَقِيلَ لَجَابِرٍ كَيْفَ قَالَ كَانَ يُقَالُ دَوَابُّ الْبَطْنِ قَالَ وَلَمْ يُفَسِّرِ الْغُولَ قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ هَذِهِ الْغُولُ الَّتِي تَغُولُ. وفي مسند أحمد - (ج ٣٠ / ص ١٢٠) وَسَمِعْتُ أَبَا الزُّبَيْرِ يَذْكُرُ أَنَّ جَابِرًا فَسَّرَ لَهُمْ

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كَانَ لِي نَخْلٌ فِي سَهْوَةٍ لِي، فَجَعَلْتُ أَرَاهُ يَنْقُصُ مِنْهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّكَ سَتَجِدُ فِيهِ غَدًا هِرَّةً فَقُلْتُ: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ وَجَدْتُ فِيهِ هِرَّةً، فَقُلْتُ: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَتَحَوَّلْتُ عَجُوزًا، وَقَالَتْ: أَذْكُرُكَ اللَّهُ لَمَّا تَرَكْتَنِي، فَإِنِّي غَيْرُ عَائِدَةٍ، فَتَرَكْتُهَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ الرَّجُلُ وَأَسِيرُهُ؟، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَهَا، فَقَالَ: كَذَبْتَ هِيَ عَائِدَةٌ، فَقُلْتُ لَهَا: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَتَحَوَّلْتُ عَجُوزًا، فَقَالَتْ: أَذْكُرُكَ اللَّهُ يَا أَبَا أَيُّوبَ لَمَّا تَرَكْتَنِي هَذِهِ الْمَرَّةَ، فَإِنِّي غَيْرُ عَائِدَةٍ فَتَرَكْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي كَمَا قَالَ لِي، فَقُلْتُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَتْ لِي فِي الثَّلَاثَةِ: أَذْكُرُكَ اللَّهُ يَا أَبَا أَيُّوبَ لَمَّا تَرَكْتَنِي حَتَّى أُعَلِّمَكَ شَيْئًا لَا يَسْمَعُهُ شَيْطَانٌ فَيَدْخُلُ ذَلِكَ الْبَيْتَ، فَقُلْتُ: مَا هُوَ؟ فَقَالَتْ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، لَا يَسْمَعُهَا شَيْطَانٌ إِلَّا ذَهَبَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: صَدَقْتَ وَإِنْ كَانَتْ كَذُوبًا^(١).

وفي رواية عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: أَصَبْتُ جَنِيَّةً، فَقَالَتْ لِي: دَعْنِي وَلَكَ عَلَيَّ أَنْ أُعَلِّمَكَ شَيْئًا إِذَا قُلْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ مِنْهَا أَحَدٌ، قَالَ: قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَتْ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢) فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:

قَوْلُهُ لَا صَفَرَ فَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ الصَّفَرُ الْبَطْنُ قِيلَ لِجَابِرٍ كَيْفَ هَذَا الْقَوْلُ فَقَالَ دَوَابُّ الْبَطْنِ قَالَ وَلَمْ يُفَسِّرِ الْغُولُ قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ مِنْ قِبَلِهِ هَذَا الْغُولُ الشَّيْطَانَةُ الَّتِي يَقُولُونَ.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير - (٤/١٦٢ رقم ٣٩١٣).

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ^(١).

وفي رواية عن أبي أيوب، قال: كُنْتُ مُؤَذِّي بِسَامِرِ الْبَيْتِ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَكَانَتْ رَوْزَنَةٌ فِي بَيْتِ لَنَا، فَقَالَ: ارْصُدْهُ فَإِذَا أَنْتَ عَايَنْتَ شَيْئًا، فَقُلْ: اخْسَ يَدْعُوكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَرَصَدْتُ فَإِذَا شَيْءٌ قَدْ تَدَلَّى مِنْ رَوْزَنَةٍ، فَوَثَبْتُ إِلَيْهِ، وَقُلْتُ: اخْسَ يَدْعُوكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذْتُهُ، فَتَضَرَّعَ إِلَيَّ، وَقَالَ لِي: لَا أَعُودُ، قَالَ: فَأَرْسَلْتُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي كَانَ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيَعُودُ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلَّ ذَلِكَ أَخَذَهُ وَأَخْبَرُ النَّبِيَّ ﷺ بِالَّذِي كَانَ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِمُفَارِقِي حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَنَاشِدَنِي وَتَضَرَّعَ إِلَيَّ، وَقَالَ: أَعْلَمُكَ شَيْئًا إِذَا قُلْتُهُ مِنْ لَيْلَتِكَ لَمْ يَقْرَبَكَ جَانٌّ وَلَا لِصٌّ، قَالَ: تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، قَالَ: فَأَرْسَلْتُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاشِدَنِي وَتَضَرَّعَ إِلَيَّ حَتَّى رَحِمْتُهُ وَعَلَّمَنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَقْرَبَنِي جَنْ وَلَا لِصٌّ، قَالَ: صَدَقَ وَإِنْ كَانَ كَذُوبًا^(٢).

ابن عباس وبيانه أن الذهاب الى الكهان تحاكم الى الطواغيت:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان أبو بردة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود،

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤ / ٢٢٠ رقم ٤٠١٣).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤ / ٢٢٠ رقم ٤٠١٤) تقدم تخريجه.

فتنافروا إليه أناس من أسلم من اليهود فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(١).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ٣٧٣ رقم ١٢٠٤٥) قال السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٥٨٠) أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس. جاء في أثر ضعيف بيان أبي الدرداء لسوء عاقبة الكهانة، نسوقه على سبيل الحكاية لا الاستدلال. عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء، قال: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرى الخير يعطه، ومن يتوقى الشر يوقه، وثلاثة لا ينالون الدرجات العلى: من تكهن أو استقسم، أو رجع من سفره طيرة» أخرجه أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى»: (ص: ٢٧٠ / برقم: ٣٨٥) وفي «شعب الإيمان»: (٧ / ٣٩٨ / ١٠٧٣٩) عن أبي عبد الله محمد بن الفضل بن زَيْد المُرِّي، حدثنا أبو الفضل العباس بن محمد بن نصر الرافقي إملاءً، حدثنا هلال بن هلال، حدثنا أبي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة الكندي، عن أبي الدرداء به بلفظه موقوفاً. وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (١٨ / ٩٨) من طريق أبي نعيم، حدثنا عبيد الله بن عمرو، بمثله.

الحكم على الإسناد: إسناده منقطع؛ حيث لم يسمع رجاء بن حيوة من أبي الدرداء رضي الله عنه. رجاء بن حيوة بن جرول. ويقال: جندل بن الأحنف الكندي، أبو المقدام. ويقال: أبو نصر الفلسطيني. قال ابن حجر: ثقة فقيه، وروايته عن أبي الدرداء مرسلة. توفي سنة ١١٢ هـ. «تهذيب التهذيب»: (٣ / ٢٢٩ / ٥٠٠)، «تقريب التهذيب»: (ص: ٢٠٨ / برقم: ١٩٢٠)، «تحفة التحصيل»: (ص: ١٠٥).

المبحث الثالث: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على التنجيم والمنجمين

إن العباد حينما يضلون ويجهلون ربهم ويتركون عبادته يتعلقون بغيره تعالى وخافوا كل شيء واستجاروا بكل شيء وقد جاء عنهم أنهم كانوا إذا نزلوا منزلاً تعلقوا بالجن فقيولون نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائهم، ومما كانوا يتعلقون به النجوم فيربطون سعدهم ونحسهم بها وميلاد العظماء ووفاتهم، وأنها تمنح المطر أو تمنع، أما المؤمن فإنما يتعلق بربه تعالى ويطلب الخير منه ويعلم أن النجوم والكواكب خلق من خلق الله يسخرها الله كيف يشاء، وأنها جمادات لا تملك لأحد نفعا ولا ضرا ولا تعطي شيئا ولا تمنع، وقد احتسب الصحابة على التنجيم والمنجمين فبينوا شيئا من حكمة خلق النجوم، وبينوا أن الله هو الذي يعطي ويمنع سبحانه وفي هذا المبحث إشارة إلى احتساب الصحابة في هذا الباب، وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول احتساب الصحابة العملي على التنجيم.

المطلب الثاني احتساب الصحابة القولية على التنجيم.

المطلب الأول: احتساب الصحابة العملي على التنجيم

لقد احتسب الصحابة عملياً على التنجيم وتجلّى ذلك من خلال ما يلي:

أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإعلان أن المطر بفضل الله وذلك عند نزوله:

جاء في الموطأ حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ وَقَدْ مُطِرَ النَّاسُ مُطْرِنًا بِنَوْءِ الْفَتْحِ ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ قال في المنتقى شارحاً قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ يَقُولُ مُطْرِنًا بِنَوْءِ الْفَتْحِ مُضَادَّةً لِقَوْلِ أَهْلِ الْإِلْحَادِ مُطْرِنًا بِنَوْءِ كَذَا فَيَقُولُ هُوَ مُطْرِنًا بِنَوْءِ الْفَتْحِ يُرِيدُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا نَوْءَ يُنْزِلُ الْمَطَرَ وَلَا يُنْزِلُ بِهِ وَأَنَّ الَّذِي بِهِ يُنْزِلُ الْمَطَرَ هُوَ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّحْمَةَ لِلنَّاسِ ^(١).

(١) المنتقى شرح الموطأ - (ج ١ / ص ٤٦٢) وقد وردت آثار ضعيفة فيها كلام حكيم في أمر النجوم نسوقها كما ذكرنا مراراً على سبيل الحكاية لا الاستدلال، عن ميمون بن مهران قال: صحبت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عشرين سنة، فلما حضرته الوفاة قلت له: أوصني قال: «أوصيك بثلاث خصال فاحفظهم عني: لا تخاصم أهل القدر فيؤثموك، ولا تعلم النجوم فيدعوك إلى الكهانة، ولا تسب السلف فيكذبك الله تعالى على وجهك في النار». أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (ج ٤ / ص ٢٩٣ رقم ١٦٣٧ وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٤/ ٣١٠ رقم ١٩٨٧) وإسناده ضعيف، لضعف لأن إسماعيل بن عياش ضعيف في روايته عن غير أهل بلده، وهذا منها، وقد تفرد به ولم يتابع. وعن سعيد بن جبير، قال: «جاء رجل إلى عبد الله بن عباس فقال: يا أبا عباس أوصني، فقال: «أوصيك بتقوى الله، وإياك وذكر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنك لا تدري ما سبق لهم من الفضل، وإياك وعمل النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر، فإنها تدعوا إلى كهانة، وإياك ومجالسة الذين يكذبون بالقدر، ومن أحب أن تستجاب دعوته وأن يزكى عمله

ويقبل منه فليصدق حديثه، وليؤد أمانته وليسلم صدره للمسلمين). واسناده كالذي قبله سواء، أثر جليل عن علي فيه ضعف، وهذا أثر جليل فيه فوائد عظيمة وتوجيهات سديدة وذكرناه آخر المطلب لضعف إسناده لكن كلامه جليل وهو أشبه بكلام هؤلاء الكرام، فإن لم يكن من كلامه رضي الله عنه فلهو لعمر الله من أبدع الكلام وأحسنه جاء في بغية الحارث باب ما جاء في النظر في النجوم عن عبد الله بن عوف بن الأحمر أن مسافر بن عوف بن الأحمر قال لعلي بن أبي طالب حين انصرف من الانبار إلى أهل النهروان يا أمير المؤمنين لاتسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات مضين من النهار قال علي ولم قال لانك ان سرت في هذه الساعة أصابك أنت واصحابك بلاء وضر شديد فان سرت في الساعة التي آمرك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي ما كان لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منجم ولا لنا من بعده هل تعلم ما في بطن فرسي هذه قال ان حسبت علمت قال من صدقك بهذا القول كذب القرآن قال الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير ما كان محمد يدعي علم ما ادعيت علمه تزعم أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب السوء من سار فيها قال نعم قال من صدقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه وينبغي للمقيم بامرك أن يوليكم الامر دون الله ربه لانك أنت تزعم هديته إلى الساعة التي هو آمن السوء من سار فيها فمن آمن بهذا القول لمن آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا وضدا اللهم لا طائر الا طائرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس إياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدى بها في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدك الحبس ما بقيت وبقيت ولا حرمك العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فأتى أهل النهروان فقتلهم ثم قال لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قائل سار في الساعة التي أمرنا بها المنجم ما كان لمحمد منجم ولا لنا من بعدي فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه» أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» (٢/ ٦٠١ - ٦٠٢ رقم ٥٦٤) قال: حدثنا إبراهيم، أبو إسحاق، حدثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد، حدثنا عمر بن حسان، عن يوسف بن زيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، أن مسافر بن عوف بن الأحمر به. وهذا الأثر، فإسناده فيه مجاهيل: عمر بن حسان، و«عبد الله ومسافر» ابنا عوف بن

فهذا من الاحتساب العملي لأصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن المطر إذا نزل فإن الناس منهم من يعرف الفضل لربه ويرده إليه ويشكره تعالى، ومنهم من يرده إلى الكواكب والأنواء فكان أبو هريرة يقول إذا نزل المطر مطرنا بفضل الله الذي هو الفتاح العليم، الرزاق الكريم، فإذا جاز أن يسمى هذا نوءا فهو نوء فتحه تعالى لا نوء كذا ولا نوء كذا، فهو رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُ يربط العباد بربهم تعالى، ويرد على أهل التنجيم.

المطلب الثاني: احتساب الصحابة القولي على التنجيم

هذا باب من أبواب الاحتساب على المنجمين دخله أصحاب الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فنشروا علومًا تتعلق بأمر النجوم، وحذروا من الانشغال بعلم التنجيم.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ زَادَ مَا زَادَ^(١).

قال المناوي (من اقتبس) أي تعلم من قبست من العلم واقتبست من الشيء إذا تعلمته والقبس شعبة من النار واقتباسها الأخذ منها (علمًا من النجوم) أي من علم تأثيرها لا تسييرها فلا يناقض ما سبق من خبر تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر وقد مر التنبيه على طريق الجمع (اقتبس شعبة) أي قطعة (من السحر) المعلوم تحريمه ثم استأنف جملة أخرى بقوله (زاد ما زاد) يعني كلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثل إثم الساحر أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاده اقتباس علم النجوم، ومن زعم أن المراد زاد النبي على ما رواه ابن عباس عنه في حق علم النجوم فقد تكلف، ونكر علمًا للتقليل ومن ثم خص الاقتباس لأن فيه معنى العلة ومن النجوم صفة علمًا وفيه مبالغة، ذكره الطيبي، وذلك لأنه يحكم على الغيب الذي استأثره الله بعلمه

(١) رواه أبو داود في كتاب الطب، باب في النجوم، حديث رقم ٣٤٠٦، وصححه الألباني في الصحيحة حديث رقم ٧٩٣. السلسلة الصحيحة: (ج ٢ / ص ٢٩٢).

فعلم تأثير النجوم باطل محرم وكذا العمل بمقتضاه كالتقرب إليها بتقريب القرابين لها كفر، كذا قاله ابن رجب ^(١).

وقال السندي: قوله (مَنْ اقْتَبَسَ) تَعَلَّمَ (عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ) هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ عَنِ الْمَغِيبَاتِ وَالْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ بِوَاسِطَةِ النَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الْكَوَاكِبِ وَأَمَّا مَا يُعَلِّمُ بِهِ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَجِهَةَ الْقِبْلَةِ فَغَيْرُ دَاخِلٍ فِيهِ (شُعْبَةٌ) بِضَمِّ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ أَيُّ قِطْعَةٍ زَادَ مِنَ السَّحَرِ مَا زَادَ مِنَ النُّجُومِ وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الرَّائِي أَيُّ زَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَقْيِيسِ النُّجُومِ مَا زَادَ ^(٢).

بيان عمر رضي الله عنه للعلم النافع المتعلق بالنجوم:

بين عمر رضي الله عنه شيئاً من حكم الله في خلق النجوم، وهذا موافق لما في القرآن فقد قال ربنا وعلامات وبالنجم هم يهتدون، أما التعلق بالنجوم في غير ما خلقها الله له فهذا نهى عنه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَعْرِفُونَ بِهِ الْقِبْلَةَ وَالطَّرِيقَ ثُمَّ امْسِكُوا» ^(٣).

(١) فيض القدير - (ج ٦ / ص ١٠٤) (٨٥٠٠).

(٢) حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ٧ / ص ١٣٠) (٣٧١٦).

(٣) أخرجه المعافى بن عمران الموصلي في الزهد (١/ ٢٦٥ رقم ١٤٦) قال: حدثنا مسعر بن كدام، قال: حدثنا أبو عون، أن عمر.... به بلفظه.

دراسة إسناده:

- مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي، أبو سلمة الكوفي. ثقة ثبت عابد. توفي سنة ١٥٣ هـ، وقيل: سنة ١٥٥ هـ. «التقريب»: (ص: ٥٢٨ / برقم: ٦٦٠٥).

(وفي رواية: تعلموا من هذه النجوم ما تهتدون به في ظلمة البر والبحر، ثم أمسكوا.

تحذير ابن عباس رضي الله عنهما من استخدام حروف أبي جاد في التنجيم:

عن ابن عباس قال: إن قوما ينظرون في النجوم وفي حروف أبي جاد قال: أرى أولئك قوما لا خلاق لهم. ^(١) وعلم النجوم المذكور هنا علم التنجيم الذي يدعيه المنجمون والسحرة والمشعوذين الذين يربطون بين حياة ومستقبل الانسان وحركة النجوم زاعمين معرفتهم للغيب. أما علم النجوم الذي هو أحد فروع علم الفيزياء والجغرافيا الحديثة فليس هو المقصود هنا ^(٢).

وفي ختام البحث نذكر المحتسبين والموحدين، بالجهد العظيم للصحابة في الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين تمثل في نقلهم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي وردت في أمر السحر والسحرة والكهانة والكهان، والتنجيم والمنجمين، والتحصن من الشياطين وهم ثلة مباركة منهم: عائشة، وأبو هريرة، وابن عباس، وزيد بن أرقم، وأبو ذر، وأبو مسعود البصري، وزيد الجهني وغيرهم من الصحب الكرام.

- أبو عون: هو محمد بن عبيد الله بن سعيد الثقفي. ثقة. «التقريب»: (ص: ٤٩٤ / برقم: ٦١٠٧).

الحكم على الإسناد: إسناده صحيح، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥ / ٢٤٠ رقم ٢٥٦٤٨) وتقدم. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥ / ٢٤٠ رقم ٢٥٦٤٨) الحكم على الإسناد: إسناده حسن. والله أعلم.

(٢) هامش مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٦ / ص ١٢٩).

المراجع

١. القرآن الكريم
 ٢. صحيح البخاري.
 ٣. صحيح مسلم.
 ٤. سنن أبي داود.
 ٥. سنن الترمذي.
 ٦. سنن النسائي.
 ٧. مسند أحمد.
 ٨. المعجم الكبير: الطبراني.
 ٩. سنن البيهقي.
 ١٠. شعب الإيمان: للبيهقي.
 ١١. الأدب المفرد للبخاري.
 ١٢. صحيح وضعيف سنن أبي داود: الألباني.
 ١٣. صحيح الترغيب والترهيب: الألباني.
 ١٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للألباني
- ج ١ ص ٤٩١ مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

١٥. صحيح الجامع: الألباني.
١٦. صحيح وضعيف سنن الترمذي.
١٧. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: الألباني، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
١٨. كتاب السنن: سعيد بن منصور، حققه حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ=١٩٨٢م..
١٩. المصنف: عبد الرزاق، دار التأصيل، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.
٢٠. الأدب المفرد: للبخاري، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، الطبعة الأولى.
٢١. صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.
٢٢. مسند أبي يعلى الموصلي: لأبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.
٢٣. مسند ابن أبي شيبة: لابن أبي شيبة، تحقيق عادل العزازي، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٢٤. الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، تحقيق عادل أحمد، علي معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
٢٥. تقريب التهذيب: لابن حجر، تحقيق أبو الأشبال الباكستاني، دار العاصمة، تقديم بكر أبو زيد، ١٤٢١هـ.

٢٦. الوافي بالوفيات: للصفيدي، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م..

٢٧. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م..

٢٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشنقيطي، مكتبة ابن تيمية ١٤٠٨هـ=١٩٨٨.

٢٩. حاشية السندي على ابن ماجه: للسندي، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيجا، دار المعرفة بيروت.

٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ..

٣١. العين: للخليل، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٢. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: للعصامي، تحقيق عادل أحمد، علي معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

٣٣. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: لابن سيد الناس، تعليق إبراهيم محمد، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

٣٤. شرح النووي على مسلم: للنووي المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ=١٩٩٦:

٣٥. العرف الشذي للكشميري - (ج ٣ / ص ٣٦٥)، مطبعة سعيد كميني، باكستان.

٣٦. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي وآخرون، دار الفاروق، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ=٢٠٢١م.

٣٧. المنتقى شرح الموطأ: للباجي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٣٢هـ.

٣٨. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق ابن دهب، دار خضر بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٣٩. الإبانة الكبرى: لابن بطة، تحقيق رضا معطي وآخرون، دار الراية.

البحث الثالث

الاحتساب

على السحرة والكهان والمنجمين

عند خيار التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ

مقدمة

التابعون هم تلاميذ الصحابة، وفيهم أبنائهم، وهم خير الأمة بعد أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رافقوهم في جهادهم وحجهم، ولازموهم في حلهم وترحالهم، وتعلموا منهم دين الله تعالى، تعلموا منهم الكتاب الكريم، وتعلموا سنة البشير النذير، وسألوا الصحابة عن أحوال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخلاقه وصفاته، وتعلموا من الصحابة العلم والعمل، والقرآن والإيمان، وساروا على هديهم، وفي جهادهم للسحرة والكهان والمنجمين، كانوا على هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهدى معلميهم أصحاب الرسول الكرام، وهذا البحث أعد لبيان جهاد التابعين في هذا الميدان، عملاً وقولاً، ويشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: احتساب خيار التابعين على السحرة الماكرين.

المبحث الأول: احتساب التابعين على الكهان الضالين.

المبحث الأول: احتساب خيار التابعين وتحذيرهم من التنجيم.

المبحث الأول: احتساب خيار التابعين على السحرة الماكرين

لقد جاهد خيار التابعين السحرة جهادا كبيرا، فكان احتسابهم عمليا، كما كان علميا قوليا، فلقد أقام ولادة الأمور منهم كعمر بن عبد العزيز حكم الله على السحرة، كما احتسبوا على السحرة علميا ببيان خطر السحر، وتحذيرهم من الدخول فيه، وفي هذا المبحث بيان لهذا الجهاد.

المطلب الأول: الاحتساب العملي للتابعين على السحرة

لقد احتسب ولاية الأمور من التابعين على السحرة وأقاموا حكم الله فيهم:

عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ واحتسابه:

عن يحيى أن عامل عمان كتب إلى عمر بن عبد العزيز في سحرة أخذها، فكتب إليه عمر: إن اعترفت أو قامت عليها البينة فاقتلها^(١).

وعن يحيى بن أبي كثير قال ان غلاما لعمر بن عبد العزيز أخذ سحرة فألقاها في الماء فطفت فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: أن الله لم يأمر أن تلقىها في الماء، فإن اعترفت فاقتلها^(٢).

وعن ربيعة بن عطاء: أن رجلا عبدا سحر جارية عربية، وكانت تتبعه فرفع إلى عروة بن محمد - وكان عامل عمر بن عبد العزيز - فكتب إليه عمر بن عبد العزيز أن يبيعه بغير أرضها وأرضه ثم ادفع ثمنه إليها^(٣).

(١) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٦ / ص ٥٨٣).

(٢) المحلى - (ج ١١ / ص ٣٩٥).

(٣) المحلى - (ج ١١ / ص ٣٩٥).

المطلب الثاني: احتساب خيار التابعين على السحرة قوليا

علميا

لقد دون علماءنا جزاهم الله خيرا أقوال أئمة التابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في السحر،
نورد بعضها:

سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ يبين أن الجبت هو الساحر:

أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: الْجِبْتُ السَّاحِرُ بِلِسَانِ
الْحَبَشَةِ، وَالطَّاغُوتُ الْكَاهِنُ ^(١).

سالم بن عبد الله بن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ وإنكاره على الساحر العاقد وبيانه
أن حكمه القتل:

وعن العطاف بن خالد المخزومي أبو صفوان قال رأيت سالم ابن عبد الله
وهو واقف على جدار بيت لبنى أخ له يتامى أتاه غلمة أربعة ومعهم غلام هو
أشف منهم فقال يا أبا عمر أنظر ما يصنع هذا قال: وماذا يصنع؟ قال فسل خيطا
من ثوبه فقطعه وسالم ينظر إليه فجمعه بين أصبعين من أصابعه ثم تفل عليه
مرتين أو ثلاثا ثم مده فإذا هو صحيح ليس به بأس فسمعت سالما يقول لو كان
لي من الأمر شيء لصلبته. ^(٢)

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٢ / ص ٤٦١).

(٢) المحلى - (ج ١١ / ص ٣٩٥).

حديث التابعين عن احتساب الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في أمر السحر:

أولاً: آثار خيار التابعين في احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عن قتادة: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾، فألقى موسى عصاه، فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله^(١) وعن السدي قال: أوحى الله إلى موسى: لا تخف، وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون. فألقى عصاه، فأكلت كل حية لهم. فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون^(٢). وعن ابن إسحاق قال: أوحى الله إليه: أن ألق ما في يمينك! فألقى عصاه من يده، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها، تبتلعها، حية حية، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه. ثم أخذها موسى، فإذا هي عصاه في يده كما كانت، ووقع السحرة سجداً ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ^(٤). لو كان هذا سحراً ما غلبنا!، وقال عبد العزيز بن أبان: قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يتعلموا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾^(٥).

(١) تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٢٩).

(٢) تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٣٠).

(٣) تفسير البغوي - (ج ٥ / ص ٢٨٥).

ثانيا: بعض آثار خيار التابعين في احتساب سليمان عليه السلام.

أكثر التابعون الحديث عن براءة سليمان وعن احتسابه على السحرة وساقوا أخبارا عديدة واثارا طويلة.

وعن الحسن: في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ﴾ قال: «ثلث الشعر، وثلث السحر، وثلث الكهانة»^(١)، وعن قتادة قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾، من الكهانة والسحر. وذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه.^(٢)

وفي تفسير الطبري عن سعيد بن جبير قال: كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته. فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنّت إلى الإنس فقالوا لهم: أتريدون العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه. فاستثارت الإنس فاستخرجوه فعملوا به. فقال أهل الحجاز: كان سليمان.

وعن أبي مجلز قال: أخذ سليمان من كلدابة عهدا، فإذا أصيب رجل فسئل بذلك العهد، خلي عنه. فرأى الناس السجع والسحر، وقالوا: هذا كان يعمل

(١) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١١٨) صحيح البخاري - (ج ١٠ / ص ٤٧٢).

(٢) تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ٤١٠).

به سليمان! فقال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

وعن قتادة قال: ذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه. فلما سمع بذلك سليمان نبي الله ﷺ تتبع تلك الكتب، فأتى بها فدفنها تحت كرسيه، كراهية أن يتعلمها الناس. فلما قبض الله نبيه سليمان، عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذي كانت فيه فعلموها الناس، فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به. فعذر الله نبيه سليمان وبرأه من ذلك، فقال جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾.

عن قتادة قال: كتبت الشياطين كتباً فيها سحر وشرك، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسي سليمان. فلما مات سليمان استخرج الناس تلك الكتب، فقالوا: هذا علم كتمناه سليمان! فقال الله جل وعز: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾^(١).

وعن قتادة قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، يقول: ما كان عن مشورته ولا عن رضا منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين

(١) تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ٤١٤).

دونه^(١).

وعن ابن إسحاق: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ «أي ما علم بالسحر، والسحر كفر لمن عمل به»^(٢) عن الحسن: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ قال: «اتباع السحر كفر، وليس من دين سليمان السحر، يقول: ولكن الشياطين كفروا بتركهم دين سليمان، واتباعهم ما تلت الشياطين على ملكه»^(٣).

الإفتاء بقتل الساحر:

فتوى الحسن البصري: «إِنَّهُ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَأَبُّ، وقال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حد الساحر ضربه بالسيف. يذكره من قوله»^(٤).

فتوى سعيد بن جبير عن سعيد بن المسيب في الساحر إذا اعترف يقتل^(٥).

الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ والتحذير من الدخول في السحر:

سمعت الحسن يقول: في قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنٍ﴾ قال: «لا يضر هذا السحر إلا من دخل فيه»^(٦).

ولنا ههنا ملاحظة هي: أن هذا القول فيه: التحذير من الدخول في أمر السحر،

(١) تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ٤١٨).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٢٧).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٣٠).

(٤) أحكام القرآن للجصاص - (ج ١ / ص ١٢٦) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٦ / ص ٥٨٣)

المحلى - (ج ١١ / ص ٣٩٦).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٦ / ص ٥٨٣).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٦٨).

وانه شر حتى على من عمل به واتخذة صناعة، ومصدرا لكسبه، فإنه أول من يضر بذلك والعياذ بالله.

وعن الحسن قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنٍ﴾ قال: «نعم من شاء الله سلطهم عليه، ومن لم يشأ الله لم يسلط، ولا يستطيعون ضر أحد إلا بإذن الله كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^(١).

التابعون ودعوة الناس للإيمان بالقدر في شأن السحر:

قال سفيان في قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنٍ﴾ قال: «بقضاء الله»^(٢).

إعلان التابعين أنه ليس للساحر دين ولا حظ في الآخرة:

عن قتادة في قوله: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ قال: «ليس له في الآخرة جهة عند الله» قال معمر، قال الحسن: «ليس له دين»^(٣).

عن قتادة: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ قال: «وقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة»^(٤).

(١) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٧٠).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٧٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٨٤).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٨٥).

بيان التابعين أن السحر: جبت وطاقوت:

عن أبي العالية أنه قال: «الطاقوت» الساحر، و«الجبت» الكاهن^(١)، وقال ابن زيد: كان أبي يقول: «الجبت»، الساحر، و«الطاقوت»، الشيطان^(٢)، وعن سعيد بن جبير في هذه الآية: «الجبت والطاقوت»، قال: «الجبت» الساحر، بلسان الحبشة، و«الطاقوت» الكاهن^(٣).

وعن أبي العالية، في قوله: «الجبت والطاقوت»، قال: أحدهما السحر، والآخر الشيطان^(٤).

قال الطبري: والصواب من القول في تأويل: «يؤمنون بالجبت والطاقوت»، أن يقال: يصدّقون بمعبودين من دون الله، يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلهين.

وذلك أن «الجبت» و«الطاقوت»: اسمان لكل معظّم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظّم، من حجر أو إنسان أو شيطان. وإذ كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها، كانت معظمة بالعبادة من دون الله = فقد كانت جُبوتًا وطواغيت. وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان

(١) لسان العرب - (ج ١ / ص ٣١٤).

(٢) تفسير الطبري - (ج ٨ / ص ٤٦٣).

(٣) تفسير الطبري - (ج ٨ / ص ٤٦٣).

(٤) تفسير الطبري - (ج ٨ / ص ٤٦٣).

مقبولا منهما ما قالوا في أهل الشرك بالله^(١).

وكان الشَّعْبِيُّ، يقول: «الطَّاغُوتُ: السَّاحِرُ»^(٢) وبه قال مجاهد وقتادة وعن سعيد بن جبير وعكرمة أنه الكاهن، وعن أبي العالية أنه الساحر^(٣)، وعن أبي العالية قال: الطاغوت: الساحر^(٤).

(١) تفسير الطبري - (ج ٨ / ص ٤٦٣).

(٢) تفسير الألوسي - (ج ٢ / ص ٣٢٢).

(٣) تفسير الألوسي - (ج ٢ / ص ٣٢٢).

(٤) فتح القدير - (ج ١ / ص ٣٧٤).

المبحث الثاني: احتساب التابعين على الكهان الضالين

جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس فوضي متفرقون، فجمعهم الله به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمل الرسول على جمع الكلمة، فاجتمعت القلوب على توحيد الله، وعلى طاعة سوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وامتن الله عليهم بهذه المنة فقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، اجتمع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانوا هم الجماعة الذين ينتسب إليهم المسلم حين يقول: أنا على منهج أهل السنة والجماعة، فقد كانوا جماعة واحدة في الايمان والتوحيد، جماعة واحدة في العبادة والسلوك، جماعة واحدة في التخلق بأخلاق القرآن، وأخلاق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظلوا كذلك، حتى كان أواخر عهدهم المبارك، ولحق كثير منهم بربه، أطلت الفتن برأسها، كان رؤسها قوم دخلوا الإسلام ظاهرا، وأبطنوا الكفر والكبر، كعبد الله بن سبا اليهودي، الذي عمل جاهدا على تفريق جماعة المسلمين، ونشر الشر والفتن.

في أواخر عهدهم المبارك نشأت فرقة الخوارج، ونشأت القدرية، وظهر التشيع والنصب وهما ضدان في معاملة أهل البيت: النصب يسبهم ويذمهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتشيع يغلون فيهم، ويرفعونهم إلى درجة الألوهية.

وفي زمان التابعين زاد الأمر، واتسع الخرق على الرافع، وظهرت الكهانة، ووجد الشيطان بغيته في أقوام، استخدمهم لإضلال العبادة وأعانهم على ذلك.

وقد ظهر رجل طغت كهنته على كل كهانة، وفاق كل الكهان في زمانه، حتى ما يكادون يذكرون معه، وزاد خطره، وأصبحت له شوكة، وأتباع، وجنود، إنه كاهن كبير، ودجال من الدجاجلة الكبار، ورأس من رؤس شياطين الإنس؛ ألا وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي،: ذلك هو المختار بن أبي الثقفي، بدأ أمره ناصبيا يطعن في علي وذريته، ثم لما قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى ذلك الكاهن أن مصلحته في طرف التشيع، ووجد الظروف مواتييه له في جمع الناس حوله من خلال المتاجرة بدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والاستفادة من مآسي آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقام عليه خيار التابعين محتسبين، بالقول تارة، وبالرد على شبهاته تارة أخرى، وبقتاله تارة، ثم قتله بفضل الله، كما احتسبوا علميا، وقوليا، على الكهان وعلى الكهانة، وبينوا أنواعا من الكهانة، وحذروا من إتيان الكهان، واحتسبوا على الشياطين أيضا، وفي هذا المبحث عرض لجهود خيار التابعين في مواجهة الكهانة والكهان. ويدور الحديث، عن ذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: احتساب خيار التابعين العملي على المختار الكاهن.

المطلب الثاني: احتساب خيار التابعين العلمي على الكهانة.

المطلب الأول: احتساب خيار التابعين العملي على المختار

الكاهن

جاء في صحيح مسلم أن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت للحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَابًا وَمُبِيرًا فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالِكَ إِلَّا إِيَّاهُ قَالَ فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا ^(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة، وأسر إلى أخصائه أنه يوحى إليه، وكان ما أدري هل كان يدعي النبوة أم لا؟ وكان قد وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال، ويستر بالحريز، ويحمل على البغال، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن، ولا شك أنه كان ضالا مضلا أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وذكر الواقدي أن المختار لم يزل مظهرًا موافقة ابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين، وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله، وكان المختار في نحو من عشرين ألفًا، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويدعون المختار، وينقمون عليه ما هو فيه من الكهانة والكذب، فلما رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الإمارة فحاصره مصعب

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرا، حديث رقم ٤٦١٧.

فيه أربعة أشهر، ثم قتله في رابع عشر رمضان سنة سبع وستين، وله من العمر سبع وستون سنة^(١).

وقال الذهبي: المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، كان والده الأمير أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف قد أسلم في حياة النبي ﷺ، ولم نعلم له صحبة، وكانت فتنة المختار من سنة ٦٥ إلى سنة ٦٧ هـ^(٢).

قتال جمع من التابعين المختار مع مصعب بن الزبير:

لقد شارك في قتال المختار الكاهن الكذاب كثير من التابعين جاء في سير أعلام النبلاء: فإن ابن الزبير علم مكره، فندب لحربه أخاه مصعبا، فقدم محمد بن الأشعث، وشبث بن ربعي إلى البصرة يستصرخان الناس على الكذاب، ثم التقى مصعب وجيش المختار، فقتل ابن الأشعث، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وانفل الكوفيون، فحصرهم مصعب في دار الامارة، فكان المختار يبرز في فرسانه، ويقا تل حتى قتله طريف الحنفي وأخوه طراف^(٣) في رمضان سنة

(١) البداية والنهاية - (ج ٨ / ص ٣٢١).

(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي - (ج ٣ / ص ٥٣٨)، وانظر « تاريخ الإسلام: له » ٢ / ٣٦٩ - ٣٧٧.

(٣) رحم الله طريفا وأخاه، في احتسابهما على الثقفي الذي بدل الدين، وفتن الناس، وأفسد عقائد الأمة، وفتن عوام المسلمين، فقد عرف عنه أنه كان مبغضا لعلي رضي الله عنه ولآل البيت، ولما رأى تأثر أكثر عوام الناس بقتل الحسين رضي الله عنه - وحق لهم ذلك - استثمر الموقف لمصلحه ولتحقيق مآربه، وتبع قتله الحسين رضي الله عنه وقتلهم، وذلك لتكون له يد عند عوام الناس، ويشتهر

سبع وستين، وأتيا برأسه مصعبا، فوهبهما ثلاثين ألفا، وقتل من الفريقين سبع مئة^(١).

محمد بن الأشعث وقاتله المختار الكاهن:

ولما هرب أشراف الكوفة من وقعة السبيع أتى جماعة منهم إلى مصعب فأتاه شبت بن ربيعي على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه، وهو ينادي: يا غوثاه! فرفع خبره إلى مصعب، فقال: هذا شبت بن ربيعي، فأدخل عليه، فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم.

وقدم عليه محمد بن الأشعث أيضاً واستحثه على المسير، فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه، وقد استعمله عبد الله بن الزبير على الموصل. وقال لأهل الكوفة حين أكثروا عليه: لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة. وكتب إليه، وهو عامله على فارس، يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار، فأبطأ المهلب واعتل بشيء من الخراج لكراهية الخروج، فأمر مصعب محمد بن الأشعث

بأنه البطل الهمام الذي انتصر لدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه وأمه، وحتى يظن الناس به خيرا، ويقبلون غلوه وضلاله، وكهنته، ومع أننا لم نجد ترجمة موسعة لطريف وأخيه، الذين قضيا، على ذلك الكاهن المفسد، فإنه لا يضرهم أننا نجهلهم، والله تعالى من فوق عرشه يعرفهم، وقد أكرمهم بقتل ذلك الكاهن الذي أضل كثيرا من الناس، فقاما بحق الله مع غيرهم من المجاهدين، ولكن الله أكرمهم بالقضاء على ذلك الكاهن الضال إنهما لمجهولان عند أهل الأرض، معروفان في أهل السماء فنسأل الله أن يجمعنا وإياهم والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه في جنات النعيم.

(١) سير أعلام النبلاء: للذهبي ج ٣ ص ٥٤٣.

أن يأتي المهلب يستحثه، فأتاه محمد ومعه كتاب مصعب، فلما قرأه قال له: أما وجد مصعب بريداً غيرك؟ فقال: ما أنا ببريد لأحد، غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمانا غلبنا عليهم عييدنا. فأقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة، فقدم البصرة، وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الأكبر، وأرسل عبد الرحمن بن مخنف إلى الكوفة فأمره أن يخرج إليه من قدر عليه، وأن يثبط الناس عن المختار، ويدعوهم إلى بيعة ابن الزبير سرّاً، ففعل، ودخل بيته مستتراً، ثم سار مصعب فقدم أمامه عباد بن الحصين الحطمي التميمي، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته، والمهلب على ميسرته، وجعل مالك بن مسمع على بكر، ومالك بن المنذر على عبد القيس، والأحنف بن قيس على تميم، وزباد بن عمر العتكي على الأزد، وقيس بن الهيثم على أهل العالية. وبلغ الخبر المختار فقام في أصحابه فأعلمهم ذلك وندبهم إلى الخروج مع أحمر بن شميظ، فخرج وعسكر بحمام أعين، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعث مع أحمر بن شميظ، فسار وعلى مقدمته ابن كامل الشاكري، فوصلوا إلى المذار، وأتى مصعب فعسكر قريباً منه، وعبأ كل واحد منهما جنده ثم تزاحفا، فجعل ابن شميظ ابن كامل على ميمنته، وعلى الميسرة عبد الله بن وهيب الجشمي، وجعل أبا عمرة مولى عرينة على الموالي. وقاتل المختار على فم سكة شبت عامة ليلته وقاتل معه رجال من أهل البأس، وقاتلت معه همدان أشد قتال، وتفرق الناس عن المختار، فقال له من معه: أيها الأمير اذهب

إلى القصر، فجاء حتى دخله، فقال له بعض أصحابه: ألم تكن وعدتنا الظفر وأنا سنهزمهم؟ فقال: أما قرأت في كتاب الله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فقل: إن المختار أول من قال بالبداء.

فلما أصبح مصعب أقبل يسير فيمن معه نحو السبخة، فمر بالمهلب، فقال له المهلب: يا له فتحاً ما أهناه لو لم يقتل محمد بن الأشعث. قال: صدقت. ثم قال مصعب للمهلب: إن عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل، فاسترجع المهلب، فقال مصعب: قد كنت أحب أن يشهد هذا الفتح، أتدري من قتله؟ إنما قتله من يزعم أنه شيعة لأبيه.

ثم نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وقتلهم المختار وأصحابه قتلاً ضعيفاً، واجترأ الناس عليهم فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت، وصبوا عليهم الماء القذر، وكان أكثر معاشهم من النساء، تأتي المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام والشراب إلى أهلها. ففطن مصعب بالنساء فمنعهن، فاشتد على المختار وأصحابه العطش، وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل فكان ذلك ما يروى بعضهم.

ثم إن مصعباً أمر أصحابه فاقربوا من القصر واشتد الحصار عيهم، فقال لهم المختار: ويحكم إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً فانزلوا بنا فنقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا، فوالله ما أنا بأيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله. فضعفوا ولم يفعلوا. فقال لهم: أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكمهم في

نفسي، وإذا خرجت فقتلت لم تردادوا إلا ضعفاً وذلاً، فغن نزلتم على حكمهم وثبت أعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر إلى بعض فتقولون: يا ليتنا أطعنا المختار، ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر متم كراماً.

فلما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه المختار تدلى من القصر فلحق بناس من إخوانه فاخطفوا عندهم سراً. ثم إن المختار تطيب وتحنط وخرج من القصر في تسعة عشر رجلاً، منهم السائب بن مالك الأشعري، وكانت تحته عمرة بنت أبي موسى الأشعري، فولدت له غلاماً اسمه محمد، فلما أخذ القصر وجد صبيّاً فتركوه.

فلما خرج المختار قال للسائب: ماذا ترى؟ قال: ما ترى أنت. قال: ويحك يا أحمق إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز، ورأيت نجدة وثب باليمامة، ومروان بالشام، وكنت فيها كأحدهم، إلا أنني قد طلبت بثأر أهل البيت إذ نامت عنه العرب، فقاتل على حسبك إن لم يكن لك نية. فقال: إنا الله وإنا إليه راجعون، ما كنت أصنع أن أقاتل على حسبي. ثم تقدم المختار فقاتل حتى قتل، قتله رجلان من بني حنيفة أخوان، أحدهما طرفه، والآخر طراف، ابنا عبد الله بن دجاجة^(١).

(١) راجع: الكامل في التاريخ - (ج ٢ / ص ٢٤٤) البداية والنهاية - (ج ٨ / ص ٣٠٢) سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص).

رفاعة الفتياي ورغبته قتل المختار وتركه ذلك اجتهدا:

لقد كان رفاعة الفتياي من التابعين، وكان ممن اغتر بالكاهن الثقفي، بل كان يقوم على حراسته، وكان مما ادعاه الكاهن أنه يوحى إليه، وأخذ يث ذلك فيمن جلس إليه، فلما تيقن رفاعة من ذلك أراد قتله، ولكن ترك ذلك تدينا واجتهادا، قال الذهبي: عن عبد الملك بن عمير، عن رفاعة بن شداد الفتياي قال: كنت أقوم على رأس المختار، فلما تبينت كذابته، هممت وإيم الله أن أسل سيفي، فأضرب عنقه، حتى ذكرت حديثا حدثني عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أمن رجلا على نفسه، فقتله، أعطي لواء الغدر يوم القيامة»^(١)، وفي المسند عن رفاعة الفتياي قال: دخلت على المختار، فألقى لي وسادة، وقال: لولا أن جبريل قام عن هذه، لالقيتها لك، فأردت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثا حدثني عمرو بن الحمق، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما مؤمن أمن مؤمنا على دمه فقتله، فأنا من القاتل برئ»^(٢).

الأحنف بن قيس^(٣) يبرز دليل ضلال المختار:

(١) إسناده حسن، وهو في «المسند» ٥ / ٢٢٣، وأخرجه أحمد ٥ / ٢٢٢، وابن ماجه (٢٦٨٨) من طريقين، وإسناده صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي - (ج ٣ / ص ٥٣٩).

(٣) الأحنف بن قيس شيخ بني تميم، وأحلم العرب، آناه الله حكمة وفطنة، لم يتأثر برسالة الثقفي الكاهن الكذاب، وقد سجع فيها المختار، فنال الأحنف شرف جهاد هذا الكاهن، وكان ضمن الجيش الذي قاتل الكذاب، فلم يكن للمختار ولا لغيره من الكهان أثر على الأحنف بن قيس، الذي اصطفى الله قومه وشرفهم على لسان نبيه ﷺ، وأجبههم أصحاب الرسول ﷺ.

لقد هتك الأحنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستر ذلك الكذاب، وأظهر ما كان يخفيه من دعوى الوحي بكتاب خطته يد المختار الآثمة: فعن الشعبي قال: أقراني الأحنف كتاب المختار إليه يزعم أنه نبي، وكان المختار قد سار من الطائف بعد مصرع الحسين إلى مكة، فأتى ابن الزبير، وكان قد طرد لشره إلى الطائف، فأظهر المناصحة^(١). وذكر ابن كثير لفظ الكتاب فقال: أرسل الأحنف بن قيس كتابا للشعبي من المختار إليه فيها: بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس، أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر؛ فإن الأحنف يورد قومه سقر، حيث لا يقدر على الصدر، وقد بلغني أنكم تكذبوني، فإن كذبت، فقد كذبت رسل من قبلي، ولست بخير منهم^(٢) وقد سجع في كتابه كما ترى سجع الكهان.

طفيل بن جعدة وكشفه إفك المختار المتكهن، وخداعه له:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَا زِلْتُ أَحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلَاثِ سَمْعَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِيهِمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَالِ قَالَ وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا وَكَانَتْ سَبِيَّةً مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَ أَعْتَقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ. (رواه البخاري في كتاب العتق باب مَنْ مَلَكَ مِنَ الْعَرَبِ رَقِيقًا، حديث رقم ٢٣٥٧ ومن هذه الثلاث انهم أشد أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الدجال. فكما أكرم الله الأحنف بقتال الكاهن الرجال الثقفي، ستقاتل ذريته وذرية تميم الدجال. ونحن حب أهل التوحيد من بنى تميم، لنصرتهم للتوحيد في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي عهد الأحنف، وفي آخر الزمان.

(١) سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ٥٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ٥٤٢).

وعن طفيل بن جعدة بن هبيرة، قال: كان لي جار زيات له كرسي، فاحتجت، فقلت للمختار: إني كنت أكتمك شيئاً، والآن أذكره.

قال: وما هو؟ قلت: كرسي كان أبي يجلس عليه، كان يرى أن فيه أثارة من علم.

قال: سبحان الله! لم أخرته؟ فجئ به وعليه ستر، فأمر لي باثني عشر ألفاً، ودعا بالصلاة جامعة، فاجتمعوا، فقال: إنه لم يكن في الامم الخالية أمر إلا وهو كائن فيكم، وقد كان في بني إسرائيل التابوت، وإن فينا مثله. اكشفوا هذا، فكشفوا الاثواب، وقامت السبائية. فرفعوا أيديهم، فأنكر شبت بن ربيعي، فضرب، فلما انتصروا على عبيد الله افتتنوا بالكرسي، وتغالوا فيه، فقلت: إنا لله، وندمت. فلما زاد كلام الناس، غيب. قال ابن كثير: وكان المختار يربطهم بالمحال والكذب^(١)، ويتألفهم بقتل النواصب.

ونحن نقول: الله أكبر، وسبحانك اللهم، إنها السنن، وما أشبه الليلة بالبارحة، لقد استنزل هؤلاء الشيطان، وفتنهم الكاهن الثقفي بمثل هذا الكرسي، واليوم يفتن كثير من عامة الناس بل وأهل الفكر والثقافة، بنحو هذا، يخدعون ويتعلقون بشجرة، أو خرزة، أو صخرة، وتكهن كاهن، و تنجيم منجم، بل يخدعون باحلام شيطانية يوعز إليهم الشيطان فيها بصلاح ميت، ويطلب منهم بناء قبة، أو مزار، فيقيم الناس وثناً يعبد من دون الله، ومن أعجب ما رأينا قبة

(١) سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ٥٣٩).

في بعض البلاد الإسلامية، تسمى، تسمى قبة الولي الصيني، وقد وقفنا عليها بأنفسنا، وهذه القبة يذكرون أنها لمجموعة من العمالة الصينية، كانوا يسيرون في الطريق صار لهم حارث، ماتوا، دفنهم في هذا المكان، فاتخذه الناس مزارا يعبد من دون الله، يلتمس منهم البركة، وقد رأينا رجلا يطوف ببقرة حول هذه القبور، ولما سألناه لم يصنع ذلك قال: التماس البركة، هذا أن تلك القبور كتب عليها أسماء هؤلاء الصينيين، ويعرف الناس قصتهم كاملة، وأنهم لوا بمسلمين، فنسأل الله الثبات على التوحيد والسنة حتى نلقاه، إن أعظم النعم أن يمن عليك الله أيها المسلم، فتكون عبدا له وحده، وأن تعرف حقه. إن من أجل النعم أن يهديك الله صراطه المستقيم، فله الحمد أولا وآخرا على نعمة الإسلام والسنة، ونسأله تعالى أن يثبتنا على التوحيد حتى نلقاه.

الشعبي والرد على تابع للمختار:

الشعبي إمام من أئمة التابعين، وقد كان يرد على شبهات ذلك الكاهن، وقد رد على تابع للكاهن اغتر بكهانة المختار، وإخباره لهم بالنصر على عدوهم فبين الشعبي، أن هذا مما كذبت فيه شياطين المختار عليه، عن الشعبي قال: خرجت أنا وأبي مع المختار، فقال لنا: أبشروا، فإن شرطة الله قد حسوهم بالسيوف بقرب نصيبين. فدخلنا المدائن، فو الله إنه ليخطبنا، إذ جاءته البشري بالنصر، فقال: ألم أبشركم بهذا؟ قالوا: بلى، فقال لي همداني: أتؤمن الآن؟ قلت: بماذا؟ قال: بأن المختار يعلم الغيب، ألم يقل لنا: إنهم هزموا؟ قلت: إنما

زعم أن ذلك بنصيين، وإنما وقع ذلك بالخازر^(١). من الموصل. قال: والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الاليم^(٢).

البارقي^(٣) وخداعه الكاهن الكذاب للنجاة بنفسه:

(١) الخازر: بعد الألف زاي مكسورة، وهو نهر بين إربل والموصل، وهو موضع كانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد، وإبراهيم بن مالك الاشر النخعي في أيام المختار في سنة ٦٧ هـ. معجم البلدان: ياقوت الحموي.

(٢) البداية والنهاية - (ج ٨ / ص ٣٠٤).

(٣) سراقه بن مرداس بن أسماء بن خالد البارقي الازدي: شاعر عراقي، يمانى الاصل. كان ممن قاتل المختار الثقفي (سنة ٦٦ هـ) بالكوفة، وله شعر في هجائه. وأسرّه أصحاب المختار، وحملوه إليه، فأمر بإطلاقه - في خبر طويل - فذهب إلى مصعب بن الزبير، بالبصرة، ومنها إلى دمشق. ثم عاد إلى العراق مع بشر بن مروان والي الكوفة، بعد مقتل المختار. ولما ولي الحجاج بن يوسف العراق هجاه سراقه، فطلبه، ففر إلى الشام، وتوفي بها. كان ظريفا، حسن الانشاد، حلو الحديث، يقربه الامراء ويحبونه. وكانت بينه وبين جرير مهاجاة توفي سنة ٧٩ هـ. قال الطبري تاريخ الطبري - (ج ٤ / ص ٥٢٦) (قال أبو مخنف وهو شيعي ضعيف ولكننا نذكرها للاستئناس فقط) عن يونس بن أبي إسحاق ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلى القصر أخذ سراقه بن مرداس يناديه بأعلى صوته:

امنن على اليوم يا خير معد * وخير من حل بشحر والجند.

وخير من حبي ولبى وسجد.

فبعث به المختار إلى السجن فحبسه ليلة ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه فدعا سراقه فأقبل إلى المختار وهو يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا	نزوننا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا	وكان خروجنا بطرا وحينا
نراهم في مصافهم قليلا	وهم مثل الدبى حين التقينا
برزنا إذ رأيناهم فلما	رأينا القوم قد برزوا إلينا
لقينا منهم ضربا طلحفا	وطعنا صائبا حتى انثنينا

كان سراقه البارقي من ظرفاء أهل المدينة، فأسرّه رجل من أصحاب المختار، فأتى به المختار، وقال: أسرت هذا، فقال سراقه: كذب والله ما أسرني، إنما أسرني رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق، فقال المختار: أما إن الرجل قد عاين الملائكة، خلوا سبيله فلما أفلت، أنشأ يقول:

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا إِسْحَاقَ عَنِّي بَأْنَ الْبُلُقِ دُهُمَ مُصْمِتَاتِ
أَرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأْيَاهُ كَلَانَا مَوَاعِ بِالْثَرَهَاتِ
كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا عَلَي قِتَالِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ^(٤)

وهذا يبين بوضوح قول النبي ﷺ إنهم ليسوا بشيء، فهذا الكاهن الكذاب الذي يدعي علم الغيب، يخدع بهذا اليسر فاين شيطانه واين ادعاه علم الغيب، إن البارقي رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه ما إن نجا منه حتى سخر منه فلو

نصرت على عدوك كل يوم بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر ويوم الشعب إذ لاقى حنينا
فاسجح إذ ملكت فلو ملكنا لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فإنني سأشكر إن جعلت النقد دينا

قال فلما انتهى إلى المختار قال له: أصلحك الله أيها الأمير سراقه بن مرداس يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به المختار فقال إنني قد علمت أنك لم تر الملائكة وإنما أردت ما قد عرفت أن لا أقتلك فاذهب عنى حيث أحببت لا تفسد على أصحابي. راجع الأعلام للزركلي - (ج ٣ / ص ٨٠).

(٤) سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ٥٤٢، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - (ج ٢ / ص ١٠٩).

كان هؤلاء يعلمون الغيب ما جعلوا هذا التابعي الجليل، والشاعر المفلج يقول فيه شعرا ينشر في الخافقين، يبين سفه المختار المتكهن الكذاب. وقد كان المختار، وقد استغل المختار تلك القصة في مزيد خداع أصحابه.

جناية الكهان على أتباعهم:

لقد اضل المختار قوما منهم زوجته التي بقيت وفية لضلالة حتى بعد قتله، فقد قتلت عمرة بنت النعمان بن بشير، لأنها شهدت أن زوجها المختار عبد صالح.

فانظر إلى شر الكهان كيف أغوى ذلك الكاهن المريد تلك المرأة كريمة الأصل، سليلة العلم والإيمان والإحسان، من كان أبوها صحابيا، وجدها صحابيا ووالد جدها صحابيا، فانظر كيف أغواها ذلك الشيطان، لقد حشد التابعون قوتهم لخلاص الناس من شر ذلك الكاهن الضال المضل. وانظر كيف هدى الله بالإيمان قلب أخت المختار زوجة ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واعجب كيف ضلت بهذا الكاهن الكذاب عمرة بنت النعمان ابنة الصحابة الكرام، ولكن لما اقترنت بذلك الكذاب وكانت له زوجة، ضلت والعياذ بالله وصدقته، وعرضت على السيف فكانت وفية لكاهن خائن، أضلها وأهلك دينها ودنياها بدلا من أن يرهاها دنيا ودين ويأخذ بيدها إلى الصراط المستقيم.

ومن عرف ذلك، علم عظم وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باختيار الخليل والرفيق والجلس الصالح: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرَّجُلُ عَلَى دِينِ

خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ^(١) وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً^(٢) وعلم عظم تحذير السلف من مجالسة أهل البدع المضلة والأهواء، والتحذير من الشبهات التي يلقونها، لأن القلوب ضعيفة، ولذلك وجب على الناس الفرار من هؤلاء، فإن من الدين الفرار من الفتن^(٣)، ويجب على من ابتلي بالاحتساب على مثل هؤلاء الكهان أن يحرص على الأذكار وقراءة القرآن والدعاء، وأن يكثر سؤال الله العافية والثبات، وألا يعجب الإنسان بنفسه في هذا الباب، وأن يبين الحق جهده، وأن ينأى عن هؤلاء ما استطاع، وليتذكر أن التردد على هؤلاء، ومجالستهم خطر عظيم، وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال بعض من يأتي الدجال ليرى حاله فيصير من أتباعه والعياذ بالله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ فَلْيَنَاقِ عَنْهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ^(٤).

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يُجَالِسَ، حديث رقم ٤١٩٣، وصححه

الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٩٢٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب الذبائح والصياد باب الْمِسْكِ حديث رقم ٥١٠٨.

(٣) في صحيح البخاري باب مِنَ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنَ الْفِتَنِ، كتاب الإيمان،..

(٤) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب خُرُوجِ الدَّجَالِ حديث رقم ٥٤٨٨، وصححه الألباني

في مشكاة المصابيح، حديث رقم ٥٤٨٨.

ولذلك وجب على المحتسب على هؤلاء الكهان أن ينبه عامة الناس على ذلك، وأن يحذره من مشاهدة قنوات الكهانة، والسحر، والتنجيم، ووسائل التواصل التي تروج لذلك. ولا ينبغي للمحتسب ولا للمسلم أن يهون من مشاهدة الناس لهذه المواد الخبيثة التي يبثونها، فهي شبهات في توحيد الله وتفرده بعلم الغيب، وإنه لانجاة لأحد إلا بإفراده ربه بالتوحيد، كما أنه لا ينبغي للمسلم أن يقول إنما هو مرور الكرام، وحب استطلاع، فإن الأمر أخطر مما يتوهمه كثير من الناس، فيقول إنما هي عجوز تخط الرمل، وتوسوس ودعاتها، أو شخص يقرأ الفنجان على بعض المقاهي، وأنظر إلى برنامج لضیاع الوقت، فإن في الأمر زعزعة الإيمان الخالص، والتوحيد الصادق، ثم إن من فعل ذلك لهوا ولعبا واستطلاعا، لا يقبل الله منه صلاة أربعين يوما. ثم إنه قد يحال بين المرء وقلبه، وينخدع بضلالات هؤلاء، ويركن قلبه إليهم ولو شيئا قليلا، فيقع في هاوية الشرك والعياذ بالله، فإن الأمر جد لا هزل فيه، إنه أمر العقيدة، إنه أمر النجاة اليوم وغدا.

ولقد فتن الكاهن الكذاب قوما وألقاهم إلى حتفهم، وجعلهم يسفكون الدماء المؤمنة المعصومة، ثم ندموا حين أمكن الله منهم، واعترفوا بالخطأ؛ ولكن أقام عليهم التابعون الحكم قصاصا، وقد رق لهم مصعب، وأراد أن يخلي سبيلهم، ولكن أولياء الدم طالبوا بالقتل، وكذلك خاف مصعب من قيام الفتنة، قال رجل ممن أخذ من أتباع المختار لمصعب بن الزبير: الحمد لله الذي ابتلانا بالأسر،

وابتلاك أن تعفو، وهما منزلتان إحداهما رضى الله والآخرى سخطه، من عفا، عفا الله عنه، ومن قتل، لم يأمن القصاص، نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم، لسنا تركا ولا ديلما، قاتلنا إخواننا كما اقتتل أهل الشام بينهم، ثم اصطلحوا، وقد ملكتم فأسجحوا، فرق مصعب، وهم أن يدعهم، فوثب عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، وقال: اخترنا أو اخترهم، وقال آخر: قتل أبي في خمس مئة من همدان وتخليهم؟! وسمرت كف المختار إلى جانب المسجد. وروى إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: جاء مصعب يزور ابن عمر، فقال: أي عم! أسألك عن قوم خلعوا الطاعة، وقاتلوا حتى إذا غلبوا، تحصنوا، وطلبوا الأمان، فأعطوا، ثم قتلوا. قال: كم العدد؟ قال: خمسة آلاف، فسبح ابن عمر، ثم قال: يا مصعب! لو أن امرأ أتى ماشية الزبير، فذبح منها خمسة آلاف شاة في غداة أكنت تعده مسرفا؟ قال: نعم، قال: فتراه إسرافا في البهائم. وقتلت من وحد الله. أما كان فيهم مكره أو جاهل ترجى توبته، أصيب يا ابن أخي من الماء البارد ما استطعت في دنياك^(١).

ابن الحنفية يحذر من الكاهن الكذاب.

عن الأسود بن قيس، قال: لقيت رجلا من عنزة فقال: انتهيت إلى ابن الحنفية، فقلت: السلام عليك يا مهدي، قال: وعليك السلام. قلت: إن لي

(١) راجع البداية والنهاية - (ج ٨ / ص ٣٠٤).

حاجة. فلما قام، دخلت معه، فقلت: ما زال بنا الشين في حبكم حتى ضربت عليه الاعناق، وشردنا في البلاد وأوذينا. ولقد كانت تبلغنا عنك أحاديث من وراء وراء، فأحببت أن أشافهك.

فقال: إياكم وهذه الاحاديث، وعليكم بكتاب الله، فإنه به هدي أولكم، وبه يهدى آخركم، ولئن أوذيتم، لقد أوذى من كان خيرا منكم، ولأمر آل محمد أبين من طلوع الشمس. وعن ابن عيينة قال: حدثنا أبو الجحاف -شيعي- عن رجل [من أهل البصرة] قال: أتيت ابن الحنفية حين خرج المختار فقلت: إن هذا خرج عندنا يدعو إليكم، فإن كان عن أمركم، اتبعناه. قال: سأمرك بما أمرت به ابني هذا، إنا أهل بيت لا نبتر هذه الامة أمرها، ولا نأتيها من غير وجهها، وإن عليا كان يرى أنه له، ولكن لم يقاتل حتى جرت له بيعة^(١).

ابن الحنفية لا يرد على رسائل الكاهن الكذاب:

جاء من البداية والنهاية: كتب المختار إلى ابن الحنفية كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد، سلام عليك أيها المهدي فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله بعثني نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم، ونصر مؤازركم، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا ممن اشترك في دم الحسين وأهل بيته كل من قدرنا عليه، ولن يعجز الله من بقي، ولست

(١) سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٢٢، تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٧١).

بمنحجم عنهم حتى يبلغني أنه لم يبق على وجه الأرض منهم أحد، فاكتب إلي أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته.

عقب ابن كثير فقال: ولم يذكر ابن جرير أن محمد بن الحنفية رد جوابه، مع أن ابن جرير قد قصص هذا الفصل وأطال شرحه، ويظهر من غبون كلامه قوة وجده به وغرامه، ولهذا توسع في إيراده بروايات أبي مخنف لوط بن يحيى، وهو متهم فيما يرويه، ولا سيما في باب التشيع، وهذا المقام للشيعنة فيه غرام وأي غرام، إذ فيه الأخذ بثأر الحسين وأهله من قتلهم، والانتقام منهم، ولا شك أن قتل قتلته كان متحتما، والمبادرة إليه كان مغنما، ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافرا، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**». وقال تعالى في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١) وقال بعض الشعراء:

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيلى بظالم

وسأتي في ترجمة المختار ما يدل على كذبه وافترائه، وادعائه نصرة أهل البيت، وهو في نفس الأمر متستر بذلك ليجمع عليه رعا من الشيعة الذين بالكوفة. ليقم لهم دولة ويصول بهم ويجول على مخالفه صولة. ثم إن الله تعالى سلط

(١) الآية ١٢٩ سورة الأنعام.

عليه من انتقم منه^(١).

براءة ابن الحنفية من الكاهن الكذاب حيا وميتا:

قال ابن سعد: قتل المختار في سنة ثمان وستين، وفي سنة تسع بعث ابن الزبير أخاه عروة إلى محمد بن الحنفية يقول: إني غير تاركك أبدا حتى تبايعني أو أعيدك في الحبس، وقد قتل الله الكذاب الذي كنت تدعي نصرته. وأجمع أهل العراق علي، فبايع. فقال: يا عروة، ما أسرع أخاك إلى قطع الرحم والاستخفاف بالحق، وما أغفله عن تعجيل عقوبة الله، ما يشك أخوك في الخلود، ووالله ما بعث المختار داعيا ولا ناصرا. ولهو - وإلا فقد كان أحمد للمختار ولهديه مني، والله ما بعث المختار داعيا. كان - أشد إليه انقطاعا منه إلينا. فإن كان كذابا فطالما قربه على كذبه. وإن كان غير ذلك، فهو أعلم به، وما عندي خلاف ما أقيمت في جواره، ولو كان، لخرجت إلى من يدعوني، ولكن ها هنا لأخيك قرن - وكلاهما يقاتلان على الدنيا - عبد الملك، فلكنك بجيوشه قد أحاطت برقبة أخيك، وإنني لأحسب أن جواره خير من جواركم، ولقد كتب إلي يعرض علي ما قبله، ويدعوني إليه. قال عروة: فما يمنعك؟ قال: أستخير الله، وذلك أحب إلي من صاحبك. فقال بعض أصحاب ابن الحنفية: والله لو أطعنا، لضربنا عنقه، فقال: وعلى ماذا؟ رجل جاء برسالة من أخيه، وأنتم تعلمون أن رأيي لو اجتمع الناس علي سوى إنسان لما قاتلته، فانصرف عروة، وأخبر أخاه، وقال:

(١) البداية والنهاية - (ج ٨ / ص ٣٠٢).

ما أرى لك أن تعرض له، دعه، فليخرج عنك، فعبد الملك أمامه لا يتركه يحل بالشام حتى يبايعه، وهو فلا يبايعه أبدا حتى يجمع عليه الناس^(١).

انكار شيث^(٢) بن ربيعي على المختار وضرب المختار له:

عن طفيل بن جعدة بن هيرة، قال: كان لي جار زيات له كرسي، فاحتجت، فقلت للمختار: إني كنت أكتملك شيئا، والآن أذكره. قال: وما هو؟ قلت: كرسي كان أبي يجلس عليه، كان يرى أن فيه أثارة من علم. قال: سبحان الله! لم أخرته؟ فجئ به وعليه ستر، فأمر لي باثني عشر ألفا، ودعا بالصلاة جامعة، فاجتمعوا، فقال: إنه لم يكن في الامم الخالية أمر إلا وهو كائن فيكم، وقد كان في بني إسرائيل التابوت، وإن فينا مثله. اكشفوا هذا، فكشفوا الاثواب، وقامت السبائية. فرفعوا أيديهم، فأنكر شيث بن ربيعي، فضرب^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٢٢، تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٧١.

(٢) هو: شيث بن ربيعي التميمي اليربوعي، أحد الاشراف والفرسان، كان ممن خرج على علي، وأنكر عليه التحكيم، ثم تاب وأناب. وحدث عن علي، وحذيفة. وعنه محمد بن كعب القرظي، وسليمان التيمي، له حديث واحد في سنن أبي داود. قال الذهبي: قلت: كان سيد تميم هو والأحنف.

(٣) سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٥٠).

المطلب الثاني: الاحتساب القولي العلمي للتابعين: على الكهان المارقين وأعوانهم من الشياطين

احتسب التابعون على الكهانة والكهان علميا، وبينوا ما في الكهانة من شر وباطل، وسنبرز ذلك فيما يأتي:

عن سعيد بن جبير، قال: الطاغوت: الكاهن، وكذلك قال أبو العالية..
وقال ابن جريج: في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، هم: كهان تنزل عليها شياطين، يلقون على ألسنتهم^(١).

وقال قتادة في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾، كنا نحدث أن الجبت شيطان، والطاغوت الكاهن. وقال أيضا في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾، من الكهانة والسحر^(٢).

وقال عوف: العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط في الأرض^(٣).

يحيى بن سعيد والتحذير من إتيان الكهان:

قال ابن وهب: وبلغني عن يحيى بن سعيد، أنه قال: «لا يحل لمسلم أن يسأل كاهنا، ولا يمشي إليه، ولا يعطيه عليه، ولا يسمع من قوله، وليس ذلك

(١) تفسير الطبري تفسير الطبري - (ج ٥ / ص ٤١٨)، (ج ٨ / ص ٤٦٣) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٢ / ص ٤٦١).

(٢) تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ٤١٠).

(٣) عون المعبود - (ج ٨ / ص ٤٣٥) السنن الكبرى للبيهقي - (ج ٨ / ص ١٣٩).

من أمر الإسلام، إنما كان ذلك من أمر الجاهلية، فمن أخذ بذلك فقد ترك أمر الإسلام، وأخذ بأمر الجاهلية»^(١).

الكهان طواغيت:

وعن الشعبي قال: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودي إلى حاكمهم لأنه علم أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم، فلما اختلفا اجتماعاً على أن يحكما كاهناً في جهينة، فأنزل الله تعالى في ذلك **﴿الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾** يعني المنافق **﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** يعني اليهودي **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾** إلى قوله **﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**^(٢).

وقال السدي: كان ناس من اليهود أسلموا وناقض بعضهم، وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير قتل به وأخذ ديتة مائة وسق من تمر وإذا قتل رجل من بني النضير رجلاً من قريظة لم يقتل به وأعطى ديتة ستين وسقاً من تمر، وكانت النضير حلفاء الأوس وكانوا أكبر وأشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج، فقتل رجل من بني النضير رجلاً من قريظة واختصموا في ذلك، فقالت بنو النضير: إنا وأنتم اصطلحنا في الجاهلية

(١) الجامع لابن وهب - (ج ٢ / ص ١٩٠).

(٢) أسباب نزول القرآن - (ج ١ / ص ٥٧).

على أن يقتل منكم ولا تقتلوا منا، وعلى أن ديتكم ستون وسقاً والوسق ستون صاعاً وديتنا مائة وسق، فنحن نعطيكم ذلك، فقالت الخزرج: هذا شيء كتم فعلتموه في الجاهلية لأنكم كثرتم وقللنا فقهرتمونا، ونحن وأنتم اليوم أخوة وديننا ودينكم واحد، وليس لكم علينا فضل، فقال المنافقون: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن الأسلمي، وقال المسلمون: لا بل إلى النبي ﷺ، فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي بردة ليحكم بينهم، فقال: أعظموا اللقمة: يعني الرشوة، فقالوا: لك عشرة أوسق، قال: لا، بل مائة وسق ديتي، فإني أخاف إن نفرت النضير قتلتن قريظة، وإن نفرت القريظة قتلتن النضير، فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فدعا النبي ﷺ كاهن أسلم إلى الإسلام، فأبى فانصرف، فقال النبي ﷺ لابنيه: أدركا أباكما فإنه إن جاوز عقبة كذا لم يسلم أبداً، فأدركاه فلم يزا إلا به حتى انصرف وأسلم، وأمر النبي ﷺ منادياً فنادى: ألا إن كاهن أسلم قد أسلم^(١).

عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت في رجل من الانصار يقول له قيس، وفي رجل من اليهود في ممارسة كانت بينهما في حق تدارء فيه، فتنافرا إلى كاهن بالمدينة ليحكم بينهما، وتركاهما النبي ﷺ، فعاب الله تعالى ذلك عليهما، وكان اليهودي يدعو إلى نبي الله، وقد علم أنه لن يجوز (يجور)

(١) أسباب نزول القرآن - (ج ١ / ص ٥٧).

عليه، وجعل الانصاري يأبى عليه وهو يزعم أنه مسلم ويدعوه إلى الكاهن،
فأنزل الله تعالى ما تسمعون، وعاب على الذي يزعم أنه مسلم، وعلى اليهودي
الذي هو من أهل الكتاب، فقال - ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل
إليك - إلى قوله - يصدون عنك صدوداً^(١).

التحذير من سجع الكهان:

عن السدي، أمّا «أساطير الأولين»، فأساجيع الأولين. «الأساجيع» جمع
«أسجوعة»: يراد به الكهان على هيئة كلامهم^(٢).

احتساب التابعين على الشياطين:

عن الاعمش عن مجاهد قال: كنت ألقى من رؤية الغول والشياطين بلاء
وأرى خيالا، فسألت ابن عباس فقال: أجزه على ما رأيت ولا تفرق منه، فإنه
يفرق منك كما تفرق منه، ولا تكن أجبن السوادين، قال مجاهد: فرأيت فأسندت
عليه بعضا حتى سمعت وقعته^(٣).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: إذا أحس أحدكم بالشيطان فلينظر إلى
الأرض وليتعوذه^(٤).

(١) أسباب النزول - (ج ١ / ص ١٠٧).

(٢) تفسير الطبري - (ج ١١ / ص ٣٠٩).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٥ / ص ٤٤٩).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٥ / ص ٤٥٠).

المبحث الثالث: احتساب خيار التابعين وتحذيرهم من

التنجيم

أثر قتادة في النجوم وما فيه من الأسس العلمية للمحتسبين:

ساق ابن أبي حاتم رواية طويلة وكلاما مبسوطا عن قتادة هو زاد لكل محتسب على أولئك المنجمين، وفيه ردود وحجج دامغة لشبهاتهم الداحضة: عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثِ خِصَالٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَجَعَلَهَا يُهْتَدَى بِهَا، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، فَمَنْ تَعَاطَى فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ رَأْيَهُ، وَأَخْطَأَ حَظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَإِنَّ نَاسًا جَهَلَةً بِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ النُّجُومِ كَهَانَةً، مَنْ أَعْرَسَ بِنَجْمٍ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ سَافَرَ بِنَجْمٍ كَذَا وَكَذَا وَكَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَعَمْرِي مَا مِنْ نَجْمٍ إِلَّا يُوَلَّدُ بِهِ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ وَالْحَسَنُ وَالذَّمِيمُ، وَمَا عَلِمَ هَذَا النَّجْمُ وَهَذِهِ الدَّابَّةُ، وَهَذَا الطَّائِرُ شَيْءٍ مِنَ الْغَيْبِ وَقَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ، وَلَعَمْرِي لَوْ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ يَأْكُلُ فِيهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءَ، وَنُهِيَ عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ الْبَلَاءُ حَتَّى وَقَعَ بِمَا نُهِيَ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ يُعْلَمُ الْغَيْبُ لَعَلِمَتْهُ الْجِنُّ حِينَ مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَبِثَتْ تَعْمَلُ لَهُ حَوْلًا فِي أَشَدِّ الْهُوَانِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَوْتِهِ مَا دَلَّهِمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

معقبا: وهو كلام جليل متين صحيح^(١). وقال ابن حجر قول قتادة في النجوم حسن^(٢).

مجاهد:

وقال مجاهد: في تفسير قوله: ﴿وَعَلَّمَتْ وَيَلْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أراد بالكل النجوم، منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به.

السدي:

قال السدي: أراد بالنجم، الثريا، وبنات نعش، والفرقدين، والجدي، يهتدى بها إلى الطرق والقبلة^(٣).

محمد بن كعب القرظي وبيانه كذب المنجمين وكهانتهم.

قال محمد بن كعب: والله ما لأحد من أهل الارض في السماء نجم، ولكنهم يتخذون الكهانة سبيلا ويتخذون النجوم علة^(٤).

(١) تفسير ابن كثير - (ج ٦ / ص ٢٠٧) هامش تفسير ابن أبي حاتم - (ج ١١ / ص ١٨٦)، والأثر أخرجه البخاري مختصرا تعليقا في بدء الخلق، باب في النجوم: ٦ / ٢٩٥، ووصله الطبري في التفسير: ١٤ / ٩١-٩٢. فتح الباري: ٦ / ٢٩٥.

(٢) فتح الباري: ج ٦ ص ٢٥٩.

(٣) تفسير القرطبي - (ج ١٨ / ص ٢١١).

(٤) تفسير البغوي - (ج ٥ / ص ١٣).

احتساب التابعين على التنجيم بتحذيرهم الناس من نسبة المطر إلى النجوم:

أخرج ابن جرير عن عطاء الخراساني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: كان ناس يمتطرون فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا^(١).

أخرج عبد بن حميد عن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ فقال: أما الحسن فقال: بئس ما أخذ القوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب، قال: وذكر لنا أن الناس أمحلوا على عهد نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا يا نبي الله: لو استسقيت لنا؟ فقال: عسى قوم إن سقوا أن يقولوا سقينا بنوء كذا وكذا، فاستسقى نبي الله، فمطروا، فقال رجل: إنه قد كان بقي من الأنواء كذا وكذا، فأنزل الله {﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾} وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: قولهم: في الأنواء مطرنا بنوء كذا وكذا، فيقول: قولوا: هو من عند الله تعالى وهو رزقه^(٢).

عن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: تجعلون حظكم منه أنكم تكذبون، قال عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وبلغني أن مشركي العرب كانوا

(١) الدر المشثور - (ج ٩ / ص ٤٠٢).

(٢) الدر المشثور - (ج ٩ / ص ٤٠١).

إذا مطروا في الجاهلية قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا^(١).

احتياط التابعين في باب النجوم:

كره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق «تعليق فقتادة كره تعلم منازل القمر حتى لا يجر ذلك إلى التنجيم، وتعلق الناس بالنجوم على وجه غير مشروع»^(٢).

ميمون بن مهران ودعوته لرفض علم التنجيم:

عن ميمون بن مهران قال: «ثلاث ارفضوهن: سب أصحاب محمد ﷺ، والنظر في النجوم، والنظر في القدر»^(٣).

كعب الأخبار وبيان خطورة التنجيم:

عن أوس بن بشر المعافري حدثه أن عبد الله بن عمرو التقي هو وكعب ذو الكتابين، فقال عبد الله لكعب: علم النجوم، فقال كعب: لا خير فيه، فقال عبد الله: لم؟ قال: ترى فيه ما تكره، وتزيد الطيرة، فقال كعب: فإن مضى فقال: «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك» ثم سكت فقال عبد الله: ولا حول ولا قوة إلا بك، قال كعب: جاء بها عبد الله والذي نفسي بيده إنها لرأس التوكل، وكنز العبد في الجنة، ولا يقولن عبد عند ذلك ثم يمضي إلا

(١) الدر المنثور - (ج ٩ / ص ٤٠١).

(٢) رسالة في النجوم: للخطيب البغدادي ص ١٢، المكتبة الأزهرية.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل - (ج ٤ / ص ٢٢٧).

لم يضره شيء قال عبد الله: أفرأيت إن لم يمض وقعد؟ قال: طعم قلبه طعم الإشراك^(١).

وفي الجامع لابن وهب: أن عبد الله بن عمرو بن العاص، التقى هو وكعب، بالكتابين، فقال له: يا كعب، علم النجوم؟ قال له كعب: لا خير فيه، قال عبد الله: لم؟ قال: ترى فيه ما تكره، يريد الطيرة، قال كعب: وإن مضى، وقال: «اللهم إنه لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك»، قال: ثم سكت، فقال عبد الله بن عمرو: لا حول ولا قوة إلا بك، قال كعب: جاء بها عبد الله، والذي نفسي بيده إنها لرأس التوكل وكنز العبد في الجنة، ولا يقولها عند ذلك ثم يمضي إلا لم يضره شيء، قال عبد الله: أفرأيت إن لم يمض فقعد؟ قال: طعم الإشراك^(٢).

محمد بن كعب القرظي وبيانه عدم تأثير النجوم بنفسها:

عن القرظي رَحِمَهُ اللهُ تعالى قال: ذكر عنده علم النجوم فقال: «والله ما في النجم موت أحد، ولا حياته، إنما جعل الله عَزَّجَلَّ النجوم زينة، ورجوما للشياطين»^(٣).

(١) الجامع لابن وهب - (ج ٢ / ص ١٥٥).

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل - (ج ٤ / ص ٢٢٧).

(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني - (ج ٢ / ص ٢٠٩).

الربيع بن خثيم، وبيانه كذب المنجمين.

قال الربيع بن خثيم: خلق الله تعالى هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعنيه وما لا علم له به وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة، والله ما جعل الله في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته وإنما يفترون على الله الكذب ويتعللون بالنجوم^(١).

(١) مشكاة المصابيح - (ج ٢ / ص ٥٤٢).

المراجع

١. القرآن الكريم
٢. صحيح البخاري.
٣. صحيح مسلم.
٤. سنن أبي داود.
٥. مسند أحمد.
٦. سنن ابن ماجه.
٧. السنن الكبرى للبيهقي.
٨. المصنف: لابن أبي شيبة، تحقيق حمد الجمعة، ومحمد اللحيدان، دار
الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥=٢٠٠٤م.
٩. مشكاة المصابيح: للتبريزي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة
الثانية، ١٤٩٩هـ=١٩٧٩م.
١٠. الجامع لابن وهب، تحقيق رفعت فوزي، وعبد الباسط مزيد، دار الوفاء،
الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.
١١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للألباني
ج ١ ص ٤٩١ مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

١٢. المحلى شرح المجلى: لابن حزم، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.

١٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٤. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥. معالم التنزيل: للبغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة.

١٦. أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الجصاص تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي..

١٧. تفسير القرآن العظيم مسنداً: لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة نزار، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧ م.

١٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت الطبعة الأولى.

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الألوسي، تحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٠. فتح القدير: للشوكاني، دار المعرفة، ٢٠١٣ م.
٢١. البداية والنهاية: لابن كثير، مكتبة المعارف، ١٤١٠هـ=١٩٩٠ م.
٢٢. سير أعلام النبلاء: للذهبي، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ=١٩٩٦ م.
٢٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي، المكتبة التوفيقية.
٢٤. معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، ١٣٩٧هـ=١٩٩٣ م.
٢٥. تاريخ الأمم والملوك: للطبري، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.
٢٦. الأعلام: للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، ١٩٨٦ م.
٢٧. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: للعصامي، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ=١٩٩٨ م.
٢٨. الكامل في التاريخ: لابن الأثير، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧ م.
٢٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود: للعظيم آبادي، تحقيق عصام الصبابطي، دار الحديث، ١٤٢٢هـ.
٣٠. أسباب نزول القرآن: للواحدي، تحقيق عصام الحميدان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ=١٩٩٢ م.
٣١. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي

بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٣٢. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

٣٣. معالم التنزيل: تفسير البغوي، تحقيق خالد العك، ومروان سوار، دار الزهراء، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

٣٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، المكتبة الأزهرية، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

٣٥. رسالة في النجوم: للخطيب البغدادي ص ١٢، المكتبة الأزهرية.

٣٦. الجامع لابن وهب، تحقيق رفعت فوزي، وعبد الباسط مزيد، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.

٣٧. فضائل الصحابة: لأحمد بن حنبل، تحقيق وصي الله عباس، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

٣٨. العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

البحث الرابع

الاحتساب

على السحرة والكهان والمنجمين

عند أئمة أتباع التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

أما بعد.

فإننا على موعد هنا مع قرن آخر من قرون أثنى عليها النبي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع جيل آخر ينتمى إلى الحقبة المباركة في مسيرة أمة الإسلام، مع حلقة هي الأخيرة على الراجح ^(١) فى سلسلة السلف، لقد سار خيار هذا الجيل على نهج التابعين الذين سلموهم راية الحق خفاقة، واستودعهم ميراث الصحابة، وميراث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد سار هؤلاء الكرام على الدرب وتبعوا الأثر، لقد جاهد هذا الجيل كما جاهد من قبلهم، فمضت جنود الحق تقاتل من كفر بالله، وتنشر ضياء الحق في أرض الله، وتغزو قلوباً بالإيمان الصادق، والعقيدة الصحيحة، والأخلاق الكريمة.

وأتباع التابعين هم أولئك الذين لقوا التابعين وأخذوا منهم وهم درجات وطبقات قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في تقريب التهذيب: وأما الطبقات فالأولى الصحابة على اختلاف مراتبهم... إلى أن يقول:

(١) نقصد قول أبي سعيد (رضي الله عنه) فلا أدري ذكر بعد قرنة قرنين، أو ثلاثة، وفي الأحادث: خير الناس قرن ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. الحديث.

السابعة: طبقة كبار أتباع التابعين: كمالك والثوري.

الثامنة: الطبقة الوسطى منهم، كابن عيينة وابن علية.

التاسعة: الطبقة الصغرى من اتباع التابعين، كيزيد بن هارون والشافعي، وأبي داود الطيالسي، وعبد الرزاق.

ثم قال عن الزمن... وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهو بعد المائة.

وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات: فهم بعد المائتين، ومن ندر عن ذلك بيئته^(١).

ومع هذه الأسماء الجليّة جم غفير من أئمة الدين، وحملة الشريعة كالأوزاعي والليث وغيرهما من الأعلام.

وامتاز هذا الجيل بميزات:

أولاً: جاهد كبار هذا القرن، واحتسبوا خطاهم وأعمالهم في جمع ميراث النبي ﷺ وأصحابه والتابعين، فجمعوا حديث النبي ﷺ، وجمعوا آثار الصحابة وأقوال التابعين كذلك، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في هدى السارى^(٢): اعلم علمني الله وإياك أن آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر أصحابه، وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين؛ أحدهما: إنهم

(١) تقريب التهذيب: لابن حجر ج ١ ص ٢٥، تحقيق أبو الأشبال الباكستاني، دار العاصمة، ١٤٢١هـ.

(٢) هدى السارى مقدمة فتح الباري: ابن حجر ص ١٤.

كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم.

وثانيهما: لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم؛ ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار فأول من جمع ذلك: الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما، وكانوا يصنفون كل باب على حدة، إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام فصنف الإمام مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم، وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة، وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمر والأوزاعي بالشام وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري وأبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم إلى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة وذلك على رأس المائتين فصنف عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي مسندا، وصنف مسدد بن سرهد البصري مسندا، وصنف أسد بن موسى الأموي مسندا، وصنف نعيم بن حماد نزيل مصر مسندا، ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك أثرهم.

فكان لهم الفضل بحفظ حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآثار أصحابه وآثار التابعين بعدما بدأ هذا الطريق التابعون الكرام، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عمر

بن عبد العزيز الذي خشى موت حفظة السنة، وخاف دروس العلم، وذهاب كنوز الإسلام وعماده وقوامه. فقل واحد من هؤلاء الكرام إلا وجمع من هذه الكنوز ما استطاع. فكتب مالك موطأه وكتبت موطآت أخرى لم تصل إلينا، وكتب عبد الرزاق مصنفه وتفسيره الأثرى، وكتب الليث والأوزاعي، وكتب سفيان الثوري، وكتب ابن عيينه كما بين ذلك ابن حجر.

فكانت لهم بذلك منة على أمة الإسلام، وكانت كتبهم الركيزة التي انطلق منها من جاء بعدهم، إذ وجدوا هذه الكنوز مجموعة، فراح كل واحد منهم يتتقى منها، ويقسم، وينقح ويوب، ويعرضها بالمنهج الذي ارتضاه، والذي هداه إليه ربه بدأه وسعيه، وما نتج عن عقله الذكي وقلبه الواعي.

ثانياً: من ميزات هذا القرن وجود الأئمة المتبوعين فيه، إذ امتاز هذا القرن بوجود أئمة الأمة الذين بارك الله لهم في علمهم، وسخر لهم تلاميذ حفظوا علومهم، ونشروا فقههم في الآفاق، فصار الناس يتبعونهم، كان منهم: أبو حنيفة ومالك، وحماد بن سلمة، وسفيان النوي والأوزاعي والليث، وابن عينية، والشافعي **رَحِمَهُ اللهُ**، وكان للجميع مذاهب مشهورة وكان لهم اتباع كثر، حتى إن كان فقه الواحد منهم ليغلب على قطر من أقطار المسلمين فالأوزاعي استأثر بن أهل الشام، والليث أهل مصر، ومالك أهل المدينة وأبو حنيفة أهل العراق، ولكن وصلنا نتاج وعلم وفقه ثلاثة منهم: هم أبو حنيفة ومالك والشافعي فقط لأسباب كثيرة مبسطة في مظانها من كتب تاريخ التشريع، وكتب التاريخ

والتراجم.

ثالثاً: لقد قدر الله لهذا القرن ووفقه للجهاد في ميدان جليل، وأن يواجهوا حرباً ضروساً على الملة الإسلامية، وإذا كان الكبار من هذا القرن قد نالوا شرف جمع كنوز الإسلام، ودونوا درر العلوم، فإن المتأخرين من هذا القرن نالوا شرف الدفاع عن هذا الميراث النبوي، وميراث الصحابة والتابعين، حافظوا على منهج النبي ﷺ وسلفه الصالحين من الصحابة والتابعين..

لقد جرى في هذا القرن أمر كان له أثره الكبير والخطير على أمة الإسلام وذلك حين ترجمت كتب الأقدمين، كتب اليونان، من فلسفة يونانية، ومنطق يوناني، وترجم مع هذه العلوم علم التنجيم، وحوت هذه الكتب السحر، والدعوة إلى عبادة الكواكب، وإنكار المعاد، ثم انتشرت في الأمة الإسلامية انتشار النار في الهشيم، واغتر بها أقوام وأدخلوها في علوم الإسلام ما بين مستقل من ذلك ومستكثر، وقد أعان على ذلك مناصرة الخلفاء والولاة لذلك، وتقديمهم أصل هذه العلوم، وإدراك الأرزاق على مترجميها.

وكان من أبرز من هذه العلوم علم الكلام، وعلم المنطق والعلوم الفلسفية، وما يغري به الناس من كتب الطب والهندسة والفلك، لكنهم أخفوا عن سواد الأمة ما في هذه الكتب من السحر، والتنجيم وعبادة الكواكب، وقد حمل أئمة هذا القرن المبارك على ما ظهر من كتب القدماء، وأشاعه أهله، ووجدوه مشحوناً بالمخالفة لدين الإسلام بل بالكفر في كثير من مواضعه، فهبوا يدفعون

هذا النقل دفعاً، ومنع المتتبعون لآثار من سبقهم في هذا الجيل الاشتغال بما ترجم من علوم ومعارف وعقائد مخالفة.

وفي هذا البحث سنعرض احتساب الأكارم من أتباع التابعين على السحر، والسحرة، والكهانة والتنجيم.

ويشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقوال الأئمة في السحر والسحرة.

المبحث الثاني اشتمال الترجمة على السحر والتنجيم.

المبحث الثالث: تحذير أهل العلم والإيمان من أتباع التابعين من هذه الكتب.

المبحث الأول: احتساب أئمة اتباع التابعين على السحرة الطاغين

لقد بين أئمة اتباع التابعين في احتسابهم حكم السحر، كما بينوا حكم الله في السحرة.

لقد بين الأئمة أن للسحر حقيقة قال ابن القصار: ذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي أن السحر له حقيق، وقد يمرض من يفعل ويموت ويتغير عن طبعه^(١).

مالك والشافعي وأبو ثور وبيان حكم الساحر:

رأى مالك أن من سحر بنفسه يقتل، ولا تقبل له توبة؛ لأن الله تعالى سمى السحر كفراً بقوله: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وفصل الشافعي: فقال لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحرة، وروى عنه أنه يسأل من سحره، فإن كان كفراً استتيب منه^(٢). فهنا أمر، وهو: أن من سحر بما هو كفر، كفر حتى مع تفصيل الشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، الذي ذكر أن السحر الذي يشرك فيه بالله، ويعبد فيه غيره كفر. وإننا لنرى أن الساحر القاتل ارتكب ما هو أعظم القتل، فإنه قتل بالسحر، وفرق بين من قتل بأداة وبين من قتل بالطلسم وغيره من وسائل السحر وهي كفر، وفرق بين قاتل مجرد، وبين قاتل بما هو كفر.

قال ابن بطال: واحتج أصحاب مالك بأنه لا تقبل توبته، بأن السحر باطن

(١) شرح البخاري: لابن بطال ج ١٨ ص ٥١.

(٢) شرح البخاري: لابن بطال ج ١٨ ص ٥١.

لا يظهره صاحبه، فلا تعرف توبته كالزنديق، وإنما يستتاب من أظهر الكفر كالمرتد^(١).

وجاء في تفسير القرطبي: واختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم^(٢) والذمي، فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب، ولا تقبل توبته، لأنه أمر يستسر به كالزنديق والزاني، ولأن الله تعالى سمى السحر كفرا بقوله: « وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر » وهو قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي^(٣).

وفي تفسير القرطبي أيضا: احتج أصحاب مالك بأنه لا تقبل توبته، لأن السحر باطن لا يظهره صاحبه فلا تعرف توبته كالزنديق، وإنما يستتاب من أظهر الكفر مرتدا، قال مالك: فإن جاء الساحر أو الزنديق تائبا قبل أن يشهد عليهما قبلت توبتهما، والحجة لذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾^(٤) فدل على أنه كان ينفعهم إيمانهم قبل نزول العذاب، فكذلك هذان. ولا يرث الساحر ورثته، لأنه كافر إلا أن يكون سحره لا يسمى كفرا^(٥). ونحن نقول إلا إذا كان يطلق عليه ذلك تجوزا، كمن يدعي ذلك، أو يستخدم ألعاب الخفة، أو

(١) السابق ج ١٨ ص ٥٢.

(٢) الساحر المسلم أي المنتسب إلى الإسلام ظاهرا، وإلا فإنه لا يكون ساحرا حقيقيا إلا إذا كفر، جاء بما يمرق به من دين الإسلام، مما سيأتي تفصيله في كتاب السحر إن شاء الله تعالى.

(٣) تفسير القرطبي - (ج ٢ / ص ٤٧).

(٤) الآية ٨٥ سورة غافر.

(٥) تفسير القرطبي - (ج ٢ / ص ٤٩).

يخادع الناس مخادعة، أي أنه ليس ساحرا حقيقة..

وقال الجصاص: وَأَمَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فَإِنَّهُ أَجْرَى السَّاحِرِ مَجْرَى الزَّانِدِ، فَلَمْ يَقْبَلْ تَوْبَتَهُ كَمَا لَا يَقْبَلُ تَوْبَةَ الزَّانِدِ، وَلَمْ يُقْتَلْ سَاحِرَ أَهْلِ الذِّمَّةِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِلْقَتْلِ بِكُفْرِهِ وَقَدْ أَقْرَزَاهُ عَلَيْهِ، فَلَا يُقْتَلُ إِلَّا أَنْ يَضُرَّ بِالْمُسْلِمِينَ فَيَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَهُ نَقْضًا لِلْعَهْدِ. فَيُقْتَلُ كَمَا يُقْتَلُ الْحَرَبِيُّ وَقَدْ بَيْنَا مُوَافَقَةَ السَّاحِرِ الذِّمِّيِّ لِلزَّانِدِ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ اسْتَحْدَثَ كُفْرًا سِرًّا، لَا يَجُوزُ إِقْرَارُهُ عَلَيْهِ بِجَزِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا، فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاحِرِ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ؛ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمُحَارِبِ فَلَا يَخْتَلِفُ حُكْمُ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُتَحِلِّي الذِّمَّةِ. (١).

وجاء في المنتقى شرح الموطأ: (مَسْأَلَةٌ) وَمَنْ قَتَلَ السَّاحِرَ فَقَدْ قَالَ ابْنُ الْمَوَازِ: مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ إِنَّ السَّاحِرَ كَافِرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا سَحَرَ هُوَ فِي نَفْسِهِ يُرِيدُ أَنَّهُ بَاشَرَ ذَلِكَ قَالَ: فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، قَالَ وَالسَّحَرُ كُفْرٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: « وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ »، وَبِهِ قَالَتْ حَفْصَةُ وَابْنُ عُمَرَ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَابْنُ شِهَابٍ وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَوَجْهُهُ مَا تَعَلَّقَ بِهِ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنَّهُ كُفْرٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مِنَ الْكُفْرِ الَّذِي لَا يُقَرُّ أَحَدٌ عَلَيْهِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا تَقَدَّمَ إِسْلَامُ فَالْكَافِرُ بِهِ مُرْتَدٌّ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُوصَفَ السَّاحِرُ بِأَنَّهُ كَافِرٌ: بِمَعْنَى أَنَّ فِعْلَهُ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ الْجَحْدُ لِلْبَارِي تَعَالَى، وَكَمَا لَوْ أَخْبَرَنَا نَبِيٌّ صَادِقٌ أَنْ لَا يَدْخُلُ دَارَ كَذَا إِلَّا كَافِرٌ، ثُمَّ رَأَيْنَا رَجُلًا دَخَلَهَا لِحَكْمِنَا

بِكُفْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُخُولُهُ الدَّارَ كُفْرًا، وَلَكِنَّا نَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى كُفْرِهِ، وَإِنْ أَخْبَرَ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ عَلِمْنَا كَذِبَهُ؛ لِأَنَّ الصَّادِقَ أَخْبَرَنَا عَنْهُ بِأَنَّهُ كَافِرٌ.

(مَسْأَلَةٌ) إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَمَنْ عَمِلَ السَّحَرَ قُتِلَ، فَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا فَفِي الْمَوَازِيَةِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ يَقْتُلُ سَاحِرٌ مُسْلِمًا أَوْ ذِمِّيًّا، قَالَ مَالِكٌ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَصْبَغُ هُوَ كَالزُّنْدِيقِ، وَمَنْ كَانَ لِلْسَّحْرِ أَوْ لِلزُّنْدَقَةِ مُظْهِرًا أُسْتُيِبَ، فَإِنْ لَمْ يَتُبْ قُتِلَ، قَالَ ابْنُ الْمَوَازِ: السَّحَرُ كُفْرٌ فَمَنْ أَسْرَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ قُتِلَ، وَإِنْ أَظْهَرَهُ فَكَمَنْ أَظْهَرَ كُفْرَهُ، وَحَكَى الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ أَنَّهُ لَا يُسْتَتَابُ، وَإِنْ تَابَ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ، وَحَمَلَ ذَلِكَ عَلَى قَوْلِ مَالِكٍ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلِمَهُ كُفْرًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ فَلَا تَكْفُرْ: أَيُّ بَتَعْلَمِ السَّحَرَ، فَتَقَرَّرَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَا حَكَاهُ عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَصْبَغَ وَابْنِ الْمَوَازِ مُخَالَفٌ لِقَوْلِ مَالِكٍ أَوْ تَأْوَلَا عَلَيْهِ غَيْرَ مَا تَأَوَّلَهُ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ ^(١).

أبو حنيفة:

في الشرح الكبير لابن قدامة: وقال الشافعي إن اعتقد ما يوجب الكفر مثل التقرب إلى الكواكب السبعة أنها تفعل ما يلتبس، أو اعتقد حل السحر كفر؛ لأن القرآن نطق بتحريمه وثبت بالنقل المتواتر والإجماع. وحدث الساحر القتل روي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله، وجندب

(١) المنتقى شرح الموطأ: للباقي (ج ٤ / ص ٢٤٢).

بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة^(١).

اسحاق بن راهوية وقوله في الساحر:

قال ابن رجب: وهو مذهب جماعة من العلماء، منهم: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يَكْفُرُ بِسِحْرِهِ، فَيَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ الْمُرْتَدِّينَ^(٢).

(١) الشرح الكبير لابن قدامة - (ج ١٠ / ص ١١٤).

(٢) جامع العلوم والحكم - (ج ١٦ / ص ١٧).

المبحث الثاني: ترجمة الكتب اليونانية وبيان اشتمالها على السحر وعبادة الكواكب

لقد أعرض أتباع التابعين عن كتب القدماء حين ترجمت، مستغنيين في دينهم وعقائدهم بالقرآن وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبكلام سلفهم الصالح من الصحابة والتابعين، معتقدين وموقنين أن في هدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهدى القرنين الكريمين من بعد الكفاية والغنى، فلا ينظرون في هذه الكتب، ولا ينتظرون منها أن تعرفهم ربهم سبحانه وأسمائه وصفاته، ولا يرجون منها أن تنير لهم الطريق، وكيف يكون ذلك كذلك وكتبها مشركون عبدة أوثان. فليس في معرفتهم بالله ورسله وآياته لا عقل ولا نقل، وفي هذا المطلب بيان لاشتمال هذه الكتب مع الخطأ والخلل فيما يتعلق بذات الله وصفاته، وفيما يتعلق بخلق الكون، فيها السحر وعبادة الكواكب.

قال شيخ الإسلام: ومعنى الكهانة والسحر موجود في كثير من المتفلسفة والمتصوفة والمتكلمة والعامة والمتفكرة الخارجين عن الشريعة الذين يتكلمون بالغيوب عن كهانة ويحركون النفوس بالشعر ونحوه وهم من اتباع المتنبيين الكذابين لهم مادة من الشياطين. كما قد رأينا كثيراً في أنواع من هذه الطوائف وغيرها لمن نور الله صدره وقذف في قلبه من نوره^(١). إن هذه الكتب المترجمة التي غزت العالم الإسلامي وكانت سبباً في فساد علمي وعقدي

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ج ١ ص ١٢٥.

خطير، وكانت السبب الأكبر في تمزق الامة ودخول الأهواء فيها، وكانت سببا في ترك كثير من الفرق لمنهج الكتاب والسنة، وجر آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى القواعد التي فتنوا بها في هذه الكتب، نقول إنها لم تدخل الامة الإسلامية دفعة واحدة، وإنما بدأت الترجمة بعلوم تجريبية كالطب والهندسة، وبعلوم فيها تدبر لآيات الله الكونية، والانتفاع بذلك كعلوم الفلك، ثم تطور الأمر حتى ترجمت الكتب التي تضع قواعد الفكر، وتتحدث عن الله تعالى وجودا وذاتا وصفات، وما في هذه الكتب من سحر وتنجيم ترجم في وقت مبكر لكن لم يظهر من ذلك إلا النذر اليسير حتى لا ينفر الناس من ذلك.

جاء في كتاب: (مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية) ما يلي: بدأت الترجمة بترجمة المعاهدات والوثائق الرسمية، وفي عصر المنصور ترجمت مقالات العلوم والفلسفة الأدبية.

وفي عصر الرشيد أنشأت الحكمة^(١).

وفي (كتاب ابن تيمية وموقفه من الفلسفة): تعود بدايات ترجمة الفلسفة اليونانية، إلى زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور: (١٣٦-١٥٨هـ)، الذي أمر بترجمة بعض الكتب القديمة. ثم توسع مجال الترجمة زمن الخليفة هارون

(١) موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلسفة ومنهجها: الدكتور صالح بن غرم الغامدي ص ٥٠٦، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

الرشيد (ت ١٩٣هـ) عندما أمر الطبيب النصراني يُوحنا بن ماسويه، بترجمة الكتب القديمة التي عثر عليها بمدينة أنقرة، وعمورية، وسائر بلاد الروم، وعيَّنه أميناً عاماً على عملية الترجمة من اللغات القديمة إلى اللغة العربية^(١).

وقد ذكر الدكتور سامي النشار: (وكان أول علم اعتني به من علوم الفلسفة: علم المنطق والنجوم) مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسي^(٢).

وقد نبه أيضاً إلى ارتباط علم الفلك بالتنجيم الدكتور عبد الحميد مذكور في تحقيقه للجزء الخاص بعلم الهيئة من كتاب الشفا لابن سينا، إذ قال: وفي وسعنا أن نقرر أنه لا تكاد توجد دراسة تجريبية أولع بها علماء الإسلام ولوعهم بالظواهر الفلكية، فأسسوا المراصد، واستخدموا آلات الرصد الدقيقة، وقاموا بعدة أرصاد كشفت عن حقائق علمية هامة. وتنافس في ذلك الخلفاء والولاة، فكان لكل خليفة أو وال مرصده الخاص الذي يشرف عليه فلكي كبير، ومن بين هذه المراصد مرصد المأمون في جبل قيسون بدمشق، ومرصد بنى شاعر ببغداد، والمرصد الحاكمي في جبل المقطم بالقاهرة، ومرصد المراغة لنصير الدين الطوسي. ولا غرابة فقد اختلط الفلك بالتنجيم منذ نشأته، وكم من علوم

(١) مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي: الأستاذ الدكتور خالد كبير علال، دار الوراق.

(٢) مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسي: الدكتور علي سامي النشار ص ٨، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م.

حققة نبتت في جو الخرافات والأساطير. وكان الإنسان ولا يزال مولعا بتعرف غده والكشف عن حظه ومستقبله، فربط سعادته وشقاءه، وصحته ومرضه، بحركات الأجرام السماوية ورغب في أن يتقن الحروب والآفات بواسطة التنجيم. يتفائل لمطلع نجم، ويتشاءم لاختفائه، فأفسح المجال للعرافين والمنجمين. ويقال إن المنصور الخليفة العباسي الثاني كان شغوفا بالمنجمين يصطفاهم ويصحبهم في أسفاره ورحلاته، وفي ضوء تنبؤاتهم وضع الحجر الأساسي لمدينة بغداد. وكثيرا ما كان يلجأ الحاكم بأمر الله إلى مرصده لكي يقرأ الطالع ويكشف عن الغيب. وقد سمي التنجيم في الثقافة العربية باسم « علم أحكام النجوم »، وسلم به قوم، وأنكره آخرون...^(١).

ومن العجيب أن ينشر هذا الكتاب في قم الشيعة الرافضية، ويكون من منشورات مكتبة من يسمونه آية الله العظمى المرعشي النجفي.

المرجمون للمكتب اليونانية:

لقد كان أكثر القائمين على أمر الترجمة من غير المسلمين، بل لقد نشأ أكابرهم في معاقل السحر والتنجيم، ومواطن عبادة الكواكب، يقول العلماء في ذلك: وإلى جانب مدرسة حران كانت توجد مدرستا الرها ونصيبين. وهما

(١) الشفا لابن سينا الرياضيات وعلم الهيئة: تصدير الدكتور ابراهيم بومى مركور، تحقيق الدكتور محمد رضا مدور، الدكتور إمام ابراهيم أحمد ص ٩، من منشورات مكتبة من يسمونه آية الله العظمى المرعشي النجفي.

منطقتان سريانيتان، وكان يشرف عليها أساتذة من طائفة النصارى النساطرة^(١). أما جند يسابور فقد ظهرت فيها مدرسة كانت مجمعا لفلسفات عدة: من يونانية، وسريانية، وفارسية، ومن هذه المدرسة ظهر يوحنا بن ماسويه، في أول القرن الثالث الهجري، حيث جعله المأمون في سنة (٢١٥ هـ) رئيسا لبيت الحكمة الذي أنشئ للترجمة^(٢).

وإن طائفة السريان الذين كانوا يقيمون في بلاد الشام، قد استفادوا من مبدأ السماح لأصحاب الديانات المخالفة بالإقامة بين المسلمين وفي بلادهم، مع بقائهم على دينهم النصراني، وكانوا قد عرفوا الفلسفة اليونانية، فقاموا بعملية نقل وترجمة الكتب الفلسفية، لمختلف المدارس الفلسفية لاسيما الأفلاطونية المحدثة. وقد فتحوا لذلك عدة مدارس في أنطاكية، وحران، والرها، ونصيبين، ومن ثم تعرف المسلمون على ذلك الخليط من فلسفة اليونان والرومان الممزوج ببعض تعاليم الديانتين اليهودية والنصرانية^(٣). وقد غلبت على تلك المدارس التي أنشأها السريان في أنطاكية، وحران، والرها، ونصيبين، النزعة النصرانية وكان منهجها يشبه -إلى حد ما- أسلوب مدرسة الإسكندرية في العهد المتأخر، من حيث الاتجاه إلى التوفيق بين النصرانية والفلسفة. وقد اشتهر من رجال مدرسة أنطاكية: يعقوب الرهاوي ت (٧٠٨م)، وبعد ما يقارب

(١) أنظر: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية / ماكس مايرهوف (٥٣).

(٢) أنظر: نشأة الفكر الفلسفي (١/١٠٦، ١٠٧)، وضحي الإسلام / أحمد أمين (١/٢٥٦).

(٣) أنظر: نشأة الفكر الفلسفي (١/١١٠)، وتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (٦٧).

المائة والأربعين سنة انتقل تعليم الفلسفة من مدرسة أنطاكية إلى مدرسة حران، وكانت حران مركزاً من مراكز السريان، وقبل ذلك كانت موئلاً للصابئة، وقد ظهر أثر الصابئة في العالم الإسلامي بما أشاعوه من اهتمام بعلم الفلك، والسحر، والتعاويذ، وكانت الراسية في مدرسة حران تشمل الفلك والرياضة، والسحر، والفلسفة. (١).

ومع مجيء عصر المأمون انفتح باب الترجمة على مصراعيه وعمل مالم يعمل سابقه، بأن قام بترجمة الفلسفة الإلهية - فلسفة أرسطو وغيره * بطريقة مقصودة، مع إعجاب بها، وهو الأمر الذي آثار على المأمون غيظ فقهاء المسلمين، إذ بسبب صنعة تسللت العناصر الأجنبية التي سعت في تغيير طريقة النظر في العقيدة الإسلامية. واتسم عصره بأخذ الثقافة من مواردها الأصلية، والبحث عنها في منابها القاصية، وشجع على ترجمة أمهات الكتب الأجنبية من مختلف اللغات؛ في الفلسفة والطب والطبيعة والفلك والرياضة.... وقد وثق علاقاته بملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الثمينة، وسألهم صلته بما حضروهم ن كتب أفلاطون وأرسطو... وكان من شروط عقد الصلح بينه وبين الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الأستانة... وازدهرت مكتبة بيت الحكمة، وقد طورها المأمون تطويراً كبيراً عما كانت عليه، وعمل

(١) راجع موقف شيخ الإسلام من الفلسفة: للغامدي ص ٢١٤ باختصار.

فيها كثير من النقلة عن اللغة اليونانية والسريانية والفارسية والقبطية^(١) . .

لقد كانت حركة الترجمة في بداياتها محتشمة، وكان الغرض منها استقصاء التراث العلمى للأمم القديمة، ولذلك عمدوا إلى الفلسفات الطبيعية والرياضية وأعرضوا عن نقل الآثار الدينية، والملاحم.

وظهر الإسلام، واستقر المسلمون في البلاد المفتوحة. وأحس اليهود لأول مرة في تاريخهم بالأمن والطمأنينة. كان كتاب المسلمين يعتبرهم «أهل ذمة» لهم حقوق وعليهم واجبات. ويعترف فيدا وهو عالم يهودى معاصر بموقف المسلمين لمتسامح أكبر تسامح تجاه اتباع الكتب المقدسة. وصل عدد كبير من اليهود في عصور الإسلام إلى أعلى درجات الوظائف المدنية، وسيصل البعض منهم في الأندلس إلى مقام الوزارة. ولقد رأينا - من قبل - كيف حمل اليهود الأضغان للدين الجديد، وبدءوا العداوة في المدينة. ورأينا كيف اندفع اليهود من اليمن، وكانت في اليمن جالية يهودية كبيرة، انتشرت فيها السيمياء والكيمياء والتنجيم والسحر والطلاسم، وأن منها أتى عبد الله بن سبأ من ناحية، وكعب الأحبار من ناحية ووصل اليهود إلى الكوفة، وسكنوا فيها، وعاونوا على إشعال «التشيع الغالى» وعلموا الكثير من رجاله السحر واليرنجات. كما اندسوا في قلب الحديث. ينشرون الإسرائيليات المضللة. ولكن حتى في هذا لم تكن لهم فلسفة أو فكر فلسفى. وأخذ عدد كبير من اليهود يعتنق الإسلام.

(١) موقف شيخ الإسلام من الفلسفة: للغامدي ص ٢١٤ بتصرف يسير.

وهنا رأى «الكنيس» أن يبدأ الحرب العقلية والجدل العقلي. يقرر مولك أن الحركات العقلية في العالم الإسلامي أثرت بقوة على الكنيس، وقد ولد هذا نزاعاً واصطداماً، اضطر رجاله من اليهود أن يستخدموا وسائل وأسلحة أخرى - غير الأسلحة المستخدمة في المدارس التلمودية لحل المشاكل التي قابلتهم، مشاكل نظرية، ومشاكل عملية. وكان اليهود خلواً من أي تراث فلسفي، كانت النزعات الفلسفية التي انبثقت من يهود اسما - كفيلون وغيره - لاتمثل اليهودية في شيء. ولذلك نرى أنهم لم يشاركوا في حركة الترجمة المشهورة - ترجمة علوم اليونان إلى العربية، شارك العرب فيها المسيحيون السوريون من يعاقبه ونساطرة، وشارك فيها الصابئة ولكننا لا نجد أبداً اسم يهودي واحد، قام بالترجمة، كان اليهود فقط أصحاب علوم سرية وسحرية: السحر والتنجيات والسيمياء، مع بعض عناصر من كيمياء بدائية، وامتحن الكثير منهم الطب، فلما جاءت حركة الترجمة، كانوا خلواً من كل استعداد علمي لها، فلم يشاركوا فيها^(١).

ويمكننا القول بأن التطور الفكري الذي يتعلق بعلوم الإلهيات أو ما يسمى ماوراء الطبيعة؛ حدث في زمن يحيى بن خالد البرمكي، الأمير العباسي المشهور من أسرة البرامكة ذات الأصول الفارسية، إذ يذكر السيوطي أنه بعث إلى ملك الروم بالهدايا الكثيرة، حتى طب منه كتب اليونان التي قد بنى عليها

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور سامي النشار ج ١ ص ٢٠٩.

النصارى، ولم يخرجوها إلى شعوبهم، فوافق^(١)..

قال الدكتور النشار: لكن المسألة على وجهها الصحيح أن ابن المقفع لم يتم بترجمة هذه الكتب ولكن قام بتخليصها كما قلنا. وتفيد في التلخيص بالنص الأصلي تقيداً تاماً، ولم يحاول مطلقاً أن يغير من اصطلاحات النص، أو من ترتيب الكتاب - كما هو الشأن عند جميع ملخصي الكتب القديمة في العالم الإسلامي.

وبعد ذلك قام بترجمة كتب أرسطو المنطقية إلى آخر الأشكال الحملية أبو نوح، ثم سلم صاحب بيت الحكمة، وهما نصرانيان من السوريان، وكان الأخير معاصر للمأمون (١٩٨-٢١٨ هـ = ٨١٣-٨٣٣ م) على ما يذكر صاحب الفهرست. وقد قام حنين بن إسحاق ومدرسته - بعد سلم - بنقل الأورجانون جميعه من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية ثم إلى العربية، أو من اللغة اليونانية إلى العربية مباشرة. وأبرز أفراد تلك الأسرة إن مؤسسها أسحق (٩١٠ م) وكان إسحاق نصرانيا كوالده ولكنه أسلم على يد المكتفى. وترجم إسحاق أكثر أجزاء الأورجانون وقام بترجمة بعض أجزاء الأورجانون أبو بشر متى بن يونس. وفي أول النسخة المصورة لأنالوطيكا الثانية الموجودة في مكتبه جامعة فؤاد يذكر أن ناقلها أبو بشر متى بن يونس القنائي إلى العربي بعد نقل إسحاق بن حنين للنص اليوناني إلى السورياتي. كذلك يذكر في أول كتاب العر أن أبا بشر متى بن

(١) انتهى من مراحل نقل العلوم الفلسفية: للدكتور خالد الشنير ص ٨٣٥..

يونس نقله من السورانية إلى العربية. ولمتى أثر كبير في دراسة المنطق أيضاً بحيث يذكر صاعد عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأعمى «أنه كان منطقياً وألف كتاباً مبسوطاً في المنطق ذهب فيه إلى مذهب متى بن يونس». ومن بين المترجمين الذين ترجموا بعض أجزاء الأورجانون عبد المسيح بن ناعمة الحمصي. ثم أتى بعد هؤلاء سورياني آخر له أهمية في ترجمة المنطق هو يحيى بن عدى. (٩٧٤م) وقد سمي المنطق لشهرته في ترجمة المنطق. ولم يكتف يحيى بن عدى بالترجمة بل اختصر بعض الكتب المنطقية وعلى العموم تُرجم المنطق الأرسطاليسي تراجم عدة ونقل إلى العالم الإسلامي. ووصلت إلينا في العصور الحديثة ترجمة كاملة للأورجانون تحتفظ بها المكتبة الأهلية بباريس. وفي مكتبة جامعة فؤاد نسخة مصورة منها^(١).

إن معظم الذين تولّوا ترجمة الكتب القديمة إلى اللغة العربية، هم من أهل الذمة، وقلة منهم من المسلمين، كالفيلسوف يعقوب الكندي، وأما الذميون فمنهم: يوحنا بن ماسويه، وحنين بن إسحاق، وإسحاق بن حنين، وحبش بن الأعسم، وثابت بن قرة الصابي، ويحيى بن البطريق، واقليدس بن ناعمة، وزروبا بن ماجوه الحمصي، وآوي بن أيوب، وأصطفن بن باسيل، و صليبا أيوب الرهاوي، و داريع الراهب، وغيرهم كثير.

وأما ما ترجمه هؤلاء من علوم الأوائل، فتأتي الفلسفة اليونانية في مقدمتها،

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور سامي النشار ٢٠٩.

و كانت تظم أربعة علوم رئيسية، أولها المنطق، وثانيها الطبيعيات كالحيوانات، والنباتات، والأجسام والمحسوسات. وثالثها الإلهيات -الميتافيزيقا- وهي خاصة بغيبيات ما وراء الطبيعة. ورابعها المقادير، وتسمى أيضا: التعاليم، وتشمل عدة علوم، كالهندسة، والأثماطيقى -العدد-، والموسيقى والهيئة -علم الفلك وأشير هنا إلى أن عملية ترجمة العلوم القديمة إلى اللغة العربية صاحبها نقائص كثيرة، وكانت لها آثار سلبية خطيرة على المجتمع الإسلامي.... بعدما تُرجمت الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، أقبل عليها طائفة من أهل العلم، فتأثروا بها وأحبوها وانتموا إليها، ونشروها في مختلف الأمصار الإسلامية، بفضل نشاطهم الدؤوب، وكثرة مصنفاتهم الفلسفية.

فمن رجالها الأوائل في القرن الثاني الهجري: والي حلب إسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي العباسي، كان يعرف الفلسفة والنجوم ويضرب آلة العود. والثاني هو: أبو الفضل صالح بن عبد القدوس الأزدي المتفلسف الزنديق. والثالث: جابر بن حيان (ت ٢٠٠هـ)، صنف كتبا كثيرة في علوم الأوائل، كالكيمياء، والهيئة والطب، والفلسفة، منها: مصححات سقراط، ومصححات أفلاطون، ومصححات أرسطو، وذكر ابن النديم أن مصنفات جابر في الفلسفة زادت عن ٢٩٥ كتابا.

وفي القرن الثالث الهجري اشتهر من رجالها بالمشرق الإسلامي خمسة، أولهم الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد، وبأمره تُرجم معظم تراث علوم

الأوائل، و كان مطلعاً عليه، مزج بينه وبين علوم المسلمين. و ثانيهم الفيلسوف يعقوب الكندي البغدادي، كان من كبار المترجمين، و له مصنفات كثيرة في الفلسفة، منها: الحث على تعلّم الفلسفة، و كتاب الفلسفة الأولى، و ترتيب كتب أرسطو، و كتاب لا تنال الفلسفة إلا بالرياضيات. و ثالثهم قدامة بن جعفر، برع في المنطق و كان من الفلاسفة البلغاء. و رابعهم أبو معشر جعفر بن محمد البلخي البغدادي (ت ٢٧٢ هـ)، قرأ علوم الأوائل، و برع في علم النجوم، و صنف فيها كتباً، منها: كتاب المواید الكبير، و هيئة الفلك، و الاختيارات في منازل القمر. و آخرهم: أحمد بن الطيب السرخسي البغدادي (ت ٢٨٦ هـ)، هو تلميذ يعقوب الكندي، له مصنفات كثيرة في الفلسفة، منها: اختصار إيساغوجي لفرفوريوس، و اختصار كتاب فاطيو غورياس، و اختصار كتاب بارير میناس، و اختصار كتاب أنالوطقيا الأولى.

و أما رجالها في القرن الرابع الهجري، فأشهرهم أربعة، أولهم الطبيب أبو بكر بن زكريا الرازي ثم البغدادي، له كتب كثيرة في الطب و الهندسة و الفلك، و المنطق و الإلهيات، منها: المدخل إلى المنطق و الكيمياء، و هيئة العالم، ذكر فيه أن الأرض كروية، و أنها تتوسط الفلك، و أن الشمس أعظم من الأرض، و القمر أصغر منها. و له كتابان آخران رد فيهما على المتكلم المعتزلي الجاحظ، في انتقاداته للفلاسفة. و الثاني هو: أبو نصر محمد الفارابي (٣٣٩ هـ)، له مصنفات كثيرة في الرياضي و الإلهي، و هو الذي أعاد تلخيص و تهذيب

علوم الأوائل، عندما طلب منه ذلك أحد ملوك زمانه، فسمي عمله هذا بالتعليم الثاني، وسمي هو بالمعلم الثاني، وعلی مؤلفاته تخرّج الفيلسوف ابن سينا و من جاء بعده من الفلاسف و ثالثهم الوزير أبو الفضل بن العميد (ت ٥٣٦٠هـ)، كان أديبا متفلسفا، مطلعاً على علوم الأوائل . و أبو حيان التوحيدي (ت بعد: ٥٤٠٠هـ)، له مصنفات في الأدب و الفلسفة، منها كتاب كبير في تصوّف الحكماء و الفلاسفة . و يلحق بهؤلاء أصحاب رسائل إخوان الصفا و خلان الوفاء، و هم جماعة مزجوا بين الفلسفة و الإسلام، وفق منهاجهم الباطني الإسماعيلي، عاشوا في القرن الرابع الهجري، منهم: زيد بن رفاعه، و أبو محمد النهرجوري، و علي بن هارون الزنجاني (١).

جاء في كتاب موقف شيخ الإسلام من الفلسفة ما يلي: وأشار في هذا المقام إلى جملة أمور لها علاقة وطيدة بالفلسفة اليونانية و رجالها،

أولها أنه توجد طائفة من الفلاسفة عاشوا بين المسلمين و هم من أهل الذمة، و كان لهم دور بارز في خدمة الفلسفة اليونانية و نشرها بين المسلمين، منهم ثلاثة من أسرة واحدة، هم: المنجم ثابت بن قرة (ت ٥٢٨٨هـ)، و ابنه إبراهيم، و حفيده الطيب ثابت بن سنان، و كانوا كلهم على دين الصابئة عبدة الكواكب. و رابعهم أبو بشر متى بن يونس البغدادي (ق: ٥٤٠هـ)، كانت له حلقة ببغداد يُدرّس فيها المنطق، يحضرها مئات من المشتغلين بالمنطق، و من تلامذته المشهورين

(١) انتهى من مراحل نقل العلوم الفلسفية: للدكتور خالد الشنير ص ٨٣٥.

أبو نصر الفارابي.

والأمر الثالث: هو أن المنطق اليوناني شهد انتشارا واسعا بين أهل العلم في القرن السادس الهجري و ما بعده، منذ أن أدخله أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في أصول الفقه، وحثّ عليه و جعله مدخلا لكل العلوم، و من لم يحط به فلا ثقة في علمه حسب زعمه، وبتأثير منه -أي الغزالي- أقبل كثير من أهل العلم على المنطق الصوري و تنافسوا فيه، وقد أحصيت لهم أكثر من ثلاثين كتابا صنفوه في المنطق . و لاشك أن ما فعله هؤلاء هو خدمة كبيرة للفلسفة اليونانية، وانتصار كبير لها في تغلغلها بين أهل العلم المسلمين، وفي تأثيرها على الفكر الإسلامي و غزوه.^(١)..

وقال القفطي: موسى بن شاكر مقدم في علم الهندسة هو وبنوه محمد بن موسى وأحمد أخوه والسن أخوهما وكانوا جميعاً متقدمين في النوع الرياضي وهيئة الأفلاك و حركات النجوم وَكَانَ موسى بن شاكر هَذَا مشهوراً في منجمي المأمون وَكَانَ بنوه الثلاثة أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل ولهم في ذَلِكَ تآليف عجيبة تعرف بحيل بني موسى وهي شريفة الأغراض عظيمة الفائدة مشهورة عند الناس وهم مم تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب وَقَدْ أتعبوا نفوسهم فيها وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها إِلَيْهِمْ فأحضروا

(١) موقف شيخ الإسلام من الفلسفة: للغامدي ص ٢١٤ بتصرف يسير، مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية: خالد علال ٢٨٠، دار المحتسب، ٢٠٠٨ م. مراحل نقل العلوم الفلسفية: للدكتور خالد الشنير ص ٨٣٥.

النقلة من الأصقاع والأماكن بالبدل السني فأظهروا عجائب الحكمة وَكَانَ الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم، وتوفي ولده محمد بن موسى وهو الأجل في سنة تسع وخمسين ومائتين في شهر ربيع الأول وَكَانَ لأحمد بن موسى ولد يقال لَهُ مطهر قليل الأدب، ودخل في جملة ندماء المعتضد ولي موسى من الكتب. كتاب الفرستون. كتاب الحيل لأحمد بن موسى. كتاب الشكل لمدور المستطيل للحسن بن موسى. كتاب حركة الأفلام الأولى مقالة لمحمد بن موسى. كتاب مخروطات لمينوس لمحمد. كتاب الشكل الهندسي الَّذِي بَيْنَ جالينوس أمره. كتاب الجزء لمحمد. كتاب فِي أول العدل لمحمد. كتاب فِي إنكار أن تم كرة تاسعة الأفلاك لأحمد بن موسى. كتاب لمسألة الَّتِي ألقاها أحمد بن موسى عَلَى سند ابن علي. كتاب مساحة الكرة وقسمة الزاوية بثلاث أقسام متساوية^(١).

عصر المأمون^(٢) والتوسع في الترجمة:

- (١) مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية: خالد علال ص ٢٨٠.
- (٢) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، ممن عُني بالفلسفة، وعلوم الأوائل، ومهر فيها، واجتمع عليه جمع من علمائها، فجره ذلك إِلَى القول بخلق القرآن. وذكر المؤرخون أَنه كان بارعاً فِي الفقه، والعربية، وأيام الناس، وكان ذا حزم، وحُكم، وعلم، ودهاء، وهيبة وذكاء، وسماحة، وفطنة، وفصاحة، قيل: إن ملاحاً مر والمأمون جالس، فقال: أَتظنون أَن هذا ينبل فِي عيني، وقد قتل أخاه الأمين؟ فسمعه المأمون، وظن الحاضرون أَنه سيقضي عليه، فلم يزد عَلَى أَن تبسم، وقال: ما الحيلة حتَّى أنبل فِي عين هذا السيد الجليل..، وجره القليل الَّذِي كان يديره من علوم الأوائل، إِلَى القول بخلق القرآن، قال الذهبي رحمه الله: فِي سنة ٢٢١هـ كتب المأمون إِلَى متولي بغداد ليمتحن الناس (أَي فِي القول بخلق القرآن). فامتحن عفان. وكتب المأمون: فَإِن

ثم توسعت أكثر في أيام الخليفة المأمون المعتزلي المتشيع (١٩٨-٥٢١٨هـ)، بشكل أكبر و منظم، فأرسل إلى ملوك بلاد الروم يطلب منهم الكتب القديمة، ليترجمها إلى اللغة العربية، فأرسلوا إليه كتباً كثيرة، من مصنفات فلاسفة اليونان وغيرهم من العلماء^(١)..

وقد ذكر القفطي قصة للمأمون في ذلك، قال القفطي: حكى محمد بن إسحاق النديم في كتابه أن المأمون رأى في منامه كأن رجلاً أبيض مشرباً بحمرة واسع الجبين مقرون الحاجبين أجلى الرأس أشهل العينين حسن الشمائل جالس على سريره قال المأمون وكأنني بين يديه وقد ملئت له هبة فقلت له من أنت فقال أنا أرسطوطاليس فسررت به وقلت أيها الحكيم أسألك قال سل قلن ما الحسن قال ما حسن في العقل قلت ثم ماذا قال ما حسن في الشرع فقلت ثم ماذا ثم لا ثم قلت زدني فقال من يصحبك في الذهب فليكن عندك كالذهب

لم يجب عفان فاقطع رزقه. وكان له في الشهر خمس مئة درهم. فلم يجبههم وقال: « وفي السماء رزقكم وما توعدون ». كما جره السير الذي كان يدره في الفقه، إلى القول بإباحة متعة النساء، ثم لم يزل به يحيى بن أكثم، رحمه الله تعالى، حتى أبطلها، وروى له حديث الزهري، عن ابني الحنفية، عن أبيها محمد بن علي، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر. فلما صح له الحديث، رجع إلى الحق. وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها، وكان قد ابتدأ بالكلام فيها، في سنة اثنتي عشرة، ولكن لم يصمم ويحمل الناس، إلا سنة ثمان عشرة، ثم عوجل ولم يمهل، بل توجه غازياً إلى أرض الروم، فمرض، ومات، في سنة ثمان عشرة ومائتين. انتهى مختصراً من الطبقات السننية في تراجم الحنفية - (ج ١ / ص ٨٩)، العبر في خبر من غبر - (ج ١ / ص ٧١).

(١) أخبار العلماء بأخبار الحكماء - (ج ١ / ص ١٣٦).

وعليك بالتوحيد فلما استيقظ المأمون من منامه حدثته نفسه وحثته همته على
تطلب كتب أرسطوطاليس، فلم يجد منها شيئاً ببلاد الإسلام، قال غير ابن
إسحاق فراسل المأمون ملك الروم، وَكَانَ قَدْ اسْتَطَالَ عَلَيْهِ وَأَذَلَّ دِينَ الْكُفْرِ،
وطلب منه كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس فطلبها ملك الروم فلم يجدها
ببلادها، فاغتم لذلك، وقال يطلب مني ملك المسلمين علم سلفي من يونان فلا
أجده أي عذر يكون لي أم أي قيمة تبقى لهذه الفرقة الرومية عند المسلمين،
وأخذ في السؤال والبحث فحضر إليه أحد الرهبان المتقطعين في بعض الأديرة
النازحة عن القسطنطينية، وقال له عندي علم ما تريد فقال له أدركني فقال إن
البيت الفلاني في موضع كذا الذي يقفل كل ملك عليه قفلاً إذا ملك ما فيه على
ما يقال مال الملوكة، وكل ملك يجيء يقفل عليه حتى لا يقال قد احتاج إلى
ما فيه لسوء تدبيره ففتحه، فقال له الراهب ليس الأمر كذلك، وإنما في ذلك
الموضع هيكل كانت يونان تتعبد فيه قبل استقرار ملة المسيح، فلما تقرر
ملته بهذه الجهات في أيام قسطنطين جمعت كتب الحكمة من أيدي الناس،
وجعلت في ذلك البيت، وأغلق بابه، وقفل الملوكة عليه أقفلاً كما سمعت،
فجمع الملك مقدمي دولته وعرفهم الأمر واستشارهم في فتح البيت فأشاروا
بذلك، فاستشار الراهب في تسييرها إذا وجدت إلى بلد الإسلام، وهل عليه
في ذلك خطر في الدنيا، أو إثم في الآخرة فقال له الراهب سيرها فإنك تثاب
عليه، فإنها ما دخلت في ملة إلا وزلزلت قواعدها، فسار إلى البيت، وفتحه

ووجد الأمر فيه كما ذكر الراهب، ووجدوا فيه كتباً كثيرة، فأخذوا من جانبها بغير علم ولا فحص خمسة أحمال، وسيرت إلى المأمون، فأحضر لها المأمون المترجمين، فاستخرجوها من الرومية إلى العربية، ثم تنبه الناس بعد ذلك على طلبها بعد المأمون، وتحيلوا إلى أن حصلوا منها الجملة الكثيرة، ولما سيرت الكتب إلى المأمون جاء بعضها تاماً وبعضها ناقصاً، فالناقص منها ناقص إلى اليوم لم يجد أحد تمامه^(١).

وقال أبو سليمان المنطقي السجستاني نزيل بغداد وكان نبياً في هذه الفرقة أن بني المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم: حنين بن إسحاق، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قره وعيهم لهم في الشهر خمسمائة دينار للنقل والترجمة والملازمة^(٢).

(١) أخبار العلماء بأخبار الحكماء - (ج ١ / ص ١٨).

(٢) أخبار العلماء بأخبار الحكماء - (ج ١ / ص ١٣٦) وفيه أيضاً: ذكر محمد بن إسحاق النديم: قال سمعت أبا إسحاق بن شهرام يحدث في مجلس عام: أن ببلد الروم هيكلاً قديماً البناء عليه باب لم يرقط أعظم منه بمصراعي حديد، كان اليونانيون قديماً عند عبادتهم يعظمونه، ويدعون فيه، قال: فسألت ملك الروم أن يفتحه فامتنع عن ذلك؛ لأنه أغلق منذ وقت تنصرت الروم فلم أزل به أراسله وأسأله شفاهاً عند حضور مجلسه قال فتقدم بفتحه وإذا ذلك البيت من المرمر والصخر العظام ألواناً وعليه من الكتابات والنقوش ما لم أر ولم أسمع بمثله كثرة وحسناً وفي هذا الهيكل من الكتب القديمة ما يحمل على عدة أحمال وكثر ذلك حتى قال على ألف جمل بعض ذلك قد أخلق وبعضه على حاله وبعضه قد أكلته الأرضة قال ورأيت فيه من آلات القرايين من الذهب وغيره أشياء طريفة قال وأغلق الباب بعد خروجي وامتن علي بما يفعل معي من ذلك قال وذلك في أيام سيف الدولة رحمه الله قال والبيت على ثلاثة أيام من القسطنطينية والمجاورون لذلك البيت قوم من الصابئة الكلدانيين قد أقرهم الروم على مذهبيهم ويأخذون منهم الجزية.

وممن اشتهر بالتنجيم، وجمع كتبه: الفضل بن سهل ذو الرياستين^(١) وزير المأمون^(٢)، قال الذهبي: قتله بعض أعدائه في حمام بسر خس. فانزعج المأمون وتأسف عليه. وقتل به جماعة. وكان من مسلمة المجوس. ت. ٢٠٣. (٣).

قال ابن طاووس: ومن المعلومين بعلم النجوم والمصنفين فيها من اتباع بعض أهل البيت، من ذكره محمد بن إسحاق النديم في الجزء الرابع من الفهرست، فقال: ما هذا لفظه ابن قره ويكنى أبا علي كان منجماً للعلوي المصري وذكر كتباً من تصانيفه.

وممن اشتهر بعلم النجوم من المنسوبين إلى مذهب الإمامية الفضل بن سهل وزير المأمون الذي تعصب لمولانا الرضا صلوات الله عليه، أبلغ العصبية،

(١) في معجم الشعراء - (ج ١ / ص ٥٨) ولقب ذا الرياستين لأنه دبر أمر السيف والقلم.
(٢) لم يكن المأمون من أهل السنة، بل كان رافضياً، معتزلياً، معتقداً في النجوم، معظماً لثراث اليونان كل داء له داء، وقد جمع أنواعاً من الشرور، قتل أخيه الأمين السني على الملك، وتأثر بمعلمة الجعد بن درهم، وأخذ من ضلالاته، والجعد رجل ضال معطل، ضحى به خالد القسري رحمه الله، أما الأمين فهو: محمد بن هارون أمير المؤمنين أبو عبد الله الأمين ابن أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي، كان ولي العهد بعد أبيه، وكان من أحسن الشباب صورة، أبيض طويلاً، ذا قوة مفردة، وبطش، وشجاعة معروفة، وفصاحة وأدب وفضل وبلاغة لكن سيء الرأي.... قال المسعودي: ولم يل الخلافة إلى وقتنا هذا هاشمي ابن هاشمية سوى الحسن، وأبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والأمين؛ لأنه ابن زبيدة وهي أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، عاش سبعة وعشرين سنة، وآخر أمره خلع، ثم أسر، وقتل صبراً في المحرم سنة تسع وتسعين ومائة، وطيف برأسه لأنه في سنة خمس وتسعين خلع المأمون أخاه، وعقد الولاية لولده موسى وهو طفل. الوافي بالوفيات - (ج ٢ / ص ١٣٩).

(٣) العبر في خبر من غبر: للذهبي - (ج ١ / ص ٦٣).

وقد ذكره جدي أبو جعفر الطوسي في كتاب الرجال من أصحاب الرضى **عليه السلام**، وقد ذكرنا فيما تقدم ما يدل على علمه بها. ونزيد ههنا ما يدل على بعض إصاباته في أحكامها ودلائلها، فنقول قدروي صاحب التاريخ محمد بن عبدوس الجهشيارى وغيره ما معناه، أنه لما وقع بين الأمين والمأمون ما وقع، واضطربت خراسان، وطلب جند المأمون وصعد المأمون إلى منظره للخوف على نفسه من جنده، ومعه الفضل، وقد ضاق عليه مجال التدبير وعزم على مفارقة ما هو فيه، أخذ الفضل طالعاه ورفع اسطرلابه^(١) فقال له ما تنزل هذه المنزلة إلا خليفة غالباً، لأخيك الأمين، فلا تعجل وما زال يسكنه ويشبهه حتى ورد عليهم في تلك الساعة رأس ابن ماهان وقد قتله طاهر وثبته حتى ورد عليهم في تلك الساعة رأس ابن ماهان وقد قتله طاهر وثبت ملكه وزال ما كان يخافه وظفر بالأمان. ومن إصابات الفضل بن سهل ما ذكره الطبري وابن مسكويه في تاريخها، فقالا في أخبار المأمون ما هذا معناه، أن المأمون لما استشار الفضل بن سهل في أمر الأمين، وكان الفضل ينظر في النجوم وكان جيد المعرفة بأحكامها فرأى الغلبة لعبد الله المأمون والعاقبة له، عرف المأمون بذلك فوطن نفسه على محاربة الأمين ومناجزته.^(٢)

(١) والاسطرلاب: هي الأداة التي تحدد الاتجاهات في البحر، وتعرف بها حركة النجوم، وإذا صحت هذه القصة، فإن هذه الآلة لها منافعها وفوائدها التي يحمدها الشرع، ولكن المنجمين يستخدمونه في علمهم الباطل.

(٢) فرج المهور في تاريخ علماء النجوم: ابن طاووس، منشورات الرضى قم، ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م.

ونقول هنا: إن المتتبع للتاريخ من عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم نزول الوحي، وانتشار السنة، و تمسك الصحابة وتابعيهم، وتابعي تابعيهم بالوحي الإلهي والسنة النبوية، يرى أنه كلما تأخر الزمان زاد البعد عن الوحي الإلهي والهدى النبوي، وأن الاحتساب يتفاوت من زمن إلى زمن، ومن جيل إلى جيل، ومن دولة إلى أخرى، وفي زمان المأموم انتشر أمر التنجيم، وقرب المأمون إليه المنجمين، وفي زماننا هذا انتشر هذا الأمر في بعض البلدان والأقطار حتى عمت فيها جاهلية جهلاء.

ولقد تعجب ابن طاووس الرافضي، المعتقد في النجوم، من عدم معرفة ذي الرياستين، بطريق النجاة، وكيف غاب عنه السبيل وهو الناظر في النجوم فقال: أقول وكنت لما وجدت الأخبار متظافرة بمعرفة الفضل بن سهل في النجوم أتعجب كيف ما دلته معرفة علي ما يحذر عليه من القطع والقتل، وكيف أحتاج إلى تعريف أخيه الحسن بالقطع عليه حتى رأيت بعد ذلك في كتاب «الوزراء» جمع عبد الرحمن بن المبارك ما هذا لفظه: وذكر أبو عيسى محمد بن سعيد، أنه وجد علي كتاب من كتب ذي الرياستين يخطه هذه السنة الفلانية التي تكون فيها النكبة، وإلى الله نرغب في دفعها، وإن صح من حساب الفلك فيها شيء فالأمر واقع لا محالة، ونسأل الله أن يختم لنا بخير بمنه تعالى، وكان يعمل لذي الرياستين تقويم في كل سنة يوقع عليه هذا يوم يصلح لكذا ويجتنب فيه

كذا، فلما كان في السنة التي قتل فيها عرض عليه التقويم فجعل يوقع فيه ما يصلح وما يجتنب، حتى انتهى إلى اليوم الذي قتل فيه، قال أف لهذا اليوم ما أشره، ثم قال عبد الرحمن بعد أحاديث ذكرها عن أخت الفضل قالت: دخل الفضل إلى أمه في الليلة التي قتل في صبيحتها فقعد إلى جانبها وجعل يعظها ويعزيها عن نفسه، ويذكرها حوادث الدهر ثم قبل صدرها وثديها، وودعها وداع المفارق، ثم قام فخرج قلقاً منزعجاً لما دخل عليه من الحساب، وجعل ينتقل من موضع إلى موضع، ومن مجلس إلى مجلس، وامتنع عليه النوم، فلما كان في السحر قام إلى الحمام... فقدمت له بغلة فركبها، وكانت الحمام في آخر البستان، فكبت به البغلة فسره ذلك، وقدر أنها هي النكبة التي كان يتخوفها ثم مشى إلى الحمام، ولم يزل ماشياً حتى دخل الحمام فاغتسل فيها فقتل.^(١)

وهذا الذي عجب منه الرافضي المؤمن بالكوكب الكافر بالله، لا نعجب نحن منه، إن هذا الرجل الذي شهدوا له بالتكهن، والتنجيم لم يستطع أن ينفع نفسه، ولا أن يحييها من الهلكة، ولا أن يبعد عنها حتفها، بل مات بالحمام مقتولاً. بل لقد ظن من جهلة أن السقطة التي سقطها، هي البلية التي حدثه عنها شيطانه، وانها نازلة به، وهذا حال الشيطان الكذوب مع أوليائه، فالشيطان يسرق الأخبار، ويسترق السمع، ويتسمع للملائكة مع خوفه من الشهب، فلا

(١) فرج المهوم في تاريخ علماء النجوم - (ج ١ / ص ٥٥).

يحيط بالأمر كاملاً فيسرق ما يسرق، ويسترق ما يسترق ثم يخدع وليه الإنسي، فيضخم له الخبر بالكذب.

إن هذه القصة التي يرويها ذلك المعتقد في النجوم وكذلك ينقلها غيره، تبين ما جاء في الوحي المطهر أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن المنجمين والكهان، يصدقون مرة، ويكذبون مرات كثيرة، وأن الشياطين تلقى إليهم مع كلمة الصدق مائة كذبه..

التبرك والاستمداد من قبر أرسطو:

قال القفطي: وكانت لأرسطو من الملوك كرامات عظيمة ومنزلة رفيعة، ونقل أهل مدينة أسكاغيرا رمته وجمعوا عظامه بعد ما بليت وصيروها في إناء من نحاس، ودفنوها في الموضع المعروف بالأرسطوطاليس، وصيروه مجمعا لهم يجتمعون فيه للمشاورة في جلائل الأمور، وما يحزنهم، ويستريحون إلى قبره، فإذا أصابهم صائب، وصعب عليهم شيء من فنون الحكمة والعلم أتوا ذلك الموضع، وجلسوا إليه، وتناظروا فيما بينهم حتى يستنبطوا ما أشكل عليهم، ويصح لهم ما شجر بينهم، وكانوا يرون أن مجيئهم إلى الموضع الذي فيه عظام أرسطوطاليس يذكي عقولهم، ويصح فكرهم، ويلطف أذهانهم، وأيضا يكون تعظيما له بعد موته، وأسفاً عليه، وعلى شدة فراقه، وما فقدوه من ينابيع حكمته^(١)..

(١) أخبار العلماء بأخبار الحكماء - (ج ١ / ص ٢٥).

هذا ما يفعله قوم أرسطو، إنهم يلجأون إلى القبور، وهذا أيضا ما يحدث من أقوام في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يتركون القبور ويتمسحون بها، ويطلبون منها الحاجات. وهذه علاقة عجيبة بين الفلسفة اليونانية، والسحر وعبادة الكواكب، والتعلق بالقبور.

سحر اليونان:

وقال شيخ الإسلام: كَمَا تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ عَلَى بَعْضِ مَنْ يَعْبُدُ الْكَوَاكِبَ وَيَرْضُهَا حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْهِ صُورَةٌ فَتَخَاطِبُهُ. وَهُوَ شَيْطَانٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ وَقَالَ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿٦٣﴾ فَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَقْصِدُوا عِبَادَةَ الشَّيْطَانِ وَمُؤَالَاتِهِ وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ يَعْبُدُونَهُ وَيُؤَالُونَهُ. فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْفَلَاسِفَةَ الصَّابِئَةَ الْمُتَبَدِّعَةَ مُؤْمِنُونَ بِقَلِيلٍ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي أَمْرِ الْمَلَائِكَةِ؛ فِي صِفَتِهِمْ وَأَقْدَارِهِمْ. وَذَلِكَ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ إِنَّمَا سَلَكُوا سَبِيلَ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْحَرَكَاتِ الْفَلَكِيَّةِ وَالْقِيَاسِ عَلَى نُفُوسِهِمْ؛ مَعَ مَا جَحَدُوهُ وَجَهِلُوهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَإِبْدَاعِهِ ^(١).

وذكر شيخ الإسلام أن أرسطو وأمثاله من الفلاسفة كانوا يعبدون الكواكب، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَذَلِكَ حُكَمَاءُ «الْيُونَانِ» مِثْلُ أَرِسْطُو وَأَمْثَالِهِ كَانُوا مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ

(١) من مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ١ / ص ٣١٩).

الْأَصْنَامَ وَالْكَوَاعِبَ وَكَانَ أَرِسْطُو قَبْلَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ (١) ..

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٢ / ص ٣٠٧) وَأُولَئِكَ الْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاعِبَ وَيَبْنُونَ لَهَا الْهَيْكَلِ وَيَدْعُونَهَا بِأَنْوَاعِ الدَّعَوَاتِ. كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَمَا صُنِّفَ عَلَى طَرِيقِهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الشِّرْكِ، وَالسَّحْرِ، وَدَعْوَةِ الْكَوَاعِبِ، وَالْعَزَائِمِ وَالْأَقْسَامِ الَّتِي بِهَا يُعْظَمُ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ. وَكَانَ الشَّيْطَانُ بِسَبَبِ الشِّرْكِ وَالسَّحْرِ يُغْوِيهِمْ بِأَشْيَاءَ هِيَ الَّتِي دَعَتْهُمْ إِلَى ذَلِكَ الشِّرْكِ، وَالسَّحْرِ، وَكَانُوا يَرْصُدُونَ الْكَوَاعِبَ لِيَتَعَلَّمُوا مَقَادِيرَهَا، وَمَقَادِيرَ حَرَكَاتِهَا، وَمَا بَيْنَ بَعْضِهَا مِنَ الْإِتِّصَالَاتِ مُسْتَعِينِينَ بِذَلِكَ عَلَى مَا يَرَوْنَهُ مُنَاسِبًا لَهَا. وَأَمَّا قُدَمَاءُ الْيُونَانِ فَكَانُوا مُشْرِكِينَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ شِرْكًَا، وَسِحْرًا، يَعْبُدُونَ الْكَوَاعِبَ، وَالْأَصْنَامَ، وَلِهَذَا عَظُمَتْ عِنَايَتُهُمْ بِعِلْمِ الْهَيْئَةِ وَالْكَوَاعِبِ لِأَجْلِ عِبَادَتِهَا. وَكَانُوا يَبْنُونَ لَهَا الْهَيْكَلِ وَكَانَ آخِرُ مُلُوكِهِمْ (بَطْلَيْمُوسَ صَاحِبَ «الْمَجِسْطِي» (٢) ..

العلاقة بين التعطيل والسحر:

لقد بين شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ارتباط السحر بالفساد العقدي، ليس في باب الشرك في الربوبية والشرك في العبادة فحسب، بل إن الفساد الذي دخل على الناس في توحيد الأسماء والصفات مرتبط بالسحر، وقد بين شيخ الاسلام ومن

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٢ / ص ٤٨٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٤ / ص ١٠).

قبله ابن عساكر تسلسل مقالة التعطيل بالسحرة، ورجوعها إلى مراكز السحر في حران التي كان منها المترجمون لكتب اليونان، جاء في مجموع فتاوى ابن تيمية: فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ حَفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ فِي الْإِسْلَامِ -أَعْنِي أَنَّ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً وَأَنَّ مَعْنَى اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوَلَى وَنَحْوَ ذَلِكَ- هُوَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ وَأَخَذَهَا عَنْهُ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ؛ وَأَظْهَرَهَا فَنُسِبَتْ مُقَالَةُ الْجَهْمِيَةِ إِلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ سَمْعَانَ وَأَخَذَهَا أَبَانُ عَنْ طَالُوتَ بْنِ أُخْتٍ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ: الْيَهُودِيُّ السَّاحِرُ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وَكَانَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ هَذَا -فِيمَا قِيلَ- مِنْ أَهْلِ حَرَّانَ وَكَانَ فِيهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّابِئَةِ وَالْفَلَّاسِفَةِ -بَقَايَا أَهْلِ دِينِ نَمْرُودَ وَالْكِنَعَانِيِّينَ الَّذِينَ صَنَّفَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي سِحْرِهِمْ- وَنَمْرُودُ هُوَ مَلِكَ الصَّابِئَةِ الْكَلْدَانِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ^(١).

أرسطو يعتقد أن الهياكل مواطن وحي الله:

قال القفطي: وقال بطليموس الغريب أن تسليم أرسطو طاليس إلى أفلاطون كَانَ يُوْحِي مِنَ اللَّهِ فِي هَيْكَلِ بُوْثْيُونِ^(٢). وهي لا شك مواطن وحي الشياطين.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ١ / ص ٤٠٦). وسيأتي بسط ذلك إن شاء الله في كتاب

احتمساب شيخ الإسلام على السحرة والمنجمين والكهان والشياطين.

(٢) أخبار العلماء بأخبار الحكماء - (ج ١ / ص ١٩).

المبحث الثالث: احتساب أئمة أتباع التابعين على الكتب المترجمة وما حوته من سحر وتنجيم وضلال

لقد ترجمت الكتب اليونانية وانتشرت لرعاية بعض خلفاء الدولة العباسية لها، ثم زاد الشر حينما شيدت دارا هي دار الحكمة تجلب هذه الكتب وترعى مترجميها، وترتب لهم الأرزاق.

قال شيخ الاسلام: ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتِ الْكُتُبُ الرُّومِيَّةُ وَالْيُونَانِيَّةُ فِي حُدُودِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ: زَادَ الْبَلَاءُ؛ مَعَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ الضَّلَالِ ابْتِدَاءً مِنْ جِنْسٍ مَا أَلْقَاهُ فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ. وَلَمَّا كَانَ فِي حُدُودِ الْمِائَةِ الثَّالِثَةِ: انْتَشَرَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ الَّتِي كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ الْجَهْمِيَّةِ؛ بِسَبَبِ بَشْرِ بْنِ غِيَاثِ الْمَرِيسِيِّ وَطَبَقَتِهِ وَكَلَامِ الْأَئِمَّةِ مِثْلَ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَبِي يُوسُفَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَالْفَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ وَبَشَرَ الْحَافِي وَغَيْرِهِمْ: كَثِيرٌ فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ. وَهَذِهِ التَّأْوِيلَاتُ الْمَوْجُودَةُ الْيَوْمَ بِأَيْدِي النَّاسِ - مِثْلُ أَكْثَرِ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكٍ فِي كِتَابِ التَّأْوِيلَاتِ وَذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ الرَّازِي فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ «تَأْسِيسَ التَّقْدِيسِ» وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهَا فِي كَلَامِ خَلْقٍ كَثِيرٍ غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِثْلَ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِي وَعَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ الهمداني وَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ وَأَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ وَأَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ وَغَيْرِهِمْ - هِيَ بَعِيْنَهَا تَأْوِيلَاتُ بَشْرِ الْمَرِيسِيِّ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُوجَدُ فِي كَلَامِ بَعْضِ هَؤُلَاءِ رَدُّ التَّأْوِيلِ وَإِبْطَالُهُ أَيْضًا وَلَهُمْ كَلَامٌ حَسَنٌ فِي أَشْيَاءَ. فَإِنَّمَا بَيَّنْتُ أَنَّ

عَيْنَ تَأْوِيلَاتِهِمْ هِيَ عَيْنُ تَأْوِيلَاتِ بَشْرِ الْمَرِيْسِيِّ (١).

المقاومة السنية العلمية للفلسفة اليونانية (٢):

لما تُرجمت الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، وانتشرت بين طائفة من المسلمين، وتبين لأهل السنة أنها تخالف دين الإسلام ظاهرا و باطنا، وأنها تمثل خطرا عليه و عليهم، تحركوا للتصدي لها علميا و عمليا، فتجلّت مقاومتهم العلمية لها في مظاهر كثيرة، منها:

أولا: رفض الفلسفة اليونانية و تكفير رجالها و التحذير منهم:

تمثّلت أول خطوة في مقاومة السنيين للفلسفة اليونانية، في إظهار الموقف الشرعي منها و من رجالها، و موقفهم هذا لا بد منه، لأن المسلم محكوم في سلوكه و أفكاره بالشرع الحكيم. فمن ذلك أن الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ذكر أن علماء السلف ذموا علوم الأوائل - و منها الفلسفة - لأنها تُؤدي إلى مخالفة الشرع. و قد حكى المحققان ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، و ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ): أن علماء أهل السنة أجمعوا على تكفير الفلاسفة القائلين بقدّم العالم، والمنكرين للمعاد الجسماني يوم القيامة.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ١ / ص ٤٠٦) ..

(٢) تفصيل ذلك و بسطه تجده في مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي: الأستاذ الدكتور خالد كبير علال.

ثانيا: عدم قبول روايات الفلاسفة في الحديث النبوي:

نص كبار علماء الحديث النبوي على عدم قبول روايات الفلاسفة إذا ما رووا السنة النبوية، وهذا جرح وإقصاء لهم من أن يكونوا من رواة الميراث النبوي الشريف، وبمعنى آخر أنهم ليسوا أهلا لذلك، لفقدهم شرط العدالة الذي وضعه علماء مصطلح الحديث. وقد سبق وأن بينا أن علماء أهل السنة قد كفّروا الفلاسفة المسلمين المشائين، لمعتقداتهم المناقضة لدين الإسلام. واكتفى طائفة منهم بالمعارضة المجملة للفلسفة اليونانية، دون الرد المفصل على أصولها وجزئياتها؛ اعتقادا منهم أن موقفهم هذا كاف للرد عليها ووقف انتشارها، خاصة و أنها تتعارض مع كثير من أصول دين الإسلام، وهذا - في اعتقادهم - كاف لمقاومتها والحد من انتشارها. و موقفهم هذا صحيح إلى حد كبير، يُقنع كثيرا من أهل العلم و عامة الناس، لكنه لا يُقنع أناسا آخرين من المختصين والمتفلسفين والمرتابين والمشكاكين، ومرضى القلوب والعقول. و ثالثها: إن بعضهم لم يكن تكوينه العلمي يسمح له بالتوسع للرد على أصول الفلسفة وجزئياتها، لقلة زادهم العلمي في العلوم الشرعية والعقلية. ورابعها نفور الكثير منهم من الفلسفة و علوم الأوائل، لاختلاطها بالسحر والتنجيم، والشركيات والوثنيات القديمة، ولمعارضتها لكثير من حقائق الدين، جعلهم ينفرون منها، ويكتفون بدمها، والتحذير منها، دون التوسع في الرد العلمي عليها.

ثالثاً: رفض المنطق الأرسطي المشائي:

رفض أئمة علماء أهل السنة المنطق الأرسطي المشائي ضمن رفضهم لفلسفة اليونان، ومقاومتهم لها، فهجروه وزهدوا فيه، لقصوره ولكنته وعجزه، وعدم ضروريته، واختلاطه بالفلسفة.

ولقد كان لنقد كبار علماء السنة لكبار الفلاسفة أثره، وهو عمل هام جداً، ساعد على تحطيم كبرياء هؤلاء، وإذهاب تعظيم الناس لهم. كما أن تركيزهم على انتقاد خصائص الفلسفة اليونانية، و منهجها الفكري، هو عمل في غاية الأهمية، فبفضله تبين أنها -أي الفلسفة اليونانية- تفتقد إلى العلمية والدقة والإتقان، لأن قسماً كبيراً منها يقوم على الظنون الكاذبة والأقيسة الفاسدة والقول على الله بلا علم. وفلسفة هذا هو حالها ومنهجها، لا شك أنها باطلة في عمومها، خطؤها كثير وصوابها قليل.

رفض الشافعي للكتب المترجمة كان بعد اطلاع عليها:

قال الدكتور النشار: إن المنطق كان قد نقل إلى العالم الإسلامي قبل عصر الشافعي بكثير - ومن المحتمل أن يكون قد اطلع عليه، خاصة وأنه درس من ناحية علم الكلام كما يعترف هو بنفسه « لو أردت أن أضع على كل مخالف كتاباً كبيراً لفعلت. ولكن ليس الكلام من شأني ». واشتغل من ناحية أخرى بعلم النجوم. وهذان علما نظريان لا بد لباحثهما من أن يكون عرف مناهج

البحث العلمية التي كانت معروفة في زمنه.

ولقد كان الشافعي على معرفة باللغة اليونانية، على ما يذكر أبو عبد الله الحاكم في كتابه مناقب الشافعي - الباب الرابع والعشرون - من أن الشافعي كان يقول حين سأله الرشيد عن علمه بالطب «أعرف ما قالت الروم مثل أرسططاليس ومهراريس وفرفوريوس جالينوس وبقراط وأسدفليس بلغتهم».

ولم يكن موقف الشافعي من المنطق الأرسططاليسي سلبياً فحسب، فاقصر على عدم التأثر بالمنطق الأرسططاليسي بل كانت فيه ناحية إيجابية هي مهاجمة المنطق الأرسططاليسي مهاجمة شديدة تصل به إلى حد التحريم^(١).

ولقد جاءت في كتاب ذم الكلام وأهله للهرودي نقول مهمة عن أعلام هذا الجيل، يذمون فيها تلك الكتب المترجمة، وكان الذم منصبا بالدرجة الأولى على علم الكلام والمنطق؛ فإن هذه العلوم هي ما ظهر وشاع حينئذ، وطار شره وشره فكانت فتنة خلق القرآن وغيرها، فإذا كان هذا شأن المنطق وعلم الكلام، فما بالنا بالتنجيم والسحر وعبادة الكواكب، لا شك أنها تدخل في كلامهم من باب أولى.

وقال عبد الله بن داود الخريبي: «سألت سفيان الثوري عن الكلام، فقال: دع الباطل؛ أين أنت عن الحق؟! اتبع السنة ودع الباطل».

(١) مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسططاليسي: الدكتور علي سامي النشار ص ٨٣.

وقال أحمد بن مهدى: «سألت أبا جعفر النفيلي عن الخوض في الكلام؛ فقال: سئل الأوزاعي عنه، فقال: اجتنب علماً إذا بلغت فيه المنتهى نسبوك إلى الزندقة، عليك بالاعتداء والتقليد».

وقال ابن المبارك: «من كان عنده كتاب الحيل فعمل بما فيه؛ فهو كافر»، وكتاب الحيل هو كتاب ألفه بنو شاكر المنجمون، فيه شرح لآلات هندسية، وعلم الحيل ارتبط عند القدماء بالوثنية والسحر.

قال أبو حنيفة: «لعن الله عمرو بن عبيد؛ فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيه من الكلام، وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه، وينهانا عن الكلام». قال المزني: سمعت الشافعي يقول للربيع: أقبل مني ثلاثة أشياء: لا تخوضن في أصحاب **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، خصمك النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوم القيامة، ولا تشتغل بالكلام فقد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، ولا تشتغل بالنجوم؛ فإنه يجر إلى الكهانة».

قال لي أبو عمر الضرير: «العلم بالكلام بمنزلة التنجيم، كلما كان صاحبه أزيد علماً، كان أشد لفساده»^(١).

(١) انظر ذم الكلام وأهله: للهروي ج ٣ ص ١٦٣ وما بعدها تحقيق عبد الله بن محمد الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

ومن احتساب أئمة أتباع التابعين ترك الرواية عمن له اتصال بالجن

بأي وجه:

قال الطحاوي: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: قدم علينا يغنم بن سالم

مصر، فجثته فسمعتة يقول: تزوجت امرأة من الجن، فلم أرجع إليه^(١).

(١) هو يغنم بن سالم بن قنبر. مولى على رضى الله عنه. أتى عن أنس بعجائب، وبقي إلى زمان مالك. حدث عنه محمد بن مخلد الرعيني، وأحمد بن عيسى التستري، وعبد الغني بن رفاعه، وطائفة. قال أبو حاتم: ضعيف. وقال ابن حبان: كان يضع على أنس بن مالك. وقال ابن يونس: حدث عن أنس فكذب. وقال ابن عدى: عامة أحاديثه غير محفوظة. راجع ميزان الاعتدال - (ج ٤ / ص ٤٥٩).

المراجع

١. القرآن الكريم
٢. تقريب التهذيب: لابن حجر، تحقيق أبو الأشبال الباكستاني، دار العاصمة، ١٤٢١هـ.
٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٤. شرح صحيح البخاري: لابن بطال، تحقيق ياسر الصبيحي، مكتبة الرشد.
٥. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.
٦. أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الجصاص تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي..
٧. المنتقى شرح الموطأ للباقي، مطبعة السعادة ١٣٣٢هـ.
٨. الشرح الكبير على متن المقنع: لابن قدامة، إشراف محمد رشيد رضا، دار الكتاب العربي.

٩. جامع العلوم والحكم: لابن رجب، تحقيق ماهر الفحل، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

١٠. مجموع فتاوى ابن تيمية، خرج أحاديثه أحمد محمد شعبان، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

١١. موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلسفة ومنهجها في عرضها: الدكتور صالح بن غرم الغامدي، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

١٢. مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي: الأستاذ الدكتور خالد كبير علال، دار الوراق.

١٣. مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسططاليسي: الدكتور علي سامي النشار، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م.

١٤. الشفا لابن سينا الرياضيات وعلم الهيئة: تصدير الدكتور ابراهيم بيومي مركور، تحقيق الدكتور محمد رضا مدور، الدكتور إمام ابراهيم أحمد ص ٩، من منشورات مكتبة من يسمونه اية الله العظمى المرعشي النجفي.

١٥. التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: الدكتور عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

١٦. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور سامي النشار، منشورات جامعة القاهرة، الطبعة الثالثة.

١٧. مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية: خالد علال، دار المحتسب، ٢٠٠٨م.

١٨. العبر في خبر من غبر: لشمس الدين الذهبي تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
١٩. إخبار العلماء بأخبار الحكماء: للقفطي، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
٢٠. الوافي بالوفيات: للصفيدي، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م.
٢١. فرج المهوم في تاريخ علماء النجوم: ابن طاووس، منشورات الرضي قم، ١٣٦٨هـ=١٩٤٩م.
٢٢. ذم الكلام وأهله: للهروي، تحقيق عبد الله بن محمد الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
٢٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة.

الفهرس

٥.....	مقدمة المجموعة
٩.....	الخطّة العامة للكتاب
١٠.....	المدخل
١١.....	أولاً: الحسبة: تعريفها، وأهميتها
٢٣.....	ثانياً: أهمية الاحتساب في أمر السحر والكهانة والدجل والشعوذة
٢٧.....	البحث الأول
	الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند الأنبياء عليهم
٢٧.....	وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام
٢٨.....	مقدمة
٣١.....	المقدمات
٣١.....	المقدمة الأولى:
٣٣.....	المقدمة الثانية: للسحر تاريخ قديم
٣٥.....	المقدمة الثالثة: أول من اتهمه قومه صراحة بالسحر من الأنبياء
٣٧.....	المقدمة الرابعة: عيسى عَلَيْهِ السَّلَام والسحر

- المقدمة الخامسة: معجزات الأنبياء ٣٧
- المبحث الأول: احتساب أبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام ٤٤
- المطلب الأول: إثبات تعاطي قوم إبراهيم السحر مع عبادة الكواكب ... ٤٦
- المطلب الثاني: احتساب خليل الله إبراهيم على السحرة وعبد الكواكب ٥٢
- المبحث الثاني: احتساب موسي الكليم عليه السلام على السحرة والكافرين ٧٠
- المطلب الأول: احتساب موسي عليه السلام على فرعون وملائه ٧٣
- المطلب الثاني: احتساب موسي عليه السلام على السحرة ٨١
- المبحث الثالث: احتساب سليمان عليه السلام على السحرة والشياطين ... ١٠١
- المطلب الأول: من الذي نشر السحر زمن سليمان ١٠٣
- المطلب الثاني: احتساب سليمان عليه السلام على السحرة والشياطين ١٠٦
- المبحث الثالث: احتساب نبينا صلى الله عليه وسلم على السحرة والكهان ١١٠
- المطلب الأول: احتسابه صلى الله عليه وسلم على السحرة ١١٢
- المطلب الثاني: احتساب النبي صلى الله عليه وسلم على الكهان والكهانة ١٢٦

المطلب الثالث: احتساب النبي ﷺ على المنجمين ١٤٢

المطلب الرابع: احتسابه ﷺ على الشياطين ١٤٦

المراجع ١٥٦

البحث الثاني: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين

عند أصحاب النبي العدنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ١٦١

مقدمة ١٦٢

المبحث الأول: احتساب الصحابة الإطهار على السحر والسحرة

الأشعار ١٦٧

المطلب الأول: احتساب الصحابة العملي على السحر والسحرة ١٦٨

المطلب الثاني: احتساب الصحابة القولي على السحر والسحرة ١٨٨

المبحث الثاني: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم على الكهانة

والكهان وأعوانهم من الشياطين ومردة الجان ١٩٠

المطلب الأول: احتساب الصحابة الكرام على الكهانة والكهان اللثام .. ١٩٣

المطلب الثاني: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم على الشياطين

أعوان السحرة والكهان والعرافين ٢٠٨

المبحث الثالث: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على

التنجيم والمنجمين ٢١٥

المطلب الأول: احتساب الصحابة العملي على التنجيم ٢١٦

المطلب الثاني: احتساب الصحابة القولي على التنجيم ٢١٩

المراجع ٢٢٢

البحث الثالث: الاحتساب: على السحرة والكهان والمنجمين

عند خيار التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ ٢٢٦

مقدمة ٢٢٧

المبحث الأول: احتساب خيار التابعين على السحرة الماكرين ٢٢٨

المطلب الأول: الاحتساب العملي للتابعين على السحرة ٢٢٩

المطلب الثاني: احتساب خيار التابعين على السحرة قوليا علميا ٢٣٠

المبحث الثاني: احتساب التابعين على الكهان الضالين ٢٣٨

المطلب الأول: احتساب خيار التابعين العملي على المختار الكاهن .. ٢٤٠

المطلب الثاني: الاحتساب القولي العلمي للتابعين: على الكهان

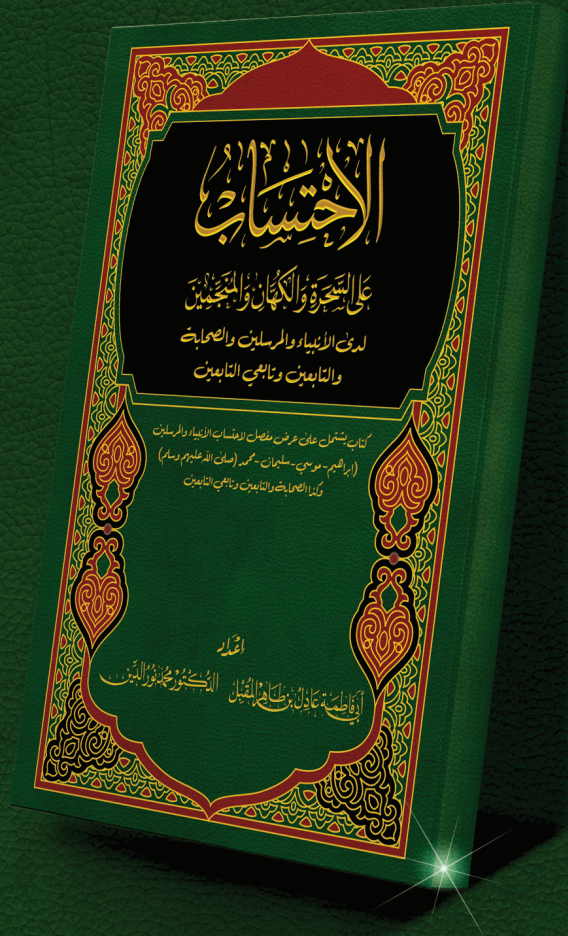
المارقين وأعوانهم من الشياطين ٢٦٠

المبحث الثالث: احتساب خيار التابعين وتحذيرهم من التنجيم ٢٦٤

المراجع ٢٧٠

البحث الرابع: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند

أئمة أتباع التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ	٢٧٤
مقدمة	٢٧٥
المبحث الأول: احتساب أئمة أتباع التابعين على السحرة الطاغين	٢٨١
المبحث الثاني: ترجمة الكتب اليونانية وبيان اشتمالها على السحر	
وعباد الكواكب	٢٨٦
المبحث الثالث: احتساب أئمة أتباع التابعين على الكتب المترجمة	
وما حوته من سحر وتنجيم وضلال	٣١٢
المراجع	٣١٩
الفهرس	٣٢٢



كتاب يشتمل على عرض مفصل لوقائع الانبياء والمرسلين
(ابراهيم - موسى - سليمان - محمد) صلوات الله عليهم واهل
وآلهم الطاهرين والتابعين والتابعين

القرآن

ادق طبعه: جليل في طبعه المفضل
الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب